رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الاعتدال
في
إثبات عذاب القبر ونعيمه

من خلال الرد على كتاب
(حقيقة عذاب القبر)

تأليف
عبد الوهاب رشيد أبو صفية

دار البيارق
دار عمار

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الاعتدال
في
إثبات عذاب القبر ونعيمه

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

موافقة دائرة المطبوعات والنشر
رقم الاجازة المتسلسل ١٩٩٨/٣/٥٨م

رقم التصنيف : ٢٤٥
المؤلف ومن هو في حكمه : عبد الوهاب رشيد ابو صفية
عنوان الكتاب : الاعتدال في اثبات عذاب القبر ونعيمه
الموضوع الرئيسي : ١ ـ الديانات
٢ ـ الاسلام
٣ ـ علم الكلام
رقم الايداع : ١٩٩٨/٣/٤٥٨
بيانات النشر : عمان : دار عمار للنشر

* ـ تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

دار البيارق

لبنان : بيروت ـ ص.ب : ٥٩٧٤ / ١١٣ ـ الحمراء
الأردن : عمّان ـ ص.ب ٨٦٤ ـ البرمز ١١٥٩٢

دار عمار

عمان ـ ساحة الجامع الحسيني ـ سوق البتراء
تلفاكس ٤٦٥٢٤٣٧ ـ ص . ب ٩٢١٦٩١ عمان ـ الأردن

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الاعتدال
في
إثبات عذاب القبر ونعيمه

من خلال الرد على كتاب
(حقيقة عذاب القبر)

تأليف
عبد الوهاب رشيد أبو صفية

دار البيارق
دار عمار

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

١ - إلى كل راغب في التأليف على أسس منهجية موضوعية.

٢ - إلى كل مَنْ لا يرى التطاول على عقائد الأمة طَوْلاً.

٣ - إلى كل راغب في الشفاء من داء الإعجاب بالنفس والتطرف في الفكر أو في السلوك.

٤ - وأخيراً إلى كل من يرغب في أن يعرف المنهج الوسط في مسألة عذاب القبر ونعيمه، بعيداً عن الغلو والتقصير؛ من خلال النظرة الواعية والمخلصة في نصوص الكتاب والسنة والاستئناس بآثار السلف الصالح.

تنبيه هام

هذا الردُّ في واقع الأمر ليس خاصاً بأفكار جواد عفانة في كتابه (حقيقة عذاب القبر) وإنما هو شامل لأفكاره فيه وفي غيره من مؤلفاته، من حيث تركيزه على المنهج، فمن عرف منهج هذا المؤلف في كتابه هذا أَمْكَنَهُ إصدار حكمه على كل ما يُؤلف ويكتب.

ثم إن هذا الرد كذلك صالحٌ للرد على كل مَنْ أنكر عذاب القبر، لأنه عالج أكثر من أربعين شبهة للمؤلف معالجة موضوعية موثقة، ولا أظن أن أحداً في السابقين واللاحقين يأتي بشبهة غير ما أتى به صاحبُ «حقيقة عذاب القبر»، فإنه جمع شبهات الأولين والآخرين، فالرد عليها رَدٌّ على كل مؤلف في هذا الموضوع.

من هنا تبدو أهمية مطالعة هذا الرد وقراءته فقرة فقرة من أوله إلى آخره، وفي ختام قراءته سوف تتكون لدى القارىء فكرة وعقيدة صائبة عن عذاب القبر ونعيمه دون إفراطٍ أو تفريط، والله الموفق.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ تمهيد ـ

الحمدُ لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً. وأصَلِّي وأسلِّم على نبيِّ الهدى والرحمة،

وبعد:

قرأتُ كتاب (حقيقة عذاب القبر) لمؤلفه جواد عفانة مرات عديدة، فقفزت إلى ذهني تساؤلات حولَ المذهبِ الفكري للمؤلف، مثل:

١ - هل هو من الخوارج؟ فإنني أراه يدافع عنهم، ويوافقهم في موضوع إنكار حَدِّ الرجم للزاني المحصَن، وفيما ينسبه إليهم من إنكار عذاب القبر، ويصرح بأنه على مِثْلِ رأيهم في مواضع من كتابه؛ ومما قوّى هذا الاعتقاد شدَّةُ المؤلف على مخالفيه، حتى يمكن تشبيه قلمه بسيوفِ الخوارج ضد مخالفيهم، إضافة إلى تركيزه على القرآن أكثر من السنة من جهة، والاعتماد على الرأي والظاهر في فهم الآيات من جهة أخرى، ولكنني ترددتُ في القطع بهذا الاتهام، إذْ قد يكون ذلك منه هو من قبيل الاتفاق العفوي، أو توارد الخواطر.

ثم قلتُ: قد يكون معتزلياً، إذ معظم حججه في إنكار عذاب القبر قائمة على منهجهم وطريقتهم في الدفاع عن أفكارهم، كالمبالغةِ في دور العقل وإيجابِ رعاية الأصلح على الله تعالى[1]، وربط إنكار القبر باتهام الله بالظلم، إضافة إلى شِدَّتهم على مخالفيهم ـ كالخوارج ـ ومحنةُ خلق القرآن

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية/ الطبعة الثالثة/ المكتب الإسلامي/ ص٩٣.

في العصر العباسي أكبرُ شاهد على ذلك، وهو يشبههم كذلك في تغليب الرأي الشخصي، والتحكم في توجيه الفهم السياقي نحو مذهبهم، فهم مثلاً أوَّلُوا قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾[النساء][1] فقالوا: جرَّح الله موسى تجريحاً بأظافر حكمته! وذلك لأنهم ينكرون صفة الكلام والتكليم، فحين استشهد عليهم أهلُ السنة بهذه الآية وهي صريحةٌ كما ترى في الكلام المعهود لغة وشرعاً؛ صرفوا الألفاظ عن ظاهرها المتبادر إلى هذا المعنى البعيد الذي يبدو عليه التكلُّف المثير للسخرية (أظافر حكمته).

وسنرى مؤلف هذا الكتاب قد وقع في تأويلات مشابهة، ومن ذلك تأويلهُ عذابَ القبر بعذابِ النار الذي دارت حوله معظم مجادلته لإنكار عذاب القبر[2].

ولكن هذه الموافقات في الاتجاه ليست كافيةً في إثبات مذهب الشخص واتجاهه الفكري، فعدلتُ عن هذا الاتهام، وقلت: لم لا يكون من حزب التحرير الإسلامي؟ فهو يتشابه معهم كثيراً وأخصُّ بالذكر رأيه: موضوع هذا الكتاب ـ وهو إنكار عذاب القبر[3]، كما يشبههم في جدليته المُفْرطة وثقته برأيه إلى درجةِ اتهامِ كل المخالفين بسوء الفهم والتخلف وما شابه ذلك من الألفاظ كما سنرى من صفات منهجه؛ ومن مواضع التشابه

---

(١) السابق/ ص١٥٣.

(٢) ويتشابه معهم في القول بقدرة الإنسان على خلق أفعال نفسه، ص٧٥، ٨٥. كما أن المعتزلة ينكرون الكرامات/ص٩٤ من مقدمة ابن خلدون، والمؤلف يميل إلى هذا الإنكار كما يُفهم من مواضع عدة في كتابه؛ وكذلك يتشابه معهم في تعليل إنكار عذاب القبر، جاء في كتاب توضيح العقيدة المفيد في علم التوحيد لأحمد الدردير/ص٦٠: وشُبْهَتُهم «المعتزلة» في إنكار عذاب القبر ونعيمه وسؤاله: ان السؤال والجواب واللذة والألم لا تُتَصَوَّر بدونِ الحياة ولا حياةَ مع فساد البنية ـ وهذا مطابق لبعض شبهات المؤلف الحسية والواقعية والسنة الكونية.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة/ ص١٣٨/ الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

أيضاً إنكار حجية خبرِ الآحاد في أمور الاعتقاد، وإنكار التواتر المعنوي وإنكار حجية الإجماع باستثناء إجماع الصحابة[1].

ولكنني ترددتُ أيضاً عن اتهامه بذلك، وإنْ كنتُ قد سمعت أنه كان منهم، لأنه يخالفهم في كثير من الآراء حالياً.

وهكذا دارت بي التساؤلات باحثاً بذلك عن مصدر أفكاره هذه التي يخرجُ بها على الناس بين الحين والآخر، مخالفاً فيها جماهير الأمة الإسلامية سَلَفاً وخلفاً، فبحثتُ في كتب الملل والنحل، والفرق، واستعرضتُ في ذهني ومن خلال بعض المؤلفات مثل «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب» ما يتزاحمُ في الساحة الإسلامية والدولية من أحزاب وتيارات، وكنتُ قد قرأت كتاب المهندس محمد شحرور «الكتاب والقرآن قراءة معاصرة» وما فيه من تفسيرات خرجت عن كل ما هو مفهومٌ ومعهود في اللغة أو السنة أو التراث الإسلامي أو العلوم التي وضعها العلماء لضبط وتحديد هذه المصطلحات والمفاهيم، ووجدتُ بين المهندسَيْنِ شبهاً كبيراً في المنهج العام رغم رَدِّه عليه بكتابه «أوهام القراءة المعاصرة»، فإذا كان شحرور يرى أن التفاسير الموجودة بين أيدينا ليست أكثر من تفاسير تاريخية مرحلية للقرآن، أي لها قيمة تاريخية فقط، فإن المهندس جواد لا يصدر في آرائه عن هذه التفاسير ويشكك في قيمتها عندما تعاكس رأيه[2].

وكلاهما تكلَّمَ عن الخرافة[3]، وكلاهما طعن في السلف وفهمهم، فقال شحرور: «لقد غاب عنهم هذا الفهم لأن أرضيتهم العلمية لم تكن تعينهم عليه»[4]، ويتشابهان في التحكم وإعطاء مضامين للألفاظ غير

---

(١) الشخصية الإسلامية ص٣-ص٧٨ من مؤلفات حزب التحرير. ص٨٤.
(٢) ص١٩٤ ـ الكتاب والقرآن قراءة معاصرة.
(٣) ص١٨٣/ السابق.
(٤) السابق ص١٧٣.

دلالاتها الوضعية اللغوية، وكلاهما يتهم المسلمين بضياع العقل وضيق الأفق والتحجر[1].

وكلاهما اعتمد على غيره في الناحية اللغوية، فشحرور اعتمد على الدكتور دك الباب، وجواد اعتمد على ابنه، ومع ذلك كثرت أغلاطُ كتابيهما كثرةً ظاهرة ومنكرة.

وكلاهما جريءٌ على التشكيك في الأحاديث ولو كانت في الصحيحين، فيكاد شحرور لا يذكر حديثاً إلا ويقول: إنْ صَحَّ، إلا إذا كان الحديثُ في صالحِ مذهبه، تماماً كالمهندس جواد.

وإذا كان المهندس جواد قد أنكر نفخ الروح في غير آدم ـ وعيسى ـ عليهما السلام ـ فإن المهندس شحرور أنكر نفخَ الروح في غير آدم[2].

وكلاهما يضع مقدمات بحسب هواه ثم يستخلص النتيجة التي كانت في ذهنه مسبقاً.

وكلاهما يلجأ إلى التحليل اللغوي والاعتماد بالدرجة الأولى في ذلك على «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس.

وكلاهما يقول بعدم رجم الزاني المحصن، وهذه عبارة شحرور: «لذا فإن رجم الزاني المحصن الآن ليس من الإسلام، ونعتقد أن النبي ﷺ رجم الزاني المُحْصَن قبلَ نزولِ سورة النور لا بعدها»، وهذا بعينه هو رأي المهندس جواد، فهو أيضاً ذكر أن سورة النور نزلت في التاسعة للهجرة ليقوّي هذا الرأي[3].

---

(١) السابق ص١٥٧.

(٢) السابق ص١٠٦، وهذه عبارته: إن الله نفخ الروح في آدم، ولم يقل نفخ الروح في بقية المخلوقات.

(٣) السابق ص٤٧٦.

ويَحْسُنُ هنا أن ننقل للقارىء ما ذكره شحرور حول هذا الأمر: «عن خالد السيباني، سألت عبدالله بن أبي أوفى: هل رجمَ رسولُ الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت: قبل سورة النور أو بعدها؟ قال: لا أدري ـ نقلاً عن فتح الباري ج١١ ص١٠٦-١٠٧.

وهل معنى لا أدري: أنها نزلت بعد الرجم؟!!

وكلاهما يرمي من نفس القوس في الطعن في السلف، فيقول شحرور: نحن مُؤَهَّلُونَ الآن لفهمِ حدودِ ما أنزل اللهُ على رسوله أكثر بكثير من أهل القرن السابع الميلادي[١]؛ وسترى أمثلة كثيرة في كتاب جواد تتفق مع هذا الاعتقاد.

وكلاهما يوجب على غيره الالتزامَ بفهمه، يقول شحرور: هكذا يجب أن نفهم معنى كيفية قضاء الله[٢].

والمهندس جواد يرى أن ابن نوح ـ الذي غرق ـ هو ابن زنا عملاً بظاهر «إنه ليس من أهلك»، وهذا ما صرح به شحرور قائلاً: الذي غرق ليس ابن نوح في الحقيقة وإنما ابن زنا دون أن يدري بذلك نوح[٣]، متأولاً في ذلك آية هود ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ﴾[هود] تماماً كما فعل المهندس جواد.

ولو تَدبَّرَ كلاهما إنْ أرادا التدبر ـ ولم يُريداه ـ فإن الآية السابقة تقول: ﴿... قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا... إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود].

---

(١) السابق ص٤٧٢.

(٢) ص٣٩٧.

(٣) ص٣٦٠.

فهذا الاستثناءُ دليلٌ على أنه من أهله نَسَباً، والنفي ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ ديناً وعقيدةً[1]: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[التوبة]، ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ . . .﴾[الممتحنة][2].

ولا نريد مزيداً من الاستطراد وذِكْر مواضعِ التشابه بين الفكرين أو الاتجاهين في التفكير، فنرى أنْ ننهي هذه النماذج بالنموذج المتصل بموضوعنا الأساس وهو إنكارُ عذاب القبر ومسألةُ منكر ونكير، فشحرور يقول: هذا البحث يقودنا إلى استنتاج مهمٍّ جداً وهو ما يُقال عن عذاب القبر، فإذا فُهم فهماً رمزياً.. فهذا وارد.. أما ما ورد في بعض الكتب عن سؤال منكر ونكير بعد الدفن، ويسألون الميت عن ربه ودينه فلم يثبتْ في نصٍّ صحيح[3]!!!

ومع كلِّ هذا التشابه فقد لا يُعجبُ المهندسَ أن يُتَّهم بأنه قد استمد أفكاره حول هذا الموضوع ومواضيع أخرى من مطالعة أمثال هذه الكتب، وبخاصة وأنه قد ألَّف كتاباً في الرد عليه، والحقُّ أنه يخالفهُ في كثير من الأمور، مما يجعلنا نقول: إنَّ المؤلفَ مشغولٌ دائماً بالتنقيب عن آراء تناسبُ طبيعةُ عصرنا إثارتَها من جديد، لما يجدُ من أنها تستهوي قطاعاً واسعاً من أناس هذا العصر، الذي أراه مقدمة وإرهاصاً لظهور الدجال الأكبر الذي يُزيِّف الحقائق ويقلبها رأساً على عقب، وإنْ كان كلٌّ من المهندسين ينكران هذا الدجال اليهودي.

---

(١) وتتمة الآية: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ وفي قراءة: «إنه عَمِلَ غيرَ صالح» ففي القراءتين دليل على أن المراد نفي الإيمان وليس نفي النسب.

(٢) وكلاهما اقتحم حصن السنة المطهرة وشَكَّكَ في مفاهيمها وقدسيتها وإنْ كان كُلٌّ منهما دخل من باب.

(٣) هذه هي نفس أقوال المهندس جواد في كتابه كما سترى/ انظر ص٣٨١/ السابق.

بعد هذه التساؤلات والترددات رأيتُ أن أصرف ذهني عنها ولا أتَّهم المؤلف بالانتماء الكامل لاتجاه أو مذهب أو حزب، وإنما هو الهوى المغلَّف بالشعارات البراقة ـ كشعار التجديد ـ هو الذي يوحي للبعض بأن يظهر بأكثر من وجه وشخصية[1]، وأذكِّر هنا بحديث الفتن التي يصبح فيها المرء مسلماً ويمسي كافراً، أو بالعكس.

ومما يتصل بهذا التمهيد أن أضع بين يدي القارىء هذه الملامح الرئيسة التي تعكس خلاصة أفكار المؤلف، مستخلصةً من الكتاب بأمانة وموضوعية:

١ - يرى أنَّ النفسَ تعني كاملَ العناصر الثلاثة: «البدن، الحياة، الروح»، وهو رأيٌ لم أطلع عليه في كتاب، ولا سمعتُ به من أحدٍ قبله، ولا أراه إلا استنتاجاً وهمياً غيرَ دقيق من آيات القرآن الكريم، التي يغلب عليها استعمالُ النفس بمعنى الذات، مع أنَّ التدبرَ والتحقيقَ يدلاَّن على استعمالِ لفظ النفس في غير هذا المعنى أيضاً، كالذي نسميه الغرائز، وقد أهمل المؤلفُ استعمالات العرب في شعرهم ونثرهم لهذا اللفظ، كما أعرضَ عن الأحاديث النبوية، ولو حرص على التحقيق لما أهمل هذه الاستعمالات، ولما أتى بهذا الرأي الشاذ عن كل ما تعارف عليه الناس.

٢ - عرَّفَ الحديثَ الغريب تعريفاً شاذاً خالفَ فيه علماءَ هذا الفن الذين قرروا أنَّ الغريبَ يكونُ صحيحاً أو حسناً أو ضعيفاً، ولا يكونُ

---

(١) مع أن رأي المؤلف في القبر ليس جديداً، فقد قال الغزالي: ظن قوم أنه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر إلى أن يُعاد في وقت الحشر/ تهذيب الاحياء ج١، ص٣٠٩/ ٣١٠.

ضعيفاً فقط كما ذكر المؤلف، مع أنه ناقضَ نفسه واستشهدَ بحديثٍ غريب[1].

٣ - نسبته إنكار حد الرجم لجميع الخوارج، وهو للأزارقة فقط من بين أكثر من عشرين فرقة، وكذا نسبته إنكار عذاب القبر إليهم[2].

٤ - قولُه بأنَّ سورةَ النُّور نزلت في السنة التاسعة للهجرة[3]: والمشهورُ أنها نزلت في السادسة للهجرة، وهو إنما اخترع هذا ليقرِّبَ فترةَ تشريع حدِّ الجلد للزناة من آخر عهد النبي، ولتأييد الرأي الذي يتبّناه من أنَّ سورةَ النور نزلت بعد أن أقام النبي حدَّ الرجم على الزاني المحصن وليس قبل ذلك؛ وكذلك ليمرر رأيه في الحجاب الشرعي ومفهوم الزينة التي يجوز للمرأة إبداؤها؛ مع أنَّ ذلك لا ينفعه لإجماع الصحابة على الرجم قبل ظهور الخوارج، وبعد سورة النور[4].

٥ - وهنا نسجلُ على المؤلف خرقاً فاضحاً لمذهبه الذي يرفض فيه الأخذ بالاجماع، ويقتصر على إجماع الصحابة، فإنه هنا ترك إجماع الصحابة، وكان عليه أنْ يرفضَ رأي الخوارج لانه مخالفٌ للمصدر الشرعيِّ الذي صرَّحَ بأنه يأخذ به، مِمَّا يؤكد أنه لا يتمسك إلا بمصدر

---

(١) انظر المبحث الثالث عشر/موقفه من السنة/ البند السابع (كيف يفهم الحديث)/ ص٩٣ من هذا الكتاب.

(٢) نقل المؤلف عن الدكتور شرف القضاة أن ذلك عن بعض الخوارج فقط ص٣٥٦.

(٣) ص٢٢.

(٤) جاء في كتاب النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ج١ ص٤٠٠: أسند البيهقي إلى عمر قال: أن رسول الله رجم، ورجم أبو بكر، ورجمتُ، وسيكون قوم يكذّبون بالرجم والدجال، والحوض والشفاعة وبعذاب القبر..إلخ. /وانظر بداية المجتهد لابن رشد ج٢ ص٤٢٦، فإنه نقل عن الجمهور تخصيصهم آية الجلد بحد الرجم الثابت بعد ذلك بالسنة.

واحد هو: ما يخدم رأيه وهواه، ولهذا رفض الدلالات القرآنية والحديثية التي تخالف رأيه، فزعم مثلاً: أن القرآن الكريم ليس فيه دليلٌ واحد ولا حتى إشارة على عذاب القبر معرضاً بذلك عن جميع أقوال المفسرين وظواهر اللغة، فكلُّ ما في الأمر والحالة هذه: أنَّ المؤلف يشتهي أن يُلْغى حدُّ الرجم للزاني في الإسلام انكساراً في وجه التيارات العاتية الآتية من الشرق أو الغرب، كما فعل شيخُ الأزهر في قضية ختان البنات في مصر، وأبطل الأحاديثَ الواردة في ذلك كأنه لم يكن قد رآها ولا قرأها قبل الهجمة الإنسانية الأخيرة!! وهكذا صاحبنا المهندس لعلَّه رأى بتأثير الفكر والمقاييس الغربية أنَّ حد الرجم يشوِّه جمالَ الإسلام وسماحته، أو يظهره بمظهر همجي فاشتهى إنكاره، فما انْ عثر على قولٍ سابق أو معاصر يحقق هذه الشهوة حتى أمسكَ به فرحاً مسروراً، ولو خالف النصوص الصحيحة الصريحة كما نقلت لك من موطأ مالك.

وحتى ولو قرأ في الموطأ تحذيرَ عمر رضي الله عنه: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أنْ يقول قائل: لا نجد حدين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله ورَجَمْنا... إلخ[1].

وإذا لم يكن هذا هو الإجماع من الصحابة فكيف يكون إذن؟!!

٦ - لا يعترف بالتواتر المعنوي، مع أنه أحدُ شقي التواتر كما نقلت لك عن أهل الاختصاص في علم مصطلح الحديث[2]، وذلك لأن

---

(١) الموطأ / ص٥١٣.

(٢) جاء في كتاب المصباح في أصول الحديث ص٢٧ ما نصه: فالتواترُ قسمان: لفظي ومعنوي، والمعنوي: ما يفيد معنى واحداً ولو جاءت الأحاديث في مسائل مختلفة - أي اختلفت ألفاظها؛ وفي كتاب أصول الفقه لمحمد مصطفى شلبي: ص١٣٠: التواتر المعنوي هو أن يكون ما يرويه هذا الجمع مختلفاً في الألفاظ، لكن هذه الألفاظ متفقة على معنى مشترك.

اعترافه به يغلق عليه كلَّ بابٍ لإنكار عذاب القبر، الذي بلغت أحاديثه هذا الحد من التواتر المعنوي كما نقل في الكتب المؤلفة في الأحاديث المتواترة، مثل كتاب: نظم المتناثر في الحديث المتواتر للعلامة أبي عبدالله جعفر الحسني الكتاني، وغيره.

وقد نصَّ شيخُ الإسلام ابن تيمية على تواتر أحاديث عذاب القبر وفتنته في رسالة الفرقان؛ وكذا ابن الجوزي[1].

وقال في إرشاد الساري نقلاً عن صاحب المصابيح: كثرت الأحاديثُ في عذاب القبر حتى قال غيرُ واحد: إنها متواترة، لا يصح عليها التواطؤ، وكذا أحاديثُ الاستعاذة من عذاب القبر.

وقال اللقاني في شرح جوهرته لما تكلم على عذاب القبر ونعيمه: ودليل وقوعه: قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾، وأما الأحاديث فبلغت جملتها التواتر[2].

٧ - في ص٥٣ من كتابه أخبر عن النبيِّ عليه السلام أنه قتل مقاتلي يهود بني قينقاع، وهذا غلطٌ يدلُّ على عدمِ الدِّقة في جميع معلومات المؤلف في علوم الشريعة: لأنه يعتمد على كتب المطالعة، والثقافة العامة في غالب مراجعه، والصحيحُ أنه قتل مقاتلي بني قريظة.

٨ - إنكارُ الكرامات، وهو وإن لم يصرِّح بذلك إلا أنَّ تكراره عبارة: ذهبَ زمنُ المعجزات،يتضمَّنُ هذا الإنكار، لأنَّ المعجزةَ والكرامة خارقان للسنن الكونية، مع أنها ثابتة وواقعة في جميع عصور الإسلام ولم ينكرها أحد من الصحابة[3].

---

(١) نظم المتناثر / ص١٣.

(٢) نظم المتناثر/ ص٨٤.

(٣) وقال ص٧٢: معلومٌ أنَّ المعجزات حالات خاصة لا يُقاس عليها.

٩ - إنكارُ حديث المرور على الصراط، بل إنكار الصراط نفسه بالمعنى المشهور، مع أنه من أحاديث البخاري ومسلم[١].

١٠- قال في ص٥٧ في تفسير: إنَّ المتقين في جنَّات ونَهَر: بأنهم لوطٌ وبناته، وكل من على شاكلتهم من المؤمنين، ومع أن لوطاً عليه السلام وبناته في الجنة إلا أن السياق ليس فيه ما يدل على لوط في هذه الآية ولم يقل به أحد، وبين هذه الآية (٥٤، ٥٥) من الذاريات، وبين آيات لوط (من ٣٢-٣٩) فرق ١٤ آية.

١١- قال في ص٢١٩/ ٢٢١ في تفسير؛ ثم ننجي الذين اتقوا: اتقوا هنا تعني: اتقوا مجرَّد الشرك، ولو كانوا عصاة، بل ولو لم يكونوا مسلمين[٢] !!

١٢- في ص٥٩، حصرَ العرضَ بأنه: على النَّار، مع أنه يكون أيضاً على الله تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا . . . ﴿٤٨﴾﴾[الكهف]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴿٣٠﴾﴾ بعد قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ من سورة الأنعام.

١٣- قال عن يوم القيامة بأنه أيامٌ عدة، مع أنَّ الآية صريحةٌ في أنه يومٌ واحد، لكنه طويلٌ جداً على الكافرين، قصيرٌ على المؤمنين - أو سهل - وهو إنما أراد بذلك التأويل التدليلَ على وجود الغدوّ والعشي بكثرة يوم القيامة.

---

(١) انظر ص٢٣٤ (مناقشة حديث الصراط) من كتاب المؤلف/ وانظر تذكرة القرطبي ص٣٧٤-٣٩٢ والتعليق على آية ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

(٢) يتفق هذا التفسير «حيث يدخل غير المسلمين في المتقين» مع اتجاه عام نلحظه عند المؤلف في جميع مؤلفاته وآرائه، وهو تجديد مفهوم الإسلام ليصبح في رأيه أكثر قابلية في العصر الحاضر.

١٤- أكَّدَ في أكثر من موضع أنَّ مكانَ العذاب منحصرٌ في جهنم، مع أن الله يقول: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾[الرحمٰن]، أي بين النار وبين هذا الحميم شديد الحرارة، ويقول: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾[الواقعة] حيث عطف الإدخال في النار على النزل من حميم، وهو إنما أراد بذلك التوسل إلى نفي العذاب قبل ذلك، كما أنه قال في ص٦٦:

إن العذابَ لا يقعُ إلا على النفس بمفهومها الكامل عنده، مع أن العرض وهو نوعٌ من العذاب ليس كذلك باعترافه حيث سماه عذاباً نفسياً.

١٥- اعتقادُهُ أنَّ الروحَ موجودةٌ في النطفة وردَّ بهذا حديثاً في الصحيحين يدلُّ على تجدُّد نفخ الروح في الجنين، واضطرَّ في سبيل ذلك إلىتأويل آية السجدة التي تنصُّ على نفخ الروح بصرف ذلك النفخ إلى آدم، مع ما في ذلك التأويل من التكلُّف والتحكُّم وتفكيك الضمائر: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

١٦- قال في ص٧٨: وَكَّلَ الله بكل إنسان ملكين، أحدهما عن اليمين ـ جهة الكتف اليمين ـ والثاني عن الشمال ـ أقول: هذا تحديد وتفصيل بلا دليل إلا التفسيرات الشعبية، وهناك حديث بلفظ: «ان مقعد ملكيك على ثنيتيك..»، وفي نفس الصفحة قال قولاً لا دليل عليه، وهو: فإذا كان القولُ قد خُصِّص له ملكان... فإن الأفعال قد خصَّص لها ملائكة» والكرامُ الكاتبون وُصفوا بأنهم يعلمون ما تفعلون، وهذا لا يعني أنهم غير الملكين، قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان: أي ما ينطق بنطق... إلا والحالُ أنَّ عنده رقيباً، أي ملكاً مراقباً لأعماله شاهداً عليها لا يفوته

منها شيء... ثم قال: وما تضمنته هذه الآية: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ من أن الإنسان عليه حفظة من الملائكة يكتبون أعماله جاء موضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ.. ﴿١٠﴾﴾[الانفطار] و ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾[الزخرف]، ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ﴿٧٩﴾﴾[مريم][1].

١٧- إنكارُ وجود الشمس، أو اقترابها من الخلق ـ يوم القيامة ـ فيغرقون في العرق، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾[القيامة] مع أنَّ هذا اللفظ لا يفيدُ زوال الشمس، وهو ليس صريحاً في ذلك، وأمورُ الغيب لا تثبت إلا بالخبر الذي دلالته قطعية وصريحة[2].

١٨- اعتبر المؤلف منكر البعث موحداً ـ انظر ص١٢٢، ١٣٧، مع أن هناك آيات كثيرة تدل على التلازم بين الشرك وإنكار البعث: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ.. ﴿٢٢﴾﴾[النحل] أي تنكر وحدانية الله تعالى؛ والمؤلف نفسه قال في ص٥٨: ربط القرآن الكريم الإيمان باليوم الآخر مع الإيمان بالله تعالى.

١٩- قال عن حياة الشهداء: أنها ربما تكون مجازية، وذلك رغم القرائن الكثيرة التي تدل على أنها حقيقية، ولكنها حقيقة يعلمها الله تعالى ﴿يُرْزَقُونَ﴾ ﴿فَرِحِينَ﴾ ﴿۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾.

---

(١) ج٧ ص٦٥٠.

(٢) في صحيح الجامع ج١ ص١٩٦، وص٥٦٥: «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قيد ميل أو اثنين، فتصهرهم فيكونون في العرق كقدر أعمالهم، وقد ورد ذلك المعنى في حديث طويل متفق عليه، وفي البخاري: «الشمس والقمر يكوّران يوم القيامة» وقد يكون هذا الدنوّ عند المحشر، وزوالها بعد ذلك. وانظر ما ورد في مصير الشمس والقمر يوم القيامة في تذكرة القرطبي ص٤٥٧-٤٥٩.

٢٠- أخبر عن الصحابة: أنهم لم يسألوا النبي ﷺ عن عذاب القبر، مع انه ثبت السؤال عن عائشة رضي الله عنها «أفي القبر أو أللقبر عذاب؟ يا رسول الله؟»، كما ثبت ذلك عن عمر حين سأل عن سماع قتلى المشركين في بدر حين جلس النبي على باب البئر يخاطبهم بأسمائهم.

٢١- في ص١٤١ ذكر من أسماء النار: المشأمة، مع أن المشأمة تعني الشمال ولم ترد بهذا المعنى ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾﴾[البلد] وذكر ذلك في مقابل ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾، وهذا يظهر عدم رجوعه للتفاسير وإنما يُفسر برأيه.

٢٢- ادعاء الترادف بين عذاب القبر وعذاب النار ص١٤٦ وهو يريد التوسل بذلك إلى إنكار عذاب القبر، ويظهر أنه غير مقتنع بهذا القول، فقال في موضع آخر، المراد بعذاب القبر عذاب النار باعتبار ما سيكون!!

٢٣- قال في ص٣٠٧: إذا كانت هناك أسئلةٌ وأجوبةٌ من قبل الملكين، فتكون والإنسان حي، والأقربُ حصولُها وهو يحتضر وتلك لوحظت في الواقع كثيراً، إذ يرى بعض المحتضرين الملائكة فهذا ممكن ومعقول!!

أقولُ: هذا عجيبٌ من المؤلف، عجيبٌ منه قوله برؤية المحتضر للملائكة وقوله: لوحظ ذلك في الواقع، وقوله: هذا ممكن ومعقول، ولا ندري كيف قبل ذلك عقله وقد تعطَّلت حواسه، بل صار في غمرات وسكرات تتعطلُ معها مداركُه، فإن قال: ذلك يحصل بواسطة روحه فقد حكم على نفسه بوجوب تعميم هذه المعقولية في النفي والإثبات، في حالة الاحتضار وما بعدها، والروحُ قابلةٌ للإدراك بطبيعتها، سواء اتصلت بالجسد أم انفصلت

عنه، والذي يحصلُ عند مفارقتها الجسد ليس موت قابليتها للإدراك وإنما موتُ قابلية الجسد وحواسه لتلقي إرسالها، كما لو تعطلت أسلاك الاتصال، فإن ذلك لا يعني انعدام الطاقة في المولد الكهربائي.

٢٤- إنكارُ حجية خبر الآحاد في العقائد مع أنَّ الصحابة لم يفرقوا بين العقيدة والشريعة والعبادة عندما كان يرسلُهم النبيُّ لتبليغ هذه التعاليم، أو عندما يتبلغونها بطريق خبر الواحد أو الاثنين، وهذا يُعتبر بمثابة الإجماع من الصحابة على حجية خبر الآحاد دون تفريق[١] بل إنَّ القرآنَ الكريم الذي هو أصلُ أصول الدين كلها قَبِلَ زيدُ بن ثابت نقله بشهادة اثنين، وهما أقل من التواتر.

٢٥- ذكر أنَّ كتاب البرهان في علوم القرآن للسيوطي، مع أنه للزركشي، وإن لم يكن هذا من التسرع، فإنه دليلٌ آخر على عدم التحقيق في النقل.

٢٦- فسَّر القدر بالسنن الكونية[٢]، بمعنى تقدير الخواص في الأشياء وربطها بقوانين ثابتة[٣]، وهذا التفسيرُ وإن قبل على أنَّه من بعض مسميات القدر إلا أنَّ تفسير القدر بذلك غلطٌ فاحش ربما أوقعه فيه تأثره بكتاب وأفكار شحرور، الذي أنكر القدر المسبق للرزق

---

(١) اقرأ ما ورد في ذلك في الصفحات ٣٣٦-٣٣٩/ شرح الطحاوية طبعة المكتب الإسلامي ومن ذلك نقله عن الجهمية والمعطلة ـ والمعتزلة والرافضة قولهم: والآحاد لا تفيد العلم، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية ص٣٣٦.

(٢) في ص١٥، من المفاهيم الأساسية ذكر القدر (ثم وضع بعده بين قوسين السنن الكونية كأنهما مترادفان.

(٣) ص٢٨.

والأجل والسعادة ونحوها، وجعل ذلك تابعاً للنشاط والتطور الإنساني.

٢٧- قال في ص٧٥: قدَّر الله في الإنسان القدرة على خلق أفعاله بنفسه، وأكَّد هذه الفكرة بقوله ص٨٥: فهذا إقرارٌ من الله تعالى بالنص أن الإنسانَ قادرٌ على خلق الأشياء (من الطين على هيئة الطير) لكنَّ قدرته محدودة، ونسي هنا كعادته أنَّ هذا معجزةٌ لنبي، وأنه ذكر أن المعجزةَ لا يُقاس عليها، ولكنه يلزم غيره بما لا يلتزم به هو، وهنا نود تذكير القارىء بالموجِّه الأساسي لفكر هذه الفئة من الكتاب، وهو الحضارةُ الغربية التي تؤلِّه الإنسان باسم الحرية المطلقة في الفعل والتفكير[1].

---

(١) ومعلوم أن هذه الفكرة هي من أهم موجهات الفكر الاعتزالي وإليه ترجع سائر أفكارهم، وهم في ذلك مثل مَنْ سماهم النبي القدرية وشبههم بالمجوس.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ـ المقدمة ـ

الحمد لله الذي جعل آيات كتابه العزيز محكمات ومتشابهات، وجعل المحكمات أصلاً للمتشابهات تُردُّ إليها عند استغلاق فهمها منعاً للزلل أو ضرب كتاب الله تعالى بعضه ببعض.

والصلاة والسلام على من كانت سُنَّته شارحة للكتاب، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ . . . ﴿٤٤﴾﴾[النحل]، وما فارق الحياة إلا بعد إكمال الدين، وتبليغ الرسالة، وترك الأمة على المحجة البيضاء التي تشابه ليلها ونهارها في الوضوح. ورضي الله عن صحابته الغُرِّ الميامين، الذين باعوا أنفسهم لله تعالى دفاعاً عن دينه، وعملاً بكتابه وسنة نبيه،

وبعد:

فإنه ليسَ من خطرٍ على الأمة يوازي خطرَ تفرُّقها بعد وحدتها، واختلافها على دستورها الرباني بعد طول العهد باعتصامها به، وبعد أن رضيه الله تعالى لها عروةً وثقى؛ لما في ذلك من انعكاساتٍ ضارَّة على أجيالها الناشئة في عقيدتها وفكرها وسلوكها، وحياتها بشكل عام، حاضراً ومستقبلاً.

ففي موضوع هذا الكتاب ـ عذاب القبر ـ الذي أثيرت حوله شبهات من قبل بعض الجهات أفراداً وجماعات، تدفعهم لذلك أغراضٌ شتى، في هذا الموضوع نتبيَّنُ حَجْمَ الضرر الذي يمكنُ أن يتركَهُ في عقول الشباب بشكل خاص حين يقال لهم: إنَّ هذه العقيدة التي درجت عليها الأمة طيلة هذه القرون المديدة ما هي إلا خرافة وسخافة، وأنها من أسباب تخلف هذه الأمة الآن وعدم نهضتها في شتى الميادين[1].

---

(١) قال جواد في ص٣١٥، ٣١٦: لعل المسلمين لو نظروا إلى حالهم اليوم... لأدركوا مدى ما أوصلهم إسلامهم التقليدي هذا إليه من ذل وقهر.

سيقول هؤلاء الشباب: من حقِّنا أن لا نثقَ بفكر آبائنا وأجدادنا بل ينبغي أن ننسلخ من تاريخنا وتراثنا ما دام قد ثبت أنَّ جماهير علماء وعقلاء هذه الأمة قد أطبقوا على عدم فهم المراد من آيات القرآن الكريم، أو السنة المطهرة، وغرقوا في حمأة التقليد الأعمى، وصُحِّحت أحاديث ثبت بطلانها سنداً أو متناً في القرن العشرين، وفي أمور أساسية؛ فلا ثقة بمفسرين كنا نعتبرهم أئمة مشهورين، ولا ثقة بكبار أئمة الحديث وقد انكشف الغطاء عن أبصارنا وبصائرنا، وانقلبت الموازين والقيم، فصار الحق باطلاً والباطل حقاً!!

ويتضاعفُ حَجْم الخطر والضرر عندما يكثر المتربصون بنا، والذين حرصوا وخططوا طويلاً لإيصال أمتنا وأجيالها إلى هذه الحال من الاختلاف والتناحر، وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه، وضرب القرآن بعضه ببعض، أو ضرب القرآن بالسنة، أو ضربه بأفهام حرقها الهوى، وحركتها نزوات النفوس وشهواتها.

أوَ ليس من التضليل المكشوف أن يُردَّ ضعف الأمة وتخلفها عن ركب الحضارة المزعوم إلى إثبات عذاب القبر؟! رغمَ أنَّها عقيدةٌ عاشت مع الأمة منذ خير القرون، ورغم أنَّ الأمة عاشت وعرفت فترات عزٍّ ومجد ونهضة في شتى الميادين مع وجود هذه العقيدة، فلماذا هذا البعد أو الإبعاد عن الواقع الحقيقي والأسباب الموضوعية التي لا يختلف عليها عاقلان مخلصان لضعف هذه الأمة، ولماذا لا نعترف بأنَّ من أهم أسباب تخلفنا هو تفرقنا، وتغليب المصالح الشخصية على المصلحة العامة، وتضخيم الأنا في أعماقنا، وانعدام الرابطة العقدية والثقافية والمركزية الفكرية، حتى صار في أعماق كلٍّ منا فرعونٍ يصرخ: أنا ربكم الأعلى!! وقارون ينادي: إنما أوتيتُه على علم عندي!!

إنني أرى الداء العضال في نفوسنا نحن بني آدم الذين حُمِّلْنا الأمانة ظلومين جهولين، وإلا فلماذا قتل قابيل هابيل؟! ولماذا عُبدت الأبقارُ والفئران، وأوثان الأرض والسماء، ولماذا افترقت أمم الأديان الكبرى إلى ما هو أكثر من سبعين فرقة مع أن دين أنبيائها واحد[1]؟! ثم لماذا كانت معركة صفين والجمل؟ أفلم تكن حجة كل من الفريقين من القرآن والسنة: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴿٣٣﴾﴾[الإسراء] «عمار تقتله الفئة الباغية»؟! ثم لماذا تُعتقَدُ العصمةُ في أشخاص من البشر غير الرسل كما عند قطاع كبير من المسلمين، إلى غير هذه التساؤلات التي تختزل كل قضايانا وخزايانا ـ وليس قضية عذاب القبر فقط ـ في قضية واحدة سجلها الله تعالى في الأزل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ... ﴿١١٩﴾﴾[هود].

هذا وسنجد بعد قليل منهج مؤلف «حقيقة عذاب القبر» في هذه المسألة وغيرها من الموضوعات التي ألّف فيها وخالف فيها: أنه لم يشذ عن هذه المقررات التي ذكرتها حول السبب الرئيس في إثارة الخلافات بين فترة وأخرى، وفي أمورٍ كانت مثارَ خلاف في السابق، ثم رأى البعضُ في تجديد إثارتها فتحاً أو مكسباً جديداً في عالم الشهرة، باسم الانتصار للحق أو النصح للأمة!!

وقد حرصتُ في ردي هذا على التأني وإطالة النظر في هذا الكتاب، حتى لا أقول فيه إلا بدليل، وكي لا أترك له مجالاً للتمَلُّصِ والتخلُّص مما أسجله على منهجه، وأنا مع ذلك طامعٌ وقاصدٌ في الوقت نفسه أن يكونَ رداً موضوعياً بغية إقناعه إما بالعدول عن هذه المسألة أو هذا الميدان بعامَّة: ميدان تجديد الخلافات القديمة ـ وإما إقناعه بالتخفيف من أهميتها؛ وإنْ لم أُفلح معه في واحدٍ من هذين الغرضين أو كليهما فيبقى رجائي في

---

(١) ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴿٩٢﴾﴾[الأنبياء] و﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون].

تهدئة ثائرة الشاكّين أو وقاية من عسى أن يشكوا مِمَّنْ لا يتمتعون بالحصانة المعرفية الكافية ضدَّ هذه الشبهات، لا سيما وأنني قد آثرتُ في ردِّي أنْ أتعاملَ مع منهجِ المؤلف أكثرَ مما أتعامل مع الموضوع مباشرة، كي أتخلَّصَ من حملات الكر والفر الفارغة، ومما دفعني أيضاً للتركيز على المنهج، أن الموضوع ليس مجهولاً ولا جديداً، فمسألة عذاب القبر تجاوزت الأدلة والنصوص واستقرت في أعماق نفوس العامة والخاصة على السواء بإيجابياتها وسلبياتها[1]، إضافة إلى الكتب الكثيرة المؤلفة حول هذا الموضوع، أو الأبواب والعناوين المخصصة له في كتب العقيدة وفي التفاسير والسيرة، مما يجعل التركيز على الموضوع نفسه فقط إثباتاً أو دفاعاً غير ذي جدوى كثيرة.

ثم إن التعامل مع المنهج مسلكٌ موضوعي يفرض احترامه على القارىء الواعي المنصف إن لم ينفع مع المؤلف نفسه لأسبابٍ قد تَخْفى علينا، وهو يفرض نفسه لأنه سيعتمد على أقوال المؤلف بدون تحريفٍ أو تصرف[2].

هذا وإني لأرجو أن لا يضيق صدر المؤلف بهذا الرد متذكراً رجاءه لإخوته المؤمنين أن يُصَوِّبوا أخطاءه، وأن لا يبخلوا عليه بآرائهم للتعاون على إظهار الحق[3].

وقد جعلت هذا الرد في فصلين، الفصل الأول لتحليل منهج المؤلف والفصل الثاني لمناقشة المؤلف في شبهاته التي استدلَّ بها أو أثارها لنفيعذاب القبر، وأتبعت هذين الفصلين بملحقين ثم الخاتمة.

---

(١) أقصد بالسلبيات المبالغات، وما أُضيفَ بدون دليل أو بأدلة ضعيفة؛ حتى صُوِّر القبرُ عند بعض فئات المسلمين كأنه بيتٌ آخر بحياة عادية.

(٢) وهو أيضاً يصلح لرد جميع المناهج المشابهة له، وهي المناهج التي تُميز معظم ما تفرزه عقول مفكرين محسوبين على المسلمين في هذا العصر.

(٣) المقدمة/ ص٨.

ورجائي من الله العلي القدير أن يجعل عملي هذا مساهمة متواضعة في الدفاع عن دينه، وأن يريني ثماره بعد موتي وفي حياتي ويومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين، كما وأرجوه أن يغفر لي ولوالديَّ وأن يرحمهما كما ربياني صغيراً.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ـ الفصل الأول ـ منهج المؤلف

المبحث الأول

«لغة الكتاب»

من المؤسف أن نجد مَنْ يتصدى لخوض ميادين دينية علمية عمدتها اللغة العربية والتمكن منها، ومع ذلك نرى أنهم لا يخجلون من ضعفهم المزري، ولا يرون أنه مانعٌ من السير في هذا الطريق الشائك عناداً منهم ومكابرة، أو رغبة في الشهرة والمتاجرة.

ومما يُضاعف هذا الأسف أن مؤلف هذا الكتاب قد اعترف في مواضع من كتابه بشرطية التمكن من اللغة العربية لفهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه، وسنرى أنه لم يَتحقَّقْ بهذا الشرط، وأول ما نسجله عليه أنه يستعين بابنه المعلم للغة العربية في مدرسة ثانوية، ومع ذلك فقد جاءت لغة كتابه، وسائر كتبه ركيكة مفككة الأوصال، كثيرة الاستطراد والتكرار، ضعيفة التماسك بين الفقرات تحت العنوان الواحد، حتى إنه ليمكن جمع المجلد الضخم منها في أقل من ربع حجمه.

وإليك بعض ما ورد في كتابه من شواهد على ضرورة الاهتمام باللغة العربية بل اشتراط ذلك قبل الإقدام على البحث في الأمور الدينية:

١ - في ص٢٩، ٣٠ قال: لا بد من دراسة اللغة العربية دراسة جادة، والتبحّر فيها... لنستعين بها على فهم القرآن، وإلا فما فائدة إنزاله بلسان عربي مبين؟!

فهذا القولُ منه كافٍ للحُكْمِ على أفكاره قبل المواجهة الشاملة والمناقشة التفصيلية، لأنه لم يتبحّر، ولم يدرسها دراسة جادة: «نحواً و صرفاً وبلاغة، ونقداً، وعلم أساليب، وتاريخ أدب،

وممارسة أشعار العرب وخطبهم ومقاماتهم وسائر فنونهم الأدبية، ووسائل تعبيرهم».

بل قال لي في مجلس جمعني معه مصادفة وبأسلوب تهكمي: «يعني لازم أكون قوياً في النحو حتى تسمحوا لي بالكتابة؟!»

والمدقق في تعبيرات المؤلف يجد أنه يبالغ كثيراً في اتهام مخالفيه بسوء الفهم حتى ولو كانوا من السلف، بما يوحي ويعني بوضوح أنه قد امتلك أزمّة الفهم، وأصبح في موقع يتيح له نقد أئمة العلم والبيان، وأساطين الفصاحة والبلاغة!!، وإليك بعض نماذج هذا النقد:

٢ - في ص١ قال: واستدلوا على وقوع عذاب القبر بآيات قرآنية لم يفقهوا معانيها، وبأحاديث نبوية لم يحسنوا فهمها.

٣ - وفي ص١٨ قال: لكن ما قصدته هو بيان وقوع أخطاء في فهم بعض الآيات والأحاديث... وصار بالإمكان الآن إعادة الحق إلى نصابه.

٤ - وفي ص٢٤ قال: ناهيك أنه ربما غيَّر الراوي من سوء فهمه قول النبي ﷺ.

٥ - وفي ص٢٦: من المسارب التي دخلت منها الخرافة إلى العقل المسلم سوء الفهم عند بعض العُربان (!!) الذين كانوا بعيدين عن المدينة المنورة.

٦ - وفي ص٣٨: من عوامل الاختلاف في الأحاديث عند السلف سوء فهم معاني بعضها، أو خطأ في فهم السلف لها[1].

---

(١) هذا غيض من فيض هذه الاتهامات، وما أكثر ها في كتابه.

٧ - ومن شواهد اهتمامه باللغة أيضاً قوله في ص٣٠: القرآنُ صالح لكلِّ زمان ومكان شريطةَ صِحَّة فهمِ المطلوبِ منه.

٨ - ومن الشواهد أيضاً تخصيص مبحث للتعريفات، والاعتماد على المعاجم اللغوية، كتعريف النفس والروح، والتوفّي، والموت والبرزخ، والعذاب، والحياة الدنيا، والحياة الآخرة، والوعد الآخر، والعرض، والورود إلى غيرها من المصطلحات القرآنية والحديثية، ومعلومٌ أن هذه التعريفات تحتاج إلى باعٍ طويل في مطالعة كتب اللغة، واستيعاب آيات القرآن حِفْظاً وفهماً، واستعمالات أئمة اللغة شعراً ونثراً، وأهل الشأن المختصين، دون أن يكون للتحكم والهوى في تقريرِ وتوجيهِ معانيها أيّ دور[1]، خلافاً لما ستراه في منهج المؤلف من تَحكُّمٍ واختيارٍ للمعاني التي تساهم في تأييد وجهة نظره في موضوع عذاب القبر وما يتصل به.

٩ - قوله في ص٧: أوضحتُ الفهمَ الصحيح للأحاديث.

١٠- وفي ص١٢، ١٣: صار واضحاً أن المقصود بعذاب القبر لا يمكن إلا أن يكون هو عذاب الآخرة على اعتبارِ ما سيكونُ، وليس كما فهمه البعض.

إنني أشارك المؤلف رأيه هذا في إظهار أهمية اللغة، وأؤكد له وللقراء أن المحور الأساسي الذي أُديرت عليه الخلافات حول هذا الموضوع هو اللغة ما دام قد اعترفَ صراحةً بوجود أحاديث صحيحة سنداً ومتناً، وهو على استعداد للاعتراف بكونها متواترة، ولكنه

---

(١) ورد في كتاب الشخصية الإسلامية: /ص٢٢٢/ج٣: ومما يجب التنبيه إليه إن دلالة ألفاظ التشريع إنما يُرجَعُ فيها إلى اللغة العربية وإلى النصوص الشرعية، وقال ص١١٨: ولذا فطريق معرفتها (معاني اللغة) أن تؤخذ عنهم لأن المسألة ليست عقلية.

سيخرجُ من عُهدتها رغم ذلك من خلال التحايل على المتن وصرفه عن ظاهر دلالته اللغوية، مما يدل على أن اللغة عامل أساسي في حسم هذه القضية ولكن لذلك الحسم شرطان:

الأول: يتصل بالإخلاص في الرغبة في معرفة الحق والوقوف عنده بعد المعرفة.

والثاني: استجماع شروط الإلمام اللغوي بالتبحر والدراسة الجادة كما ذكر وما دام هو قد طعن في فهم السابقين أهل اللغة سليقةً وفطرة، واللاحقين مُدارسةً وممارسة، ولا سيما فهم المراد من عذاب القبر والمراد من واو العطف ومن حرف أو وسائر حروف العطف: «ثم، والفاء» إذن فمن المفترض أنه مُؤَهَّلٌ لغةً لأن يأتي بما لم يأتِ به الأوائل كما قال أبو العلاء المعري في زمانه:

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

واحترم الناس شعر أبي العلاء رغم ما تضمنه من التطرف أحياناً لأنه أتى بكثير من الجديد المفيد، ووفى بوعده إلى حد بعيد، ولكن مؤلفنا لم يَفْرِ فريَ أبي العلاء، ولم ينسج على منواله في الإبداع والإنشاء، وإنما اكتفى بالطعن والتشكيك بمتهافتٍ من القول والأسلوب الركيك، وهو وإن أتى بغير ما أتت به الأوائل فما كان ذلك منه إبداعاً يُحْمَدُ عليه، وإنما ابتداعاً يُذم عليه، فما وافقَ النبيَّ إذ قال: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رَدٌّ» وما وافق قولَ ابن مسعود: «اتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا فقد كُفِيتم».

ولما كنا لا نطمع في حمل المؤلف على قبول نُصْحنا له بأن يَلمَّ أسلحته وينسحب من هذا الميدان لِمَا سمعنا منه وعرفنا عنه من شدةِ الصَّدِّ واستحالةِ الإذعان، فلم يبق إلا أن نقرأ كتابه بتأنٍّ تام، ثم

نحكم على مستواه اللغوي، وهذا ما فعلتُ، فقد قرأت الكتاب مراراً فاكتشفتُ ضعفَ المؤلف في اللغة، وأنه لم يلتزم بالشرط الذي اشترطه على كل من يحاول فهم القرآن والأحاديث، مما يُبْطِلُ تلقائياً الثقةَ بأهليته لتناول أي موضوع يرتبط بأصول الدين، وهذا هو فياعتقادي المدخل الرئيس لهذه المسألة، والله تعالى قال في كتابه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴿١٨٩﴾﴾[البقرة] وبابُ هذه المسألة هو اللغة، ومن هنا فإني أَردُّ فشلَ كل محاولات النقاش والإقناع مع المؤلف لكونها لم تدخل من هذا الباب؛ وإنما من باب حشد الأدلة ومبادلة الاتهامات، والمؤلفُ مصارعٌ ماهر في هذا المجال يرد الكيلَ كيلين والمَسَبَّةَ مسبات!!

والآن سأضع أمام القارىء أمثلة ونماذج من مظاهر الضعف اللغوي في هذا الكتاب، تاركاً للقراء الكرام الحكم بعد ذلك له أو عليه، فإن كانت الأولى سارعتُ إلى الاعتذار والاستغفار، وإن كانت الثانية فقد بالغتُ في الإعذار والإنذار، ونَبَّهْتُ الغافلين من سرعة الاغترار:

أولاً، أخطاء نحوية وصرفية وإملائية:

ـ في ص٩/ سنة مائة هجري.	والتصحيح: هجرية.
ـ في ص٩/ إلى معسكرات ثلاث	والتصحيح: ثلاثة.
ـ في ص٦/ إلى ثلاثة مجموعات	والتصحيح: ثلاث.
ـ في ص٨/ أن يصوّبوا ما كان خطأ	والتصحيح: من خطأ.
ـ في ص١١/ أو يجرح	والتصحيح: أو يجرحه.
ـ في ص١١/ خاصة	والتصحيح: وبخاصة.
ـ في ص١٧/ وإعطائهم الأموال	والتصحيح: وإعطاؤهم.

ـ في ص٢٠/ أحد الحديثين الذين والتصحيح: اللذين.

ـ في ص٢٠/ وليس يخلوا والتصحيح: بدون ألف (يخلو)

ـ في ص٢٧/ من حيث كونها كلام حلو منمق والتصحيح: كلاماً حلواً منمقاً.

ـ في ص٣٢/ ما دام الله قادر والتصحيح: قادراً.

ـ في ص٣٣/ وما بينهما إلا يوماً والتصحيح: يومٌ.

ـ في ص٤٠/ التي تدعوا والتصحيح: تدعو.

ـ في ص٤٦/ لا يقال أن له نفس والتصحيح: أن له نفساً.

ـ في ص٥٠/ تسمى برزخ والتصحيح: برزخاً.

ـ في ص٦٥/ يعيدهم الله أحياء ويحشروا والتصحيح: ويحشرون.

ـ في ص٦٥/ وهم الكفار والمنافقين والتصحيح: والمنافقون.

ـ في ص٦٥/ أي مربوطون والتصحيح: أي مربوطين.

ـ في ص٦٦/ فيشتاط ألماً والتصحيح: فيشتط.

ـ في ص٧٠/ سمى (نفس) والتصحيح: نفساً.

ـ في ص٧٣/ تحدي الملائكة الحاضرون، الباسطون والتصحيح: الحاضرين، الباسطين.

ـ في ص٧٧/ مع كون علمه مطابق والتصحيح: مطابقاً.

ـ في ص٧٨/ أوكل بكل إنسان ملكان والتصحيح: ملكين.

ـ في ص٧٨/ وأنهما قاعدين معه والتصحيح: قاعدان.

ـ في ص٨٤/ لكونهم أموات والتصحيح: أمواتاً.

ـ في ص٨٧/ وهم غزاة أو مسافرين والتصحيح: أو مسافرون.

ـ في ص٨٩/ يكون له من الأمر شيئاً والتصحيح: شيء.

ـ في ص٩٠/ وليس كل متوفى ميت والتصحيح: ميتاً.

ـ في ص٩٢/ لكون القبر مرجع أو مستقر والتصحيح: مرجعاً أو مستقراً.

ـ في ص٩٢/ أن هناك بعثاً وحساب	والتصحيح: بعثاً وحساباً.
ـ في ص٩٤/ ٣٦٥ يوم	والتصحيح: يوماً.
ـ في ص١٠٤/ مع كونه ضعيف	والتصحيح: ضعيفاً.
ـ في ص١٠٧/ والدهشة من المفاجئة	والتصحيح: المفاجأة.
ـ في ص١٠٨/ لا محامين هناك ولا أعوان	والتصحيح: ولا أعواناً.
ـ في ص١١٣/ ويتسائل	والتصحيح: ويتساءل.
ـ في ص١٢٩/ ووقت العشاء	والتصحيح: العشي، لأنه من زوال الشمس إلى أول وقت الليل بخلاف العشاء.
ـ في ص١٣١، وجعله العرض سابق	والتصحيح: سابقاً.
ـ في ص١٤١، والمشأمة	والتصحيح: ليست من أسماء النار وإنما المشأمة هي الشمال، عكس الميمنة.
ـ في ص١٥٤/ وهذا كثير ما يحدث	والتصحيح: كثيراً.
ـ في ص١٥٥/ رواهما راويين	والتصحيح: راويان مشتركان.
ـ في ص١٧٨/ يمكن أن تكونان	والتصحيح: تكونا.
ـ في ص١٧٩/ فليس له معنى محدداً	والتصحيح: معنى محدد.
ـ في ص١٨٢/ سوى الثقلان	والتصحيح: الثقلين.
ـ في ص١٨٨/ وأن منهم المسلمون	والتصحيح: المسلمين، إلا إذا حمل على الحكاية القرآنية ولكنه لم يكتب على شكل آية.
ـ في ص١٩٥/ سوى واحداً أو اثنان	والتصحيح: أو اثنين.
ـ في ص١٩٧/ والعقيدة بل من هي أهم	والتصحيح: بل هي أهم.

ـ في ص٢٢٦/ ومن أنكرها	والتصحيح: ومن أنكرهما.
ـ في ص٢٢٨/ وهم جاثون مخزيون	والتصحيح: الأقوى أن يقال: مخزيين لتكون حالاً من «جاثون»
ـ في ص٢٢٩/ أن هناك حساب وعذاب	والتصحيح: حساباً وعذاباً.
ـ في ص٢٣٠/ مع انهم المؤمنين المتقين	والتصحيح: المؤمنون المتقون.
ـ في ص٢٣٠/ ترتب أموراً كثيرة	والتصحيح: أمور كثيرة.
ـ في ص٢٣١/ لا يرونها ولا يقتربوا	والتصحيح: ولا يقتربون.
ـ في ص٢٣٢/ لتقربهم زُلْفاً	والتصحيح: زُلفى. وهذا غلط لغوي وقرآني مثل المشأمة.
ـ في ص٢٣٢/ أو لتقربهم	والتصحيح: الآية في سورة الزمر: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله، فلا داعي لذكر أو.
ـ في ٢٣٣/ أو وَهَم فيها	والتصحيح: وَهِمَ فيها.
ـ في ص٢٣٦/ فجاء كل ما فيه مخالفٌ	والتصحيح: مخالفاً.
ـ في ص٢٣٦/ متناقض معه	والتصحيح: متناقضاً معه.
ـ في ص٢٣٧/ بما فيهم المسلمين المؤمنين والمرسلين	والتصحيح: المسلمون المؤمنون المرسلون.
ـ في ص٢٣٩/ فإذا كان الكفار المكذبين	والتصحيح: المكذبون.
ـ في ص٢٣٩/ وعندما وعد المؤمنين	والتصحيح: المؤمنون.
ـ في ص٢٤٠/ بحيث يحكموا	والتصحيح: يحكمون.
ـ في ص٢٤٣/ على وهاء	والتصحيح: وَهْي، مصدر وهى
ـ في ص٢٤٣/ ولا يجوزون عنها	والتصحيح: لا تتعدى بعن، وإنما بنفسها أو بعلى، أو بالباء

ـ في ص٢٤٨/ جاز فرعون وملئه والتصحيح: وملؤه، ثم هنا خَلْطٌ بين الملأ والقوم، فالملأُ هم الأشراف والسادة، وورودُ النار ليس مقتصراً على الملأ.

ـ في ص٢٥٢/ جعلت الموت جمود والميت جماد والتصحيح: جموداً، وجماداً.

ـ في ص٢٧٣/ ولمن إذاً يكون بعثاً ونشوراً والتصحيح: بعث ونشور.

ـ في ص٢٧٨/ فيسوءه والتصحيح: فيسوؤه.

ـ في ص٢٨٦/ فهناك الخلق أطواراً والتصحيح: أطوارٌ.

ـ في ص٣٠٣/ أن يَعذَك والتصحيح: يُعيذك.

ـ في ٣٤٢/ المقصود هم الصحابة والتابعين والتصحيح: والتابعون.

ـ في ص٣٤٢/ بأن فلان والتصحيح: فلاناً.

ـ في ص٣٤٣/ البخاري ومسلم وغيرهم والتصحيح: وغيرهما.

ـ في ص٣٤٦/ أن يكون هناك عذابين والتصحيح: عذابان.

ـ في ص٣٤٧/ ومن يتبعُ والتصحيح: يتبعْ.

ـ في ٣٤٩/ كدتم توصلوه والتصحيح: توصلونه.

ـ في ص٣٤٩/ أن هناك فرق والتصحيح: فرقاً.

ـ في ص٣٥٩/ ناهيك أن في ذلك إثبات والتصحيح: إثباتاً.

ـ في ص٣٦٣/ ولما كان وعد الله حق والتصحيح: حقاً.

ثانياً: مآخذ لغوية ترجع إلى السبك وتأليف الجمل، وترتيب الفقرات، وسلامة التعبير:

١ - في ص١٤٠/ أما النار فذكر من درجاتها الدرك الأسفل، والأصح (دركاتها).

٢ - في ص٤١٣/ ثم يصعق كل من كان حياً فينفخ في الصور ثانية، الأولى أن يقال: ثم ينفخ.

٣ - في ص١١٨/ قد علمنا من السنة أن من أمة محمد سبعين ألفاً.. إلخ وبعد ذلك مباشرة، قال تعالى: في سورة النحل: ﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴿١١١﴾﴾[النحل]، فبعد أن كان يتكلم عن الذين يدخلون الجنة بلا حساب ينتقل دون أَيِّ رابط للإخبار عن مجادلة النفوس وهذا خلط وتفكيك.

٤ - في ص١٥٠/ بين الله أن الأسباب تتبع مسبباتها، والأولى أن يقال: المسببات تتبع أسبابها.

٥ - في ص٩٠/ وهناك تَوفِّي الملائكة للظالمين يوم القيامة، أي سيطرتهم التامة عليهم واستلامهم لسوقهم إلى النار. وهذا تفسير غريب، فلم يفسر أحد التَّوفِّي بالسيطرة والاستلام للسوق إلى النار.

٦ - وفي ص٧٢/ ويفهم من هذه الآية: أن كل مؤمن سيجد في الآخرة سجل أعماله... إلخ مع أن «كل نفس» في الآية عامة في المؤمن وغيره.

٧ - وفي ص٦٦/ وذلك أشد ما يكون ألم الحرق، بعد قوله في ص٦٥: فإذا أدخلوا النار أول ما تغشى النار وجوههم، تعبير ركيك، لأنه يريد أن يقول: فإذا أدخلوا النار فإنها أول ما تغشى وجوههم، وذلك أشد ما يكون من ألم الإحراق.

٨ - في ص٥٦/ لكنه تعالى لم يتركه هكذا (أي لم يخلقه ويتركه يختار الخير أو الشر معتمداً على نفسه فقط، فكلمة «لكنه» ليست في موضعها بعد قوله «بل» في ص٥٥/ وكلمة «هكذا» لا معنى لها، علاوة على أن الفقرة من قوله: وعلى الرغم إلى آخرها علاقتها بفقرة العذاب أوضح من علاقتها بالحياة الدنيا ص٥٤.

٩ - في ص٥٠/ وقد دخل «البرزخ» عالم الغيب، أو المتشابه، لذا نكتفي فيه بما جاء في كتابه الكريم قوله تعالى. . .إلخ، في هذه العبارة مآخذ:

أ) الدقة أن يقول: من قوله تعالى.

ب) لم تكتفِ بذلك، بل قست المجازيَّ على الحقيقي وفسرتَه به كما في الاستشهاد بالآيتين، والتعليق بعدهما.

جـ) الأدق أن يقال: دخل ما بعد الموت، أو ما وراء البرزخ، مع أن البرزخ أيضاً غيب[1]

١٠- في ص٣/ لاحظ هنا قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي أمامهم بعد موتهم، ولم يقل أمام أرواحهم/ لأن الروح لا تكاد تفارق الجسد عند الموت حتى تعود إليه عند البعث. . ./ ماذا يُفهم من هذه العبارة؟

الجواب: يفهم منها أمور:

أ) أن البرزخ أمامهم وليس أمام أرواحهم.

ب) قوله: لأن الروح. . .إلخ كلام غامض جداً ولا يمكن تصوره، ولكنه أراد به أن ينفي مرحلة البرزخ للوجود الروحي فاختزلها بهذا التعبير الغامض، وهنا نُذَكِّرُ المؤلفَ والقارىءَ بما أَكثرَ

---

(١) في موضع آخر أنكر المؤلف أنه من الغيب، وهذا من تناقضاته.

المؤلفُ من الاستدلال به وهو حديث: «انطلقوا به إلى آخر الأجل» فهناك أجلٌ إذن تعود بعده، وليس كما قال: تعود فور مفارقتها الجسد إليه بعد البعث، فهو كلام يشبه التخريف؛ ثم اقرأ بعد هذه العبارة مباشرة قوله: فقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ لا يبعد كثيراً عن «من وراء أرواحهم»، ثم قارنه بما تحت رقم١ فيما سبق، أفلا ترى التناقض واضحاً بينهما؟! لم يقل أمام أرواحهم، ولا يبعد كثيراً عن: من وراء أرواحهم.

١١- في ص٢١٨/ الورود مصطلح قرآني استخدم على الحقيقة في الهجوم على الماء بقصد الأخذ منه أو الدخول فيه، واستخدم مجازاً للدخول في النار والاحتراق فيها، ولكل ما يدخل صندوق الدولة. . . إلخ.

فأقول:

أ) كلمة الهجوم لم تستعمل في كتب التفسير ولا في المعاجم وهي عبارة نابية.

ب) كلمة ورد في الاصطلاح القرآني لم تستعمل لهذا فقط، وإنما بمعنى الإشراف على الشيء (سواء كان ماءً أو غيره)، وجاء في لسان العرب عن ابن سيده: ورد الماء وغيره وروداً وورد عليه: أشرف عليه، دخله أو لم يدخله.

جـ) والمؤلف خالف الأصل الذي نقله في معنى الورود عن ابن فارس، وهو الموافاة إلى الشيء.

د) من أين جاء بقوله: واستُخدم مجازاً للدخول في النار والاحتراق فيها؟! بل هو حقيقة، ولكن ليس في الدخول وحده.

والحاملُ للمؤلف على هذا التلاعب بمعنى هذه اللفظة خدمةُ رأيه في إنكارِ المرورِ على الصراط الذي فسر به قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ

﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي دَاخِلُها على رأيهِ، وهو لا يقولُ بالتعميم في الدخول للكافرين والمؤمنين.

١٢- في ص١٦٦/ في حين قال مالك في الموطأ: «ولقد أوحي إلي...».

أقول: هذا قول النبي، وليس هكذا يُروى الحديث، ولا يُفترض في القراء أن يكونوا متابعين لفقرات كتاب المؤلف فقرة فقرة حتى يعرفوا قصده.

١٣- في ص١٥٩، ١٦٠/ أورد كلمة أما خمس مرات وفي غير موضعها.

١٤- وفي ص١٥١/ ويفهم من هذا الحديث أن الأموات أو أرواحهم ترسل إلى برزخ... إلخ ماذا يفهم القارىء من هذه العبارة؟

الجواب:

أ) إن الأموات يرسلون إلى البرزخ، أو أرواحهم، وهذا غير صحيح عند المؤلف، لأن أو، على رأيه للتخيير.

ب) يفهم أنها ترسل إلى برزخ وهذا خلط وسوء فهم للبرزخ، فليس القبر هو البرزخ ولا البرزخ هو القبر «بمعنى الترادف أو التطابق» ولا البرزخ مكان محدد، بل هو حاجز فقط، ولفظ الآية: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾، ولم تقل: ترسل إلى برزخ، والحديث لم يقل إلا: انطلقوا به إلى آخر الأجل، وهو يوم البعث وليس البرزخ، دون تحديد مكان الانطلاق به أو محطة الانتظار.

١٥- في ص١٤٩/ ثم أراد تقريبه إلى الذهن وزيادة الشعور بقربه «أي حين عطف، فقال: من عذابٍ في النار أو عذاب في القبر» فأتى برديفه، وهو عذاب القبر.

أقول:

أ) كلمة رديف ليست دقيقة بل ولا صحيحة إن قصد بها معنى الترادف، فالصحيح أن يقال: بمرادفه.

ب) أين ورد في اللغة أن عذاب النار مرادف لعذاب القبر[1]؟!

جـ) وإذا أخذنا معنى الترادف مضموماً إليه معنى (أو) التي للتخيير عندك، فكيف يكونُ التخييرُ بين الشيء ونفسه؟!

د) ثم من أين هذا الاستشرافُ والاستشفاف لأعماق نفس النبي عليه السلام حتى يقال: أراد كذا وكذا؟!

١٦- وفي ص١٣٤/ فالميتُ شيء، إلا أنه لا ذِكْرَ له، لأنه غائبٌ عن الوجود، ولأنه أقل وأحقر من أن يذكر، أقول: كلمة أحقر غير مناسبة لتكريم الإنسان حياً وميتاً، وقد منّ الله تعالى على الإنسان بنعمة الدفن: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾﴾[عبس].

١٧- وفي ص١٢٨/ وانظر التأكيد في «إنما» أي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٨٥﴾﴾[آل عمران]،

أقول:

أ) إنما للحصر لا للتأكيد.

ب) ثم قوله: انظر التحديد في يوم القيامة، وقوله: هل هناك أجور قبل يوم القيامة؟! وقد غاب عنه أن التحديدَ أو الحصرَ هو في التوفية وليس في مُطْلَقِ الأجْر ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾﴾[النجم]

---

(١) مع أن المؤلف غير مقتنع بذلك بدليل أنه قال: هو بمعناه على اعتبار ما سيكون ولو كان مرادفاً لما قال ذلك، لأن اعتبار ما سيكون يجعله مجازياً والمرادفة حقيقية.

١٨- في ص٢٧١/ قال: لو رجع الدكتور مصطفى إلى اللغة العربية الفصحى ولو رجع إلى كافة التفاسير، فلن يجد من يفهم أن القتل هنا وقع على نفسٍ (روح) داخلَ جسدٍ حي.

ولي على هذا القول الملاحظات التالية:

أ) يقال: اللغة الفصيحة وهذا أولى من الفصحى ـ انظر لسان العرب ـ

ب) كافة هي من التوابع (للتأكيد)، فتأتي تابعةً بعد متبوعها فنقول: ولو رجع إلى التفاسير كافة ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة]، ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ ﴿٣٦﴾﴾[التوبة].

جـ) وضع كلمة (روح) بين قوسين بعد كلمة نفس يعني عدم وجود فرق، وهذا مناقضٌ لرأي المؤلف في معنى النفس، وأنها تشمل الروح والحياة والجسد، ولا تُطلَقُ على واحدٍ منها بمفرده عنده.

د) هذا القول يوهم القارىء الذي لا يعرف الدكتور مصطفى ولا المؤلف أن المؤلف من علماء العربية الفصيحة الذين لا يُشَقُّ لهم غبار.

١٩- قال في ص٣٠٥: فتقيس النائم بالميت، والصحيح: فتقيس الميت بالنائم، لأنه قال ذلك رداً على ابن حجر ص٢٩٠: بل له نظير في العادة وهو النائم، فإنه يجد لذة وألماً لا يدركه جليسه.

٢٠- قال في ص٢٢٩: ولما كان سبق أن قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ. . . ﴿٤٨﴾﴾[النساء] ثم قال: ولما كان سبق أن أعطى الله نبيه محمداً الشفاعة. . .إلخ أقول:

ماذا سيفهم القارىء من قوله: سبق؟ هل سبق إيراد الآية قبل آية مريم في كتابه، أم قصد: سبق علم الله بذلك في اللوح المحفوظ، أم سبق نزول الآية؟ فالربط على هذا ركيك في هذه العبارة والتي بعدها.

ثالثاً: مآخذ لغوية تعتبر من عيوب التأليف إجمالاً، كالاستطراد الكثير والاستشهاد بالنصوص في غير الموضع المناسب، والتكرار الكثير بلا حاجة، وإليك بعض النماذج.

١ - التكرار: كرر اصطلاح السنن الكونية حوالي خمسين مرة!! غير الصفحات التي أُفردت لهذا الاصطلاح تعريفاً وتمثيلاً «ص٢، ٤، ١١، ١٥، ١٩، ٢٢، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٣ (٥ مرات)، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٨٤، ٨٥، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٥، ١٥٩، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧، ١٩٣، ٢١٢، ٢٥٢»، ولم نحسب ما ذكر في الملاحق التي تربو على المئة صفحة.

وهنا نسجل الملاحظات التالية:

أ) أن الحامل للمؤلف على تكرار هذا الاصطلاح حاجته إلى تعليق دفاعاته أو هجوماته على استدلالات المخالفين على مشجب هذه السنن، وهو أحياناً يستدل بها وحدها، أو يضيف إليها العقل وروح الشريعة ومقاصدها، وبخاصة إذا لاحظ أن ظاهر الأدلة مع مخالفيه.

ب) أن استعمال هذه السنن لم يكن دائماً في جانب المؤلف، فقد يقول له المخالف: إن السنن الكونية تنطبق على الأحياء فقط، وموضوع خلافنا هو الأموات، ومن ورائهم برزخ، أي تحجزهم عن الأحياء قوانين خاصة بهم، وإنْ شاء أن يجادلَ فيقال له: أنتَ قستَ الموتَ على النوم في مواضع من كتابك حين اعتبرت النوم موتاً أصغر، فيقال لك عندئذ: النائمُ لا تطبق عليه السنن كالمستيقظ تماماً، لا الكونية ولا الشرعية رغم أنه حي، كما يقال له: الجنين في بطن أمه حيٌّ كاملُ الحياة ولكنه يخضع

لسننٍ غير سنن الوليد وغير سنن الطفل والراشد والكهل. . .إلخ مراحل العمر: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [يس]، بل يقال له: الإنسان كان ميتاً حين كان نطفة، ولكن السنن الكونية التي تحكمه غير السنن التي تحكم الميت بعد انتهاء أجله، بل يقال له: هناك حياة كانت لبني آدم حين خاطبهم الله وقد أخذهم من ظهور آبائهم، وأشهدهم على ربوبيته فقالوا: بلى، فهل هذه الحياة تحكمها السنن الكونية نفسها؟!

وأرى أن أكتفي على التكرار بهذا المثال، ولا أبالغ إذا قلت أنه ما من فكرةٍ أو معلومة يراها المؤلف تخدم غرضه إلا ونراها تقتحم الصفحات بدون استئذان، وتفرض نفسها على القارىء فرضاً، من مثل تفسيره للبرزخ، والقبر، ووصف الميتِ بأنه جمادٌ لا يحسُّ ولا يرى ولا يسمع ولا يتألم، ومن مثل الآية التي تتحدث عن تبديل الجلود في سورة النساء، ومن مثل مَقُولة الخوارج والأمويين[1]، ومن مثل تفسير عذاب القبر بأنه عذاب النار، ومثل آيات عرض الكافرين وتفسير معنى العرض، وتفسير العشية والغدو في الآخرة، ومحاولاته التوفيقية للأحاديث التي يعترفُ بصحتها مع آيات القرآن الكريم، ومثل تفسيراته لبعض الحروف الواردة في الآيات والأحاديث، بُغيةَ صَرْفِهَا عن ظاهرها كحرف ثم، وحرف أو، ومثل إيراد أحاديث ضعيفة في عذاب القبر للإيهام بأنَّ مخالفيه لا يميزون في أدلتهم بين الضعيف والصحيح، ومثل اتهام مخالفيه بسوء الفهم كما رأينا، ومثل وصف أحاديث عذاب القبر بأنها أخبارُ آحادٍ تفيد الظن، فلا يصح الاستدلالُ بها في مجال العقيدة، ومثل وصف

---

(١) أي قوله بأن إثبات عذاب القبر هو من اختراع الأمويين وتشجيع العلماء على وضع أحاديث فيه لإثارة الناس على الخوارج المنكرين لذلك.

الحديث الغريب بالضعف في أكثر من عشرين موضعاً، ولا أبالغ إذا قلت: اننا لو حذفنا المكرر من الكتاب لما بقي من الكتاب أكثر من ربع حجمه الحالي، وبخاصة الملاحق التي تحتل أكثر من مئة صفحة فإنها في معظمها إعادة وتكرار منه ومن مخالفيه.

٢ - الاستشهاد بنصوص في غير الموضع المناسب، وإليك بعض النماذج:

أ) قوله في ص٣: الروح لا تعود للجسد بعد الموت إلا يوم البعث ثم استشهد بقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

تأمل أخي القارىء سياق هذه الجملة وما سبقها: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ﴿١٠٠﴾﴾[المؤمنون]، فالطلبُ قبلَ هذه الجملة ليس لعودةِ الروح إلى الجسد، وإنما للعودةِ إلى الدنيا، وكلمة ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ لا تعني من وراء أرواحهم، وعليه، فلا يُستشهد بالآية على موضوع الروح في البرزخ وما يجري للميت بعد موته، وبسقوطِ الاستشهادِ بها تسقطُ دعامةٌ قوية مما استند إليه في نفي عذاب القبر.

ب) في ص٢٧٠، ٢٧١/ قال وهو يناقش الدكتور مصطفى محمود في معنى النفس والروح: أما النفس التي وضعها الدكتور مكان الروح، فلا يملك موسى ولا غيره ملكها ـ ناهيك أن الروح مجهولة لا يعلمها إلا الله/ ثم ذكر آية الإسراء: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ.. ﴿٨٥﴾﴾ إلخ..

أقول: الدكتور ذكر أن التي تقبضها الملائكة هي النفس وليس الروح، ولكن المؤلف استشهد على نفي قوله بآية تتحدث

عن الروح، مع أن رأي الدكتور في الروح أقرب إلى معنى آية الإسراء من رأي المؤلف الذي جعل الروح جزءاً من النفس، وأنها هي التي تقبضها الملائكة، وهذا دخولٌ في ماهية مجهولٍ بإقرارِ المؤلف، وليس هناك آية مطلقاً تتحدث عن أن الروح هي التي تقبض، والوارد من ذلك: ذِكْرُ النفسِ فقط، ومما ذكره الدكتور قوله: الروح دائماً تُنسب إلى الله، وتوصف بأوصاف عالية «روح القدس» والروح هي التي نفخها الله فيالإنسان، وهي المَثَلُ الأعلى ثم ذكر آية الإسراء، فاستشهاده بها أقرب من استشهاد المؤلف إلى الصواب والتحقيق[1].

جـ) قال في ص١٨٨: «والجن والإنس يموتون» وكأنه يريد الاستشهاد بهذا الحديث على أنهم ما داموا يموتون، إذن هم كالإنس في جميع السنن التي تنطبق على الإنس، وهذا استشهادٌ غير مناسب للفرق الكبير بين الإنس والجن كما سأبين ذلك مفصلاً عند مناقشة هذه الشبهة بإذن الله تعالى.

د) في ص١١٠/ استشهد بقوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾[المجادلة] على حلف المجرمين يومَ القيامة، مع أن الآيةَ تتحدثُ عن المنافقين في الدنيا[2].

٣ - الاستطراد، وإقحام موضوعات في غير الموضع المناسب، وإليك بعض النماذج:

أ) في ص٥٤ وضع عنواناً للتعريف به وهو «الحياة الدنيا»، ولكنه لم يذكر في تعريفه سوى أقل من ثلاثة أسطر، ثم انتقل للكلام عن الحساب يوم القيامة في عشرة أسطر.

---

(١) انظر ص٢٥٩، ٢٦٦، ٢٦٧ من كتاب المؤلف.

(٢) انظر التفاسير/ وتفسير ابن كثير ج٤ ص٣٢٨.

ب) في ص٦٤ وضع عنواناً وهو «عذاب واحد لا عذابان» وبعد أن تحدث عنه في صفحة ونصف، انتقل للحديث عن الساعة وخراب الكون وتبديل السموات والأرض، وبعض الأدلة على ذلك في صفحة، ثم عاد للموضوع.

جـ) تحدث في الصفحات (١٩-٢٤) عن رجم الزاني، مع أن الموضوع عذاب القبر، ثم بعد رجم الزاني استطرد للكلام عن الخرافة في ست صفحات أخرى.

د) في ص٩٩، وضع عنواناً هو «السنن الكونية والحديث النبوي» ولم يتحدث تحت هذا العنوان عن علاقة السنن بالأحاديث إلا في نصف صفحة، ثم عاد للحديث عن السنن الكونية، ثم انتقل إلى وصف الأحاديث الصحيحة في عذاب القبر بأنه أسيء فهمها وأخذ في تفصيل ذلك في ص١٠١، وص١٠٤ ـ أي في حوالي ٤ صفحات.

هـ) في ص١٨٢، وضع عنواناً هو «رد دعوى سماع تعذيب الناس في قبورهم» ولكنه لم يتكلم عن هذا الموضوع إلا في ٧ أسطر ثم استطرد للحديث عن عذاب القبر وعرض آل فرعون ومناقشة ابن حجر في رأيه حول سؤال القبر في أكثر من صفحتين[1].

---

(١) ما ذكرته من نماذج التكرار والاستطراد والاستشهاد في غير الموضع المناسب ليس إلا جزءاً بسيطاً مما شحن به كتابه، ولكني اكتفيت بذلك روماً للاختصار.

«المبحث الثاني»

إلقاء مزيد من الضوء على منهج الكتاب من جوانب أخرى

نذكِّر القارىء بأن المؤلف وعد في مواضع كثيرة من كتابه بأنه لا يقصد إلا النصح وبيان الحق وتخليص المسلمين مما علق في أذهانهم من الشوائب، وبيان معنى الآيات الحق، وإعادة الحق إلى نصابه، وتخليص المسلمين من المفهوم الخرافي لعذاب القبر، ومما دسّه أعداءُ الإسلام والزنادقة في أفكار المسلمين وعقائدهم[1].

ولا أدري هل أنتَ واثقٌ أيها القارىء بعد الذي عرفته عن لغة الكتاب من أن المؤلف مؤهل للوفاء بهذه الوعود؟! ولكني أستمهلك في الإجابة على هذا السؤال ريثما تطلع على مناحي الضعف الأخرى في منهجه مما يرجع إلى القدرات والاستعدادات الفكرية والعلمية، وإلى السلوك، والأمانة العلمية، والإخلاص وعفة اللسان، والموضوعية، وأدب الحوار، وما سوى ذلك من الجوانب التي تكتمل بها صورةُ المؤلف ومؤهلاته ومنزلته، ويأتي الحكم بعد ذلك منصفاً، كما أنه يعين في الوقت نفسه على معرفة القيمة العلمية لمناقشة المؤلف للآيات والأحاديث، أو الاستدلال بها.

وهنا أود أن أؤكد على ناحية مهمة جداً في مجال البحث والتأليف، والتي يغفل عنها معظم القراء في أثناء مطالعاتهم، ألا وهي الارتباط والتلازم بين الناحية السلوكية وبين الناحية الفكرية في التأكد من مصداقيةِ وموضوعيةِ الكتابِ المقروء، والحكم على قيمة ما فيه من الأفكار المطروحة، وبغير هذه المراعاة لذلك الارتباط والتلازم تصبح المطالعةُ

---

(١) انظر في هذه الوعود: ص٨، ص١٩، ص٢٩، ٦، ٢٤، ٢٥.

هدراً للوقت، وضياعاً للجهد، إلى جانب التشتت الفكري الذي قد ينتهي إلى التشكك في الصالح والطالح على السواء، وعدم التمييز بين المذاهب الصائبة والمذاهب الخائبة؛ وهي الحالة التي نشهدها بشكل واسع في غالبية مثقفي هذا العصر.

وليسمح لي القارىء الكريم أن أذكّره بهذه الأبيات من الشعر بين يدي التفصيل في هذا المبحث، وهي تحضرني كلما قرأت كتاباً من مستوى هذا الكتاب يدعو إلى التجديد، ويتلبس بشعارات التحرير والنهضة وتخليص الأمة من تخلفها:

١-كلما أنبت الزمانُ قناةً ركَّب الناسُ في القناة سنانا

٢-وظلمُ ذوي القربى أشد مضاضةً على النفس من وقع الحُسام المهند

٣-وكم من عائبٍ قولاً سليماً وآفتُهُ من الفهم السقيم

وإليك الآن أهم ملامح ومظاهر الضعف على منهج المؤلف:

أولا: منهج استعلائي، يقوم على الغرور، والثقة اللامحدودة في الفهم للقرآن، ونقد الأسانيد والمتون:

١ - قال في الإهداء: إلى كل مسلم لم يكتشف بعد سبب تخلف وانهزام المسلمين.

٢ - وفي ختام الخلاصة التي أوردها في عذاب القبر، قال في ص٢١٣: ولا يسعني هنا إلا توجيه نصيحة مخلصة إلى جميع المسلمين أن يصححوا مفاهيمهم، ويعودوا إلى الحق... وهذه أدلتي بين أيديهم تتحدى أولي الألباب، اللهم قد بلغت، اللهم اشهد!!

التقطْ أنفاسكَ يا أخي القارىء، ولا تظنن أن المؤلف لا يَعْنِيكَ بهذه النصيحة مهما كان شأنك العلمي، ولا أدري لماذا قفز إلى

ذاكرتي بعد الانتهاء من قراءة هذه العبارة: قولُ فرعون لقومه: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾[غافر].

كما أنني قد استحضرت المفارقة الكبيرة بين ختام هذه الفقرة وقيمة قائلها ومبرر قولها، وبين ختام خطبة الوداع: اللهم هل بلغت...؟!

٣ - قال في ص٢٧١: لو رجع الدكتور مصطفى إلى اللغة العربية الفصحى، ولو رجع إلى كافة التفاسير...إلخ أو ليسَ يُوهِمُ هذا القولُ أن المؤلفَ أوسعُ علماً باللغة العربية والتفسير من الدكتور مصطفى محمود؟!

٤ - وقال في ص٢٧٩: مما يؤسف له حقاً أن نجد غالبية العلماء والمؤلفين المسلمين هذه الأيام يُكْثِرُونَ من النقل والتكرار والاجترار!!

٥ - تمثله بمواقف السيدة عائشة الخلافية تبريراً لتهجماته على غيره، حيث يقول في ص٣٤٢: والدليل توهيم عائشة لعمر بن الخطاب وأبي هريرة وغيرهما، وهذا التمثل ينطوي على إساءة بالغة وخطأ فاحش، فالسيدة عائشة كانت تعارض مخالفيها بأدب جم[1]، هذا من جهة، وهي مؤهلة بشهادة النبي والصحابة، فكيف يضعُ نفسه في مستواها أدباً، ومنزلةً علمية، ومنهجاً؟!!

٦ - قال في ص١٩: صار بالإمكان الآن إعادة الحق إلى نصابه، وذلك القول يعني بصراحة: أن المسلمين استمروا على الباطل في مسألة عذاب القبر حتى جاء جواد عفانة وصحح لهم ذلك!!

---

(١) قال القاسم بن محمد: لما بلغ عائشةَ قولُ عمر وابنه «في تعذيب الميت ببكاء الحي»، قالت: إنكم لتحدثون عن غير كاذبين ولا مكذبين ولكن السمع يخطىء / انظر كشف الخفاء ج١ ص٢٥٨.

٧ - وقال في ص٣٥: فما بالك بأقوام عاشوا قبل أربعة عشر قرناً منهم مَنْ كان أمياً، ومنهم من كان جاهلاً، ومنهم من لم يسمع من النبي إلا بواسطة «وهذا يعني التابعين» مع أن التابعين مشمولون بحديث: «خيرُ أمتي قرني».

٨ - وقال في ص٧٧: فهل التزم المسلمون المعاصرون الإسلام الحق؟!

٩ - قال في ص٣٢١: بعد أنْ رَدَّ حديثاً للبخاري: وكُلِّي ثقةٌ بأنني على صواب!!

ثانياً: منهج إلزامي، وإليك بعض النماذج:

١ - قال في ص١٩: صار لزاماً على كل مسلم أن يُسلِّم بما أقولُ وإلا أَثِمَ!!!

أخي القارىء، هل ينتهي عجبك من هذا القول؟! وهل تُطيقُ الاستمرار في قراءة الكتاب بعد الوصول إلى هذه العبارة؟! مع أنه في مواضع رفض رأيَ الجمور، ورفضَ إجماعَ الأمة، ورفض الأحاديث الصحيحة[1].

٢ - وقال في ص١٨٢: والدليل الظني يجب أن لا يُقبل في العقيدة.

ولا أدري ما دليل الوجوب؟ وهل كان الصحابة يلتزمون ذلك حينما تنقل إليهم العقيدة بخبر واحد أو اثنين؟! أو هل كان المسلمون يوجبون ذلك حينما يأتيهم رسل النبي ومبعوثوه لتبليغهم الإسلام، شريعة وعقيدة وعبادة؟!

٣ - وقال في ص٧٤: ومن اعتقد غير ذلك فقد اعتقد بما يخالف عقيدة الإسلام، وآثر الإيمان بالخرافات على الإيمان بكتاب رب العالمين!!

---

(١) قال في ص١٨٩: آراء العلماء ليست مصدراً شرعياً، لكن رأيه مصدر شرعي!!

ثالثاً: يُلْزِمُ غيره بما لا يلتزمُ به، وإليك بعض النماذج:

١ - قال في ص٢٨٠: يجب استحضار طرقه «الحديث» الأخرى قبل البَتِّ في كون ذلك الحديث صحيحاً أم خطأ.

ويا ليت المؤلف ألزم نفسه بهذا المبدأ، ولو فعل لأراحنا من كثير من مجادلاته بل مماحكاته، وسيأتي مزيد من التفصيل والتمثيل لذلك في منهجه الانتقائي والتحكمي؛ سواء في الحديث، أو في القرآن الكريم.

٢ - وقال في ص٣٠٣: تُرى لو كان هناك عذابان كما فهم سَلَفُنَا فلماذا قَدَّمَ عذابَ النار على عذاب القبر؟! وقال في ص٢٠٢: ولو كانا عذابين مختلفين لكان تقديم عذاب القبر على عذاب النار هو الأولى.

وأقول:

أ) لو كان هناك عذاب واحد، فلماذا أورد ذكر العذابين مرات عديدة وبصور مختلفة، مجتمعين تارة، وكلاً على حِدَة تارةً أخرى؟!

ب) لو جمع طُرُقَ الحديث لما سألَ هذا السؤال، لأنه ورد في بعض الطرق تقديم عذاب القبر، وقد برَّر المؤلف هذا التقديم في مواضع من كتابه.

جـ) ولو جمع الطرق، لما قال: لكان تقديم عذاب القبر هو الأولى، إلا إذا قصد أن يَطَّرِدَ هذا التقديمُ، وحينئذٍ يصير إلزاماً ليس لنا فقط، بل إلزامٌ للشارع ﷺ أن يُعَبِّرَ حسب فَهْمِ المهندس جواد!!

د) قوله: لو كانا عذابين مختلفين... إلخ يدل على أنهما عذابان مختلفان على رأي المؤلف نفسه لو جمع الطرق ورأى تقديم عذاب القبر والتزم بقوله، وإذن لأَراحَ واستراح من التورط في هذه المسألة التي يُخشى عليه منها أنْ يندمَ حيث لا ينفع الندم،

كما لا ينفع الاحتجاج بأنه مجتهد، لأنه اجتهدَ في مورد النص، وهل نفعَ إبليسَ اجتهادهُ حين اجتهد في مورد النص، يوم أن امتنع عن السجود بحجة أنه خيرٌ من آدم وأن المفضول هو الذي يسجد للفاضل؟!

٣ - شَكَّكَ في المعاجم اللغوية في ص٢٤٨ بحجة أنها كُتبت بعد نزول القرآن بقرنين من الزمان، بينما هو قد رجع إليها في تعريفاته.

٤ - اعتمد على السنن الكونية في رفضه لمتون الأحاديث الصحيحة، ولكنْ فاته أن هذه السُّننَ لا تشملُ الأموات، لأنهم انتقلوا إلى عالم آخر وصارتْ تحكمُ وجودَهم الجديدَ سننٌ جديدة، كما خالف هذه السنن في مواضع، ومن ذلك تفسيره فتنةَ القبر بما قبلَ القبر «أي حالة الاحتضار» مع أنَّ حالةَ الاحتضار حالةٌ تَذهَلُ فيها القلوبُ والأبصار ـ غمرات الموت وسكراته ـ

٥ - قال في ص١٩٨: وفي رأيي فإن الالتزام بقواعد وأصول أخذ أو ترك تلك الأحاديث يُغنينا عن القول برفض قبول خبر الآحاد في العقيدة، ويُجَنِّبُنَا الاصطدامَ مع القائلين بجواز الأخذ به ما دام عندهم في ذلك دليلٌ أو شبه دليل، فإذا أرجعناهم إلى القرآن، لم يَتَبَقَّ لأحدٍ من قولٍ أو بابٍ يجادلُ فيه ـ ولكن المؤلف لم يلتزم بذلك.

رابعاً: **منهج هدم وتشكيك**، وتكذيب، وتكفير، واتهام المخالف بسوء الفهم، أو عدم الفهم، وبالخطأ، وبالسخف، وبالخرافة، والجهل باللغة، وعلوم الحديث، وبالتحكم، والتناقض، وبعدم الأدب في الحوار.

ولا تستغرب أيها القارىء إذا رأيتَ المؤلف قد وقع في كل ما رمى به مخالفيه، ولا أجدُ له حجةً في ذلك إلا الغرور والاستعلاء، أو ادعاءَ

العصمة التي هي ثابتةٌ للأنبياء، أو منسوبةٌ ظُلماً وباطلاً لأئمة بعض المذاهب والفرق.

وإليك نماذج وأمثلة من هذه الاتهامات:

١ - في ص١٢: ووقوع بعض الخطأ في الصحيحين أمرٌ لا بد منه...

٢ - في ص٢٨، ٢٩: انحراف بعض المسلمين بسبب ابتعادهم عن العقيدة الصحيحة، بل وعدم وجود تلك العقيدة الصافية في كتابات علماء المسلمين منذ قرون، مما جعلهم يخرجون من الإيمان تدريجياً... فعقيدتهم مهزوزة... حتى صاروا أقرب إلى قطعان الماشية منهم إلى أبناء آدم!!

٣ - وفي ص٤٠: المسلمون اليوم هُمْ والعَدَم سواء بسببِ تقليدهم الأعمى لعلماء السلف.

٤ - وفي ص٦٦، قال: أما الذين قالوا بعودة الروح إلى جسد الميت في قبره فإنهم تجاوزوا حدودَ الوهمِ والجهلِ إلى **الكفر** بالقرآن!!

٥ - وفي ص٦٨: فهل تعتقد أن الله يعذب أحداً قبل أن يحاسب؟! إن أجبتَ بلا فقد أنصفتَ وصدقت، وإنْ أجبت بنعم فقد جهلتَ أو **كفرت**[1]!!

٦ - وفي ص٨٤: من يقول إن: الميت يعذب في قبره فهو والمجنون سواء.

٧ - وفي ص١٢٨: فهل هناك أجور قبل يوم القيامة؟! لا والله سبحانك هذا بهتانٌ عظيم.

٨ - وفي ص١٣٠: وقد أخطأ مَن استدلَّ بآية آل فرعون على عذاب القبر.

---

(١) قال المؤلف في ص٣٤١: من كفَّر مسلماً فقد كفر.

٩ - وفي ص١٣٢: لا وجود لشيء اسمه الحياة البرزخية للأموات إلا في أوهام الجهال والمتنطعين.

١٠- وفي ص١٧٩: والقول بعذاب القبر للكافرين في الدنيا أنه من المَرَّتين فيه تَحَكُّمٌ، وهو يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴿١٠١﴾﴾[التوبة] وسنبيّن في موضعه أنه هو المتحكِّم، حيثُ صرفَ الآية إلىالكافرين مع أنها في المنافقين نصاً صريحاً؛ أولها: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ. . . إلخ﴾.

١١- وفي ص١٨١: ومهما بلغ تخويف الجمهور من عذاب القبر فلن يصلَ إلى تخويفِ القرآنِ بالنار لو كانوا يفقهون.

١٢- وفي ص١٩٣: فإذا كان الجهل أو ضيق الأفق قد بلغ ببعض الناس أنْ صدّقوا تلك الخرافات فلا يعني ذلك أن نُتابعهم عليها.

١٣- وفي ص٢٣٣: وعليه، فمن اعتقد بورود المؤمنين النار فقد أخطأ[1].

١٤- وفي ص٣٥٠: «أما قولهم ان البخاري ومسلم خرَّجا حديثاً وصححاه، ونصه: انه ليفسح له في قبره سبعين ذراعاً. . .» فأقول - أي المهندس جواد - : إما أنه افتراء، أو من الجهل الفاضح. . . فهو كلام سخيف، وخرافات لا أصل لها.

١٥- وفي ص٣٥٤، قال عن مخالفيه: فأين الأمانة العلمية، وأين النزاهة؟! وهنا نذكره بقوله في ص٣٤١: فكلُّ خروجٍ عن بيان الأدلة ومناقشتها بنزاهة وأدب هو خروج عن أخلاق الإسلام!!

بالله عليك أيها القارىء، هل بعد قراءة هذه الاتهامات التي هي كالحمم البركانية أو كالشهب النارية، يبقى للنزاهة والأدب حَظٌّ لمن

---

(١) يعني بذلك تَخْطئةَ الجمهور في تفسير آية مريم: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

أطلقها وأرسلها على عباد الله؟!! وهل هذه الاتهامات هي من أخلاق الإسلام؟!!

خامساً: منهج تحكمي انتقائي، استباقي، وكلُّ ذلك خروجٌ عن الموضوعية والنزاهة والأمانة العلمية[1]:

١ - في ص٢، قال: ولم يجزم البخاري بأنه (أي عذاب القبر) يقع على الروح، لعدم ثبوتِ ذلك عنده، بل أقرَّ بوجوده (أي عذاب القبر) فحسب، فلو كان المؤلف دقيقاً لاكتفى بقوله: لم يجزم.../أما قوله بعد ذلك: لعدم ثبوت ذلك عنده، فهذا تَحَكُّمٌ؛ إذ قد يكون هناك سبب آخر، ثم إن محل النزاع مع المؤلف هو في عذاب القبر جملة لا تفصيلاً، ويكفي أنَّ البخاريَّ قد أقرَّ بذلك.

٢ - قال في ص١٢: أما أحاديث عذاب القبر، فقد بدأ ذكرها بحديثين فقط رواهما مالك في موطئه، أحدهما يتحدث عن الاستعاذة من عذاب القبر، والآخر يتحدث عن فتنة المحيا والممات.

ولكنه قال في ص٣٤٦: بدأ ذِكْرَها بحديثٍ واحد فقط، أفلا يدل ذلك على:

أ) عدم دقته.

ب) تحكمه في أقواله، وأنه يختار ما يناسب هواه، وهنا أسوقُ للقارىء ما ورد في الموطأ من أحاديث في عذاب القبر لتتأكد من عدم مصداقية المؤلف ونزاهتة وأمانته، هذا من جهة، وللاحتجاج بها على المؤلف من جهة أخرى:

---

(١) وهذا شأن جميع أهل البدع في كل عصر كما قال ابن تيمية: مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط.. وعمدوا إلى القرآن فتأملوه على آرائهم/ دقائق التفسير/ ص٦٨ ج١.

أ) في ص١٣٣ حديث عائشة واليهودية، وفيه أمرٌ للمسلمين بالتعوذ من عذاب القبر.

ب) في ص١٣٣، ١٣٤، وفيه: ولقد أوحي إليَّ أنكم تُفتنون في القبور مثل أو قريباً من فتنة الدجال/ عن أسماء عن عائشة.

جـ) وفي ص١٥١، عن ابن عباس، أنه ﷺ كان يُعلِّمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: اللهم إني أعوذُ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك. .إلخ الحديث.

د) وفي ص١٥٨، عن أبي هريرة، أنه سمعه سعيد بن المسيب يصلي الجنازة على صبي ويقول: اللهم أَعِذْهُ من عذابِ القبر» وهذا موقوفٌ ولكنه لا يكون بالرأي.

هـ) وفي ص١٦١ عن عمرة بنت عبدالرحمٰن أنها سمعت عائشة تقول، وذُكِرَ لها أن عبدالله بن عمر يقول: إنَّ الميتَ ليعذب ببكاء الحي فقالت: يغفر اللهُ لأبي عبدالرحمٰن، أما إنه لم يكذبْ ولكنه نسيَ أو أخطأ، إنما مرَّ رسول الله بيهودية يبكي عليها أهلها فقال: إنكم لتبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها[1].

و) وفي ص١٦٤، عن ابن عمر، قال: إن رسول الله قال: إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعدهُ بالغَداةِ والعشي إنْ كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة».

---

(١) قارن هذا الأدب في الحوار والمعارضة بأسلوب المؤلف الذي احتج بعائشة ومعارضتها للصحابة، راجع البند الخامس ـ في منهج استعلائي.

ز) وعن كعب بن مالك، كان يحدث أن رسول الله قال: «إنما نَسمةُ المؤمن طيرٌ يَعْلَق في شجر الجنة «يأكل» حتى يُرجِعَهُ اللهُ إلى جسده يوم يبعثه».

ح) مالك عن نافع أن أبا هريرة، قال: أسرعوا بجنائزكم فإنما هو خيرٌ تُقدِّمُونَهُ إليه أو شر تضعونه عن رقابكم».

فهذه ثمانية أحاديث وليست كما ذكر المؤلف حديثاً أو اثنين!!!

وهل يبقى عزيزي القارىء لديك أيةُ ثقةٍ في هذا الكتاب وكاتبه؟! وتَذكَّرْ يا أخي هذا حينما يشرع المؤلف في مناقشة كتاب إثبات عذاب القبر للبيهقي وينسف المائتي حديث التي ضَمَّنها كتابه، والتي منها أحاديث صحيحة كثيرة اعترف المؤلف بصحتها[1].

٣ - قوله في ص١٣: أما أنَّ الأمةَ الإسلامية لا تجتمعُ على ضلالة، فكلامٌ لم يَصِحَّ فيه شيء.

وإليك أخي القارىء ما ورد في هذا الحديث:

أ) جاء في «شرح مُسَلَّم الثُّبُوت بذيل المستصفى للغزالي ج٢ ص٢١٥: واستدل ثانياً بقوله ﷺ: لا تجتمع أمتي على الضلالة، فإنه متواتر المعنى، فإنه قد ورد بألفاظ مختلفة يفيد كلها العصمة، وبلغت رواة تلك الألفاظ حد التواتر.

ب) وفي كتاب «أصول الفقه الإسلامي» للأستاذ مصطفى شلبي/ ص١٣٠: والتواتر المعنوي هو أن يكون ما يرويه هذا الجمع مختلفاً في الألفاظ، فيرويه كل واحد أو كل جماعة بلفظ

---

(١) قال في ص١٢: ولما كانت هناك بعض الأحاديث الصحيحة التي لا مجال لردها.

يختلف عما يرويه الآخرون به، لكن هذه الألفاظ متفقة على معنى مشترك، وأمثلة ذلك في السنة كثيرة، منها: حديث: لا تجتمع أمتي على ضلالة، فقد روي بطرق كثيرة، وعبارات متعددة، تتفق كلها على معنى واحد وهو عصمةُ الأمة من اجتماعها على الضلالة.

جـ) وفي كشف الخفاء ج٢ ص٣٥٠، ٣٥١، بعد أن أورد عباراته المختلفة وطرقه، قال: وبالجملة فالحديث مشهور المتن وله أسانيد كثيرة وشواهد عديدة؛ وانظر ما قيل فيه في «إرشاد الفحول» للشوكاني ص٧٨، وفي «شرح مسلم الثبوت» ص٢١٥، ٢١٦ وفي «صحيح الجامع الصغير» ج١ ص٣٧٨.

تأمل أخي القارىء هذه الشهادات والأقوال في هذه المصادر العلمية، ثم احكم على رأي المؤلف بأنه كلام لم يَصحَّ شيءٌ فيه لتتبيَّن وتبيّن مدى جرأته وتطاوله، وكيف أنه ينتقي من الروايات والأقوال ما يحلو له فقط، كالرواية التي أوردها من «عارضة الأحوذي»، وقوله: حديث ضعيف، وتعليل ضعفه بقول الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، ثم قوله بعد ذلك: ومعلومٌ عند علماء الحديث أن الحديثَ الغريبَ ضعيف، والآن إليك بعض أقوال علماء الحديث حول هذا الاصطلاح:

قال د. صبحي الصالح ص٢٣٠ من كتاب «علوم الحديث»: فالغريبُ يكون صحيحاً وحسناً وضعيفاً.

وفي «مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث» وهو من أمهات كتب الحديث: أن الغريب ينقسم إلى صحيح وغير صحيح (ص١٣٦-١٣٨)، وفي كتاب «المصباح في أصول الحديث» لقاسم

الاندجاني في ص٢٩: وكونُ الحديث غريباً لا يُخْرِجُه عن كَوْنِه صحيحاً، وعَرَّفَهُ[1].

٤ - ومن أمثلة الحكم المُسْبق، قوله في ص٦: المجموعة الثالثة من الأحاديث: صحيحة سنداً مردودة متناً، وذلك إما لمخالفتها لآيات، أو لدخولِ وهمٍ، أو تحريفٍ إليها، أو لعلل... فهذه أحكامٌ وأقوال بلا أدلة.

٥ - لا ينقل من الكتب والمراجع إلا ما يوافق مذهبه وهواه، كما نقل عن الرازي رده للاستدلال بآية عَرْضِ آل فرعون على عذاب القبر، ونقله عن الطنطاوي أو الدكتور شرف القضاة ما يُبرِئُ ساحته من الكفر، أو ما يتوهمُ أنه يعطيه حق رفضِ متون الأحاديث الصحيحة مهملاً ما اشترطه الطنطاوي لذلك من الأهلية في علم الحديث ونقده ومعرفة علله؛ وكذا ما نقله عن الغزالي حجة الإسلام في كتابه «إحياء علوم الدين»، وما نقله عن الغزالي المصري المعاصر.

٦ - قوله في ص٩: لم يَتنبَّه العلماءُ لأهمية السند إلا بعد مرور القرن الأول أو بعد ذلك بخمسين سنة، أي بعد انتشار الكذب المتعمد على رسول الله.

أقول: قارن هذا بما قاله ابن خلدون في «مقدمته»: وأما الأسانيد فلم يكونوا (السلف) يحتاجون إلى النظر فيها لقرب العصر وممارسة النقلة وخبرتهم بهم، فلما انقرض السلف، وانقلبت العلوم كلها

---

(١) فقال: أن يكون ثَبَتَ انفرادُ الراوي في طبقة أو أكثر من طبقات السند، ومَثَّلَ له بحديث: «إنما الأعمال بالنيات» المشهور.

وأورد القرطبي في «التذكرة» حديثاً «لِجهنَّمَ سبعةُ أبواب...» قال الترمذي عنه: غريبٌ لا نعرفه إلامن حديث مالك بن مغول، فقال القرطبي: مالك هذا إمامٌ ثقة خَرَّجَ له البخاري ومسلم ص٤٤٦.

صناعة احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة[1].

وبعد المقارنة ستجد الفرق بين العلماء والمتعالمين، وبين المنهج العلمي الموضوعي، والمنهج التحكمي الانتقائي.

٧ - قال في ص١٠ عن الخوارج: كان خروجهم سياسياً في بادىء الأمر. وهذا تَحكُّمٌ واضح وافتراء، والجميع يعرفون أن سبب خروجهم كان في بادىء الأمر دينياً[2]، مع ملاحظة أن هذا الفصل بين الديني والسياسي اصطلاح علماني حادث يدل على مدى تأثر المؤلف بالتيارات الفكرية الوافدة.

٨ - قوله في ص١٠: «وما تلاه من اغتصاب الأمويين للحكم» مُنافٍ لمسلك أهلِ التقوى والأمانة العلمية، وللواقع التاريخي كذلك، حيث ثبت تنازل الحسن رضي الله عنه لمعاوية، ولكن المؤلف يريدُ التمهيدَ لِمَقُولةِ وضعِ الأحاديث من قبل الأمويين أو العلماء التابعين لهم في إثباتِ عذابِ القبر لإذكاءِ العداءِ للخوارج وتأليبِ الناس عليهم.

٩ - وقال في ص١٩: فإذا قلت مثلاً: إن الحديث الفلاني الذي صححه البخاري مردود متناً لأنه يعارض القرآن/ أو السنن الكونية، وأَثبتُّ ذلك بالدليل الشرعي، صار لِزَاماً على كل مسلم أن يُسلّمَ بما أقول وإلا أثم!!

---

(١) ص٤٥٤/ ٤٥٥.

(٢) قال عمر بن عبدالعزيز للخوارج: إني قد علمتُ أنكم لم تخرجوا مخرجكم لطلب دنيا أو متاع، ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها، نقلاً عن مذكرة الفرق ص١٥/ تأليف حسن السيد متولي، الطبعة الثانية ١٩٧١.

أقول: إذا كان فَهْمُ الصحابي أو التابعي أو أئمة الفقه والعلم في جميع العصور الإسلامية غير مُلْزِمٍ لكَ، فكيف يكونُ فهمك أنت ملزماً لجميع المسلمين؟!!

اللهم إنه الغرور الذي هو رأس الشرور، وأنها الدعوى التي عَمَّتْ بها في زماننا البلوى!!

١٠- قال في ص٢٢: إن حكم الزنا، كان رجم الزاني المحصن قبل نزول سورة النور، أي أنه نُسِخَ بعد ذلك[١].

ونقول للمؤلف: لن ينفعك ذلك التحكم، فكونُ الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا فيما بعد وفاة النبي على بقاء حد الرجم، ورجموا دليلٌ على أنك لا تلتزم مطلقاً إلا برأيك حتى ولو خالف أحد المصادر الأربعة التي اعترفتَ بها؛ ففي موطأ مالك عن ابن شهاب.. عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: الرجمُ في كتاب الله حق على مَنْ زنى من الرجال والنساء إذا أحصنّ إذا قامت البينة، وهذا مختصرٌ من خطبةٍ لعمر قالها في آخر عمره ورواها البخاري بتمامها، وروى هذه الرواية مسلم أيضاً؛ وهي صريحةٌ في بقاء حكم الرجم بعد نزول آية الجلد في سورة النور، وقد أورد مالك في الموطأ خمسة أحاديث تثبت الرجم (ص٥١٢، ٥١٣) كما أورد خطبة عمر في ثبوت وبقاء حكم الرجم، ورجم عمر لامرأةٍ في خلافته، وكذا عثمان رضي الله عنهما، فإذا قارنا ذلك مع قول المؤلف ص٢٠: هذا أحدُ حديثين رواهما البخاري في الاستدلال على استمرار العمل بحكم الرجم وصَحَّحهما مع أنَّ مدارهما على

---

(١) المشهور والصحيح أنها نزلت في السادسة للهجرة، وليس كما ذكر المؤلف بدون دليل في التاسعة للهجرة.

راوٍ واحد؛ فإنه سيكون لدينا دليلٌ آخر على عدم أهلية المؤلف لخوض هذا الميدان، فقد رأيتَ كيف اعترف بحديث واحد ثم بحديثين في موضوع عذاب القبر عند مالك، وبينتُ عدم صدقه في ذلك، وهاهو يقع مرة أخرى في عدم الصدق فيما يَعْزُوه إلى البخاري مما ينزعُ الثقةَ تماماً عن كتابه وأقواله وآرائه.

وإليك مزيداً من هذه التحكمات العارية عن الأدلة تاركاً الحكم عليها للقارىء روماً للاختصار:

أ) قال في ص٣٥: فالله قادر على تعذيبه في القبر، لكنه قدَّر سلفاً أن لا يُعذِّبَ ميتاً قبل يوم القيامة!!

ب) وقال في ص٣٦: قد فهم الصحابةُ مقصدَ النبي، وعلموا يقيناً أن عذاب القبر إنما قُصِدَ به عذابُ الآخرة، ولو فهموا منه غير ذلك لسألوه!!

جـ) وقال في ص٦١: إن «أو» التي وردت بين عذاب القبر وعذاب الآخرة للتخيير فقط.

د) وقال في ص١٠٢: والذي يؤكد أنه عذاب واحد ورود عدة أحاديث صحيحة يُستعاذُ فيها من عذاب واحد.

هـ) في ص١٠٢ استشهد بحديث في صحيح مسلم، ذكر أنه يُفْهَمُ منه صراحة أن الأرواح تبقى حية، لا تُنَعَّمُ ولا تُعذّب حتى يوم القيامة أخذاً من قوله عليه السلام: انطلقوا به إلى آخر الأجل.

و) وقال في ص١٣١: لا وجود للحياة البرزخية إلا للشهداء.

ز) البرزخ حاجز حيادي/ ص٨٠. أقول: الوصفُ بالحيادية لم يرد في اللغة.

سادساً: منهج يقوم على التزييف والتدليس بل والافتراء:

١ - قال في ص١٦٤: كل أحاديث الخسوف التي في صحيح مسلم (وهي أكثر من ٣٠ حديثاً) انتهت بـ: ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله، فإذا رأيتم منها شيئاً فافزعوا إلى الصلاة. . .إلخ.

ثم قال: سوى روايتين فقط، إحداهما زِيدَ في آخرها ذِكْرُ عذاب القبر والاستعاذة منه:

مع أنه ورد في صحيح مسلم في الصفحات من ٢٧ إلى ٣٦: ست روايات ذُكِرَتْ فيها الفتنةُ بعباراتٍ مختلفة وتسع روايات عرضت فيها الجنة والنار على النبي ﷺ، كما أن ١٤ حديثاً فقط انتهت بالعبارة التي ذكرها المؤلف وليس كلها[١].

٢ - نقلتُ لك فيما سبق قوله عن مالك بأنه بدأ ذكر أحاديث عذاب القبر بحديث أو حديثين فقط، مع أنه ورد في الموطأ حول هذا الموضوع ثمانية أحاديث[٢].

٣ - وسبق أيضاً نقله عن الخوارج أنهم يُنكرون حَدَّ الرجم مع أن المنكر له الأزارقة فقط من بين عشرين فرقة.

٤ - قال في ص١٥٤: وهو حديث واحد رواه مسلم «يقصد الحديث الذي يعطف العذابين بالواو» وهذا بهتان وافتراء، وقد اعترف المؤلف في موضع آخر/ ص١٩٤ بستة أحاديث بهذا التعاطف، ثم اعترف بحديث آخر في ص٢٠٢، ولكنه شَكَّكَ فيه بطريقة أخرى حيث قال: أُسقط حرف الهمزة من كلمة أو!! ثم غيَّر فقال: وقد تكون «عذاب القبر»

---

(١) صحيح مسلم ج٣/ طبعة محمد علي صبيح.

(٢) راجع البند الثاني في الفرع الخامس: منهج تحكمي.

إدراجاً من الراوي، أو تفسيراً منه، وقال في هامش هذه الصفحة: تكرر إسقاط حرف الألف في كتاب: إثبات عذاب القبر للبيهقي وهذا تدليسٌ ظاهر يوهم أنَّ للبيهقيِّ دوراً في ذلك، مع أن أحاديث البيهقي التي ورد فيها التعاطف بالواو هي نفس أحاديث البخاري ومسلم التي اعترف المؤلف بصحتها سنداً ولكنه رَدَّها متناً.

٥ - قال في ص١٦٧: الروايات كلها متفقة على أن السؤال يكون من الملائكة للمسلمين فقط، يقول هذا رغم وجود رواية في مسند أحمد وفي صحيحي البخاري ومسلم، وفي سنن أبي داود والنسائي عن أنس بعبارة: وأما العبد الكافر والمنافق[١]، وهناك عبارات أخرى عامة مثل: العبد، والميت.

٦ - قال في ص٢٠٩: ورد عدة أحاديث صحيحة تتحدث عن عذاب القبر ولم يرد حديثٌ واحد يتحدث عن نعيمه، فما معنى ذلك[٢] ؟

٧ - قال في ص١٦٠: ويكفي في رد هذا الحديث: «إذا أقعد المؤمن في قبره أُتيَ ثم شهد أن لا إله إلا الله... فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴿٢٧﴾ ﴾[إبراهيم]، وفي رواية أن هذه الآية نزلت في عذاب القبر[٣].

وقال المؤلف بعد ذلك: يكفي في رده أن أحداً من المفسرين لم يقل بالتثبيت في القبر إلا ما ندر، ثم أردف قائلاً: فلا يُقالُ: إن المهندس جواد عفانة يَردُّه، إذ قد ردَّه قبله غالبيةُ المفسرين!!

---

(١) صحيح الجامع الصغير ج١ ص٣٤٣، ٣٤٦.

(٢) سأناقش هذا القول في الفصل الثاني بإذن الله تعالى.

(٣) ورد في صحيح البخاري.

وهذا منه تحكمٌ وافتراء وإليك أخي القارىء ما ذكره المفسرون:

أ) تفسير أبي السعود ج٣/ ص١٢٥: أو عند سؤال القبر، ثم ساق حديثَ إعادة الروح في الجسد وإتيان الملكين وإجلاسه في قبره وسؤاله... إلخ.

ب) تفسير «السراج المنير» للخطيب الشربيني ج٢ ص١٨٠: قال: في القبر[١].

جـ) القرطبي ج٩ ص٣٦٢-٣٦٣، ساق الروايات الواردة في ذلك، ثم قال: وقد بيّنا هذا في كتاب «التذكرة»، وبينا فيه مَنْ يُفتن في قبره ومن يُسأل.

د) تفسير ابن كثير ج٢ ص٥٣١، وأول ما أورده: حديث البخاري الذي ذكره المؤلف، ثم ذكر رواية مسلم له وبقية الجماعة، ثم ذكر الموضوع مفصلاً في العذاب والفتنة والسؤال في القبر في الصفحات من ٥٣١ إلى ٥٣٨.

هـ) تفسير النسفي ج١ ص٣٦١، قال: الجمهورُ على أن المُرادَ به في القبر، بتلقين الجواب وتمكين الصواب، ثم ساق الحديث الوارد في ذلك.

و) زبدة التفسير ص٣٣٤، قال: وقت المساءلة في القبر ويوم القيامة[٢].

ولولا خشية الإطالة لذكرتُ عن غالبية المفسرين عكس ما نسب إليهم، ولعل المؤلف خشيَ من انكشاف تدليسه هذا، فاستدرك قائلاً

---

(١) أي التثبيت الذي في الآية هو في القبر.

(٢) أي يثبت الله الذين آمنوا في هذين الوقتين.

ولكن في الهامش: لو قال به مفسر لاتهم في علمه، بل لفقد أهليته، ولفقد احترامه!!!

٨ - قال في ص٧: إنني لم أُكذّب حديثاً صحيحاً واحداً، ولم أُنكر شيئاً من السنة، بل وفّقتُ الأحاديث الصحيحة مع نصوص القرآن وأوضحت الفهم الصحيح للأحاديث.

أقول: يا ليت المؤلف وقف طويلاً عند قول إبليس حينما سأله ربه: ما منعكَ أنْ تسجد لآدم؟! فأجاب: خلقتني من نار وخلقته من طين، وهو بذلك يعني أن المنطق يقتضي عدم سجود الفاضل ـ في زعمه ـ للمفضول، ويا ليت المؤلف تَذكَّرَ القاعدةَ الشرعية الثابتة: لا اجتهادَ في مورد النص، ويا ليته عرف أن عمله كان تلفيقاً لا توفيقاً!!

٩ - نقل عن الغزالي في ص٤٥، للاستدلال على رأيه في تعريف النفس: «أن الإنسان لا يكون إنساناً موجوداً كاملاً إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة، فالمعنى الباطن هو الحياة والروح، والظاهر أجسام أعضائه».

ونسأل المؤلف: أين كلمة النفس في هذا القول؟! أوليس ذلك تقويلاً للغزالي ما لم يقله، وتلبيساً على القراء الكرام؟!!

١٠- قال في ص٧٤: وعليه فمن قال: بأن الميت مُكَلَّفٌ في قبره.. إلخ.

أقول: هذا تضليلٌ، وتقويل بما لم يقله أحد.

سابعاً: منهج يقوم على التناقض وعدم التكامل والانسجام:

١ - قال في ص٣٣: فإن كان الرسول ذكر عذاب القبر أو أمر بالاستعاذة منه حقاً، فهذا القولُ منه شك وتشكيك، ولكنه في ص١٢ قال: ولما كانت هناك بعض الأحاديث الصحيحة «لا مجال لردها».

٢ - قال في ص١٨٥: سألت السيدة عائشة رضي الله عنها، النبي ﷺ: هل للقبر عذاب؟ ورواية البخاري: أَيُعذَّبُ الناسُ في قبورهم؟ وفي ص٣٦ قال عن الصحابة: ولو فهموا منه غير ذلك لسألوه، وهذا كما ترى جهلٌ أو استجهالٌ للقراء.

٣ - قال في ص١٥٣: لا أريد أن أبحث في صحة هذا السند؛ إذ يكفي تصحيح البخاري له، فهو أعلمُ مني في هذا المجال، لذا سوف أقتصر على فهم المتن، قارن هذا بقوله في ص٣٤٣: فإذا كان البخاري ومسلم (وغيرهم) من رواة الحديث قد مرَّ عليهم بعض الأسانيد المُحْكَمةِ التدليسِ فأخذوا بها على أنها صحيحة... إلخ.

فواضحٌ من المقارنة عدم الانسجام بين القولين، بل التناقض، وقد طعن في البخاري في مواضع من كتابه[1].

٤ - قال عن الصحابة في ص٢٥: لم يكن المسلمون في عصر الصحابة يؤمنون بالخرافات بعد أن حرر الإسلام عقولهم.. وقال في ص٢٣٠ عن الصحابة: فهموا ما تعنيه هذه الآيات فهماً صحيحاً ولم يقعوا فيما وقع فيه أتباعهم أو أتباع أتباعهم، وفي ص١٩٥: مدحهم الله في كتابه الكريم، ومدحهم الرسول ﷺ، وسيرتهم تُثبتُ أنَّ عقيدتهم صحيحة وكاملة، ولكنه ناقض نفسه في مواضع من كتابه فقال ص٣٥: فما بالك بأقوامٍ عاشوا قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، منهم مَنْ كان أمياً، ومنهم من كان جاهلاً، ومنهم من لم يسمع من النبي إلا بواسطة، وقال في ص٣٨: أو خطأ في فهم السلف الصالح للأحاديث ووضعها في غير مواضعها، وهذا شامل للصحابة ومَنْ بعدهم.

---

(١) ص٣٢١، ١٢، ٢٣٣، ٢٣٦، ٣٥، ١٨٤، ٢٤١، ٢٣٦ ـ ففي ص٢٣٦ ما ورد في حديث البخاري عن الصور: «مَنْ كان يعبد شيئاً فليتبعه» الأرجح أنه قول أحدهم دَسَّه هنا، وليس غريباً أن يمر هذا على البخاري.

٥ - قال في ص٧٢: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ . . . ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران] أوردها ثم قال: ويُفهم منها أن كلَّ مؤمن سيجد في الآخرة سجلَّ أعماله، فهنا خلط بين العام (كل نفس) وبين الخاص (كل مؤمن).

٦ - قال في ص٧٤، ٧٥: ومعلوم أن الله تعالى لن يحاسب أو يعذب مَنْ لم تصله رسالة ربه، وذكر آية: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء]، وهذا تراجع غير منسجم مع تقريراته الحتمية بأن الله تعالى لن يعذب أحداً قبل المحاسبة، والآية كما هو ظاهر تدل على عدم التعذيب قبل إرسال الرسل، وليس قبل المحاسبة، والفرق بينهما واضح.

٧ - قال في ص٢٥١: جاءت أحاديث عذاب القبر لتقرِّبَ إلى الأذهان وقوع العذاب، والقبر يمكن تصوره قريباً جداً فالتخويفُ هنا له مردود سريع، فيكون من ذلك نوعُ ترهيبٍ أشد من التخويف من عذاب الآخرة مباشرة، ونسي المؤلف أنه قال في ص١٨١ رداً على مخالفيه: أما قوله لأجل التخويف فلا معنى له، لكون الآيات التي جاءت في التخويف من عذاب النار لم تدع مجالاً لتخويفٍ أشد!!

٨ - ومن تناقضاته: أنه أبطل قياس الميت على النائم لأنه حي، مع أنه قال في ص٤٧: النومُ هو الموتُ الأصغر، وكونه موتاً أصغر فيه نوع من التشابه، ثم إن المؤلف طبق السنن الكونية التي للأحياء على الأموات حيث كان من أدلة نَفْيِهِ لعذابِ القبر أنه ليس له سمعٌ ولا بصر ولا جلد أو أعصاب يحس بها العذاب، مع أن أحداً لم يقل بوجود هذه للميت ولا بكون العذاب للميت هو كالعذاب للحَيِّ حتى يتصور هذه الأشياء.

٩ - قال في ص١٨٩: آراء العلماء ليست مصدراً شرعياً، ولكنه في ص١٩ اعتبر رأيه هو مصدراً شرعياً يأثمُ مَنْ يخالفه فيه، فهو إذن ليس من العلماء، فما هو إذا لم يكن من العلماء؟!! أم تراه يعني نفسه بقوله في ص١٩٨: لا معصومَ إلا مَنْ عصمه الله من الأنبياء والمرسلين، ومَنْ أُوحيَ إليهم من عباده الصالحين؟!!

١٠- قال في ص٢٠٠: هذا الحديثُ دليلٌ لنا أن سؤالَ المَلَكين يكونُ ساعةَ الاحتضار، فأين من هذا القول السنن الكونية؟! وكيف يُسأل مَنْ هو في غمرات الموت وسكراته؟!

١١- قال في ص٨٠: كلمة برزخ يفهم منها أنه حاجز حيادي بين جسمين على الحقيقة، وبين حياتين على المجاز. . .إلخ.

مع أنه قال في مواضع من كتابه: بين شيئين، وهكذا هو في لسان العرب، والفرق كبير بين المعنيين، لأنه بهذا المعنى يكون حقيقة بين الحياتين وليس مجازاً كما ذكر.

١٢- في ص٣٠٢ أورد حديث أبي هريرة: «انطلقوا به إلى آخر الأجل» ثم قال: في هذا الحديث نلاحظُ الانطلاقَ بالروح إلى آخر الأجل، مع أن لفظ الحديث: (به)، إلى (ربه)، ولم يقل: بها، إلى ربها، وإنْ ناقش في تأنيث الروح قلنا له: قوله: كنتِ ـ بالكسر ـ خطاب مؤنث[1].

---

(١) التعبير بضمير المذكر يفهم منه أنه عَبَّر عن الروح بكامل الشخصية للإشعار بأنها أهم عناصر الشخصية حتى كأنها والروح مترادفان؛ ونلحظ هذا التناوب بين الروح، وكامل الشخصية في آيات الواقعة، حيث كان الكلامُ عن الروح ﴿ تَرْجِعُونَهَآ، بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾، ثم قال: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ولم يقل: إنْ كانت.

١٣- قال في ص١٣٨: القبر من الواقع، وهو مشاهد محسوس وليس غيباً، مع أنه في ص٥٠ ذكر عن البرزخ أنه دخل عالم الغيب، قال ذلك وهو يتحدث عن الميت والقبر.

١٤- وقال عن البرزخ إنه حاجز مادي في مواضع من كتابه، ولكنه وصفه أيضاً بأنه حاجز معنوي/ انظر ص٣ من كتابه.

١٥- قال في ص٦٤: لاحظ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ والذي يفهم منه صراحة أن الرجوع إلى الله لا يأتي بعد الموت مباشرة، ولكن بعد المكث في برزخ إلى يوم يبعثون، ولكنه في ص٣٦٢ قال معلقاً على آيات: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾[المؤمنون] لاحظ كيف أن البعثَ يتبعُ الموتَ مباشرةً ولا حياةَ بينهما!!!

ثامناً: منهج يقوم على التشكيك سلفاً في رأي المخالف، وإيراده بعبارات تهكمية، ساخرة، بينما يحكم بصحة رأيه، ويؤكد ذلك قبل عرض الأدلة واستنطاقها:

١ - قال في ص٣: قبل الدخول في صلب هذا الأمر لا بد من ملاحظة أن الموت يعني تفرق عناصر النفس بين الروح والحياة والجسد، وهذا منه تشويشٌ لذهن القارىء، وتقرير رأيه في معنى النفس كأنه أمر مُسَلَّم وقبل ذكر الأدلة على ذلك.

٢ - قال ص٣٠٧: فإذا كان الأخ أحمد «أحد معارضيه في رأيه» لا يعلم معنى غريب: أي شاذ وضعيف ـ فليسأل أهل العلم. أقول: قد ذكر أهل العلم غير ما فهم المؤلف، فمن الذي لا يعلم معنى غريب[1]؟!!

---

(١) راجع البند الثالث (ب) من الفرع الخامس (منهج تحكمي).

٣ - قال في ص٢٤٠: وهو يناقش حديث الصراط في صحيح البخاري: ترى وهل كانوا ـ أي أهل الجنة ـ من الفصاحة والذكاء بحيث يحكمون جميعاً في وقت واحد أن هذا ليس ربهم؟! ترى هل جاء من نص أو علم يقولُ بوجودِ اختباراتٍ في الآخرة؟!

أقول: أما الذكاء والفصاحة فلا أحد ينبغي أن يشك في ذلك، وأما الاختبارات فهذا من القياسِ الفاسد إذ هي ليست اختبارات.

٤ - قال في ص١٣٨: أبعدَ هذا، وبعد أنْ كتبَ اللهُ على نفسه أن لا يعذب إلا في جهنم، وبموجبِ موعدٍ ألزمَ به نفسه هو يوم القيامة، يأتي مَنْ يقول بوجود عذاب في القبر؟! وعندما نسأل: ما الذي يعذَّب؟ تجدهم قد اختلفوا بين قائل: جسده، جزء من جسده، روحه، روحه وجسده، فإذا سألناه: أين الدليل؟ يقول: القبر من الغيب، فإذا قلتَ له: القبرُ من الواقع، وهو مُشاهَدٌ محسوس وليس غيباً، راح يسردُ عليكَ الحديثَ تلو الحديث، فإذا سألته: هل فسر النبي قوله: استعيذوا بالله من عذاب القبر؟ بُهت، ولم يدر ما يقول!!

ونسجل على هذه التساؤلات التشكيكية الساخرة ما يلي:

أ) بَيَّنَّا في موضع سابق أن العذابَ يكونُ في غير جهنم وبغير النار، والذي في جهنم هو عذابُ الخُلْد، فينبغي التحديد من المؤلف.

ب) عبارةُ: ألزم به نفسه، غيرُ لائقةٍ بجلال الله تعالى، فلا يجوز أن نخرج فيما يُنسب إلى الله تعالى عن المشروع، ولو استقرأنا مواضع: كتب على نفسه، لَمَا وجدنا من بينها ما ذكر المؤلف.

جـ) تجدهم قد اختلفوا. هذا تضليلٌ للقارىء وخروج عن محل الخلاف، الذي هو أصلُ العذاب دون تفصيلٍ ولا تكييف.

د) المؤلف ذكر في موضع أو أكثر أن القبر أو البرزخ دخل عالم الغيب.

هـ) قوله: هل فسر النبي. تضليلٌ ومغالطة، إذ لا حاجة لتفسيره لأن الواضح لا يُوضَّح، وما جاء الغموضُ إلا بعد التفسير الجديد الذي ابتدعه المهندس للقبر، ثم هناك تعرض لكثير من صور العذاب البرزخي[1].

و) قوله: بُهت ولم يدر ما يقول.. من تحكماته وافتراءاته فإن هناك أحاديث كثيرة صحيحة اشتملت على صور متنوعة من هذا العذاب كما أثبتنا بعض ذلك في الهامش.

---

(١) من ذلك ضغطة القبر: «ان للقبر ضغطة لو كان أحدٌ ناجياً منها لنجا منها سعد بن معاذ» أخرجه أحمد في «المسند» عن عائشة، والطحاوي في «مشكل الآثار»، وقال العراقي في تخريج الإحياء: إسناده جيد، وفي «مجمع الزوائد»: رجال أحمد رجال الصحيح.

ومن ذلك أيضاً: «ثم يُضرب بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين» رواه البخاري، وأبو داود وأحمد، وهناك حديث طويل في البخاري باب تعبير الرؤيا/ ومسلم في الرؤيا/ وأحمد/ والترمذي/ والبيهقي/ والحاكم وابن أبي شيبة، والروح لابن القيم ص٨٠/ وفي هذا الحديث صور من العذاب، مع آن الحديث رؤيا منام، حيث رأى أن شخصين انطلقا بالنبي وأرياه صوراً مختلفة من صور العذاب، ومعلوم أن رؤيا الأنبياء حَقٌّ ووحيٌ مُطابقٌ لما في نفس الأمر.

وهناك حديث في صحيح البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والنسائي، وفي موطأ مالك، في صاحبِ الشَّمْلةِ التي أصابها في خيبر من الغنائم قبل أنْ تُقْسَمَ الغنائمُ ورآه النبي أو أخبر أن الشملة تشتعل عليه في قبره، وما أوردت هذه الصور إلا لبيان أن النبي ﷺ فسّر هذا العذاب وقد يكون ذلك من قبيل الرمز التقريبي؛ ولم أورد هذه الصور على أنها التفسير النهائي القاطع، وإنما هي للتمثيل فقط، وإلا فتفاصيل عذاب القبر لا يعلمها إلا الله، ولها ارتباط بنوع المعاصي حتماً، مع الإصرار دوماً على وجوب مراعاة محل النزاع.

٥ - قال في ص١٨٧: ما معنى أن يُعَذَّبَ اليهودُ في قبورهم، ولا يُعذب النمرود في قبره مثلاً، أو قوم لوط، أو غيرهم من المجرمين؟!

أقول: هذا الأسلوب من المؤلف ينطوي على مغالطات كثيرة:

أ) فليس اليهود وحدهم يعذبون بدلالة أحاديث أخرى، ونذكِّر القارىء الكريم بمنهج المؤلف الانتقائي التحكمي.

ب) من قال إن النمرود وقوم لوط وغيرهم من المجرمين لا يُعذبون؟!

جـ) قد يكونُ ذِكْرُ اليهودِ في بعض الأحاديث ناشئاً عن أمرين:

الأول: أن أول ذكر لعذاب القبر كان من قبل اليهود «اليهودية وعائشة رضي الله عنها، وسؤال عائشة: أَلِلْقَبرِ عذابٌ يا رسول الله؟!»

الثاني: اليهود كانوا مفسدين وكانوا يثيرون الفتن ويحرضون المشركين، ويشككون في الإسلام، ويطعنون في الرسول وفي المسلمين، ونقضوا العهود، وكانت لذلك بينه عليه السلام وبينهم حربٌ مستمرة حتى حَرَّرَ أرضَ العرب من كيدهم ومكرهم، فلا يُستغرب ذكر عذابهم بخصوصهم في السنة، لأن النصوص ليست منفصلة عن الواقع.

٦ - قال في ص٣١٥: قبل البدء باستعراض ما جاء في مقاله والرد عليه بالحجة الدامغة. لاحظ كيف وصف حجته بأنها دامغة قبل بدء النقاش!!

٧ - قال في ص١٧٩، وهو يناقش ابن حجر في تفسيره لآية عرض آل فرعون، واستدلال القرطبي بقول الجمهور: أخطأ ابن حجر، و قول الجمهور ليس بحجة، ولا هو مصدر شرعي، ومصطلح الجمهور هذا لم نسمع به إلا بعد القرن الثالث الهجري، وكلمة الجمهور استعملت للتهويش أو للضغط على القارىء لكي لا يناقش.

٨ - قال في ص٢٤٨: أيظن أولئك المفسرون أنهم أكثر عدلاً من الله تعالى، قال ذلك تعليقاً على شرح حديث الصراط وربطه بآية الورود: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وتفسير الورود بالمرور على الصراط.

٩ - وقال في ١٨٧: أما ما رواه الإمام أحمد ففيه ما فيه!!

١٠- وقال في ص٣٠٣: وإذا كانا عذابين منفصلين (عذاب القبر وعذاب النار) فلماذا استعمل كلمة أو، ولم يستعمل حرف العطف الواو؟!

في هذا القول مغالطةٌ واستجهالٌ للقارىء، ذلك أن هناك روايات كثيرة كما ذكرت من قبل، ورد فيها العطف بالواو، ثم إن حَمْلَ أو على الواو هو الأرجح، وقد جاءت في استعمالات العرب مفسرة بها انظر كتاب «مغني اللبيب» ج١ ص٦١-٦٧.

١١- قال في ص٢٣١: ترى لماذا كان لكل إنسان مقعد في النار منذ البداية، ولم يكن للكافر مقعد في الجنة لكي يستبدل بمقعد في النار، ثم لماذا لعبة تبديل المقاعد هذه؟! أين إشارة القرآن إليها؟

نقول له: اقرأ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ﴾ إلى غيرها من الإشارات.

تاسعاً: منهج عنزة ولو طارت!!

الذي دعاني لاستعمال وإيراد هذا الوصف كونه من مقذوفات المؤلف على عَلَمٍ من أعلام الإسلام وهو ابن حجر (انظر ص٣٥٨)، فأردت إعادتها إليه، والبادىء أظلم.

١ - قال في ص١٨: وأَعُدُّ نفسي حتى هذه اللحظة واحداً من أهل السنة والجماعة، قال هذا رغم تطاولاته على السنة ورموزها، ورغم طعنه في الصحابة والتابعين، ورغم رده للأحاديث الصحيحة بالسنة

الكونية، ورده للحديث المتواتر، وسيأتي تفصيل ذلك تحت مبحث «موقفه من السنة».

٢ - قوله: إن عذاب القبر هو عذاب النار، ولو خالف في ذلك كل السلف والخلف «ما عدا بعض المخالفين والشاذين بعد عصر الإجماع الذي اعترف به»، ولو خالف الأحاديثَ الصحيحة وقواعدَ اللغة.

٣ - اعتقاده أنه على الحق في مسألة عذاب القبر، وأنه فهم من الأحاديث ما لم يفهمه سواه، ولو ثبت ضَعْفُه في اللغة العربية وفي سائر علوم الشريعة.

٤ - قوله بوجودِ عذابٍ واحد، وأنه في جهنم فقط، ولو رَدَّ آيات وأحاديث تَنصُّ صراحةً على وجودِ أكثر من عذاب.

٥ - قوله: ليس في القرآن كله آية واحدة تشير مجرد إشارة إلى عذاب القبر، ولو أورد أهل العلم أكثر من عشرين إشارة لذلك.

٦ - اعتقاده بعدم العذاب إلا بعد الحساب، ولو وردت آيات وأحاديث تثبت وقوع أنواع من العذاب قبل العذاب الأكبر الذي بعد الحساب.

٧ - اعتقاده أن النفس ليست جزءاً من الإنسان، بل هي الإنسان كله، ولو خالف في ذلك قواميس اللغة، والنصوص، وعلماء النفس والفلسفة السابقين واللاحقين.

٨ - ادعاؤه بأنه يراعي أدب الحوار ولو قذف مخالفيه بكل أنواع الشتائم والاتهامات.

٩ - نَفْيه تصور أية حياةٍ للأموات، ولو اعترف بحياة بعضهم وهم الشهداء، إذ مجردُ قبول وجود حياة البعض تجعل الأمرَ مقبولاً عقلاً في غير الشهداء حتى ولو لم ترد نصوصٌ في ذلك، فكيف إذا وردت؟!

١٠- جميع أحاديث عذاب القبر مردودةٌ متناً ولو في الصحيحين، أو وصفت بالتواتر. (انظر ص١٨٠).

١١- نقلتُ لك من قبل أنه بعد أن أخبر عن غالبية المفسرين عدم قولهم أو تفسيرهم تثبيت المؤمنين بمسألة القبر؛ استدرك في الهامش فقال: ولو قال به مفسر لاتُّهم في عِلْمِه وفَقْدِ أهليته!! (انظر ص١٦٠).

١٢- وَصْفُه الحديثَ الغريب بالضعف في أكثر من عشرة مواضع في كتابه ولو أجمع علماءُ الحديث على أنه قد يكون صحيحاً.

١٣- قال في ص٢٤٧، ٢٤٨: لم تُستعمل كلمة ورود في القرآن بغير هذا المعنى «أي الدخول» بتاتاً، مع أنها وردت بغير ذلك المعنى كثيراً، كما وردت في المعاجم العربية بغير هذا المعنى أيضاً، ولكنه قال: حتى ولو وردت في المعاجم فيجب رَدُّها لأنها وضعت بعد نزول القرآن.

عاشراً: منهج ترددي[1]، تخميني:

وهنا أود أن أُذكِّرَ القارىء بأن المؤلف أكثر مَنْ وصف مناهج مخالفيه بأنها خرافية:

١ - اتهام الأمويين باغتصاب الحكم، فهو اتهام مبني على تحليل الوقائع تحليلاً مبنياً على النقول التاريخية غير الموثّقة، وعلى الأوهام ص١٠.

٢ - وفي ص٢٣ قال: أما القولُ بالتغريب «أي تغريب الزاني مع جلده»، فأظنه من وَهْمِ الراوي... إلخ.

---

(١) حصل التردد حتى في اسم كتابه فسماه أولاً: تصحيح عذاب القبر، ثم عدل إلى: عذاب القبر هو عذاب الآخرة، ثم عدل إلى العنوان الحالي/ انظر ص٣٠٥، وما ذلك إلا لأنه متردد لأن موضوع الكتاب يُعرف من عنوانه فخشيَ أنْ يصطدمَ بجماهير المسلمين فاستقرَّ على عنوان يُوهم ويُفْهَمُ بأكثرَ من معنى!!

٣ - قال في هامش ص٢٠٠ عن حديث صحيح: أما سنده فلستُ مطمئناً إليه.

٤ - قال في ص٤٨: ويتولى مَلَكُ الموت قبضَ الروح التي لا تموتُ والله أعلم. فقوله: «والله أعلم» لتردده في بقاء الروح حتماً، وقد قرأتُ رأيَ حزب إسلامي يرفض بقاء الروح بعد الموت في منشورين، وليس في كتب هذا الحزب.

٥ - قال في ص٨٢: وهذا سؤال أي قول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ يُوجِّههُ اللهُ في الآخرة عن لبثهم في الأرض أو في القبر أو فيهما معاً، مع أن المؤلف أَكَّدَ في مواضع أخرى أن المقصود من قصر مدة لبثهم هو مرحلة البرزخ (أو القبر).

٦ - قال في ص١٢٢: فربما كان أصحاب الشمال هم الكافرون ومَنْ أوتي كتابه وراء ظهره هم غير المشركين من العاصين. لاحظ التعبير برُبَّ في إثبات موضوعٍ يتصل بالعقيدة!

٧ - قال في ص١٣٠: ومعلوم أن العرض يسبق الحساب أو هو جزء منه، هذا ترددٌ في إثبات أمر يتصل بالعقيدة، والعجيب أنه رفض أخبار الآحاد، ورأي الجمهور، وإجماع الأمة، والعلماء في إثبات عذاب القبر لأنه من العقيدة التي لا تَثبتُ إلا بالدليل القطعي.

٨ - وقال في ص١٦٥: وقد تكون الفتنة هذه هي سؤال الملكين للمحتضر قبل موته. لاحظ أولاً أسلوب (قد) الترددي التشككي، ثم تَذَكَّرْ كيف فسره بما قبله «الاحتضار» باعتبار ما كان، وهذا نوع جديد من أنواع المجاز في اللغة العربية!!

٩ - قال في ص١٦٩: لا أستبعد هنا أن يكون هذا القول من وضع الصالحين لأجل الترهيب، وهو يعني: ما ورد في صحيح البخاري

من ضرب المقبور بمطارق من حديد. لاحظ أسلوب «لا أستبعدُ» في رَدِّ حديثٍ في صحيح البخاري!!

١٠- قال في ص١٧٨، ١٧٩: وقد يكون قصد به تعذيبهم وقتلهم في غزوة بدر وفتح مكة، ومَنْ يدري؟! والقول بعذاب القبر أنه أحد العذابين في قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ فيه تحكم، لاحظ أولاً «أسلوب قد يكون»، ثم إن سياق الآية في المنافقين وليس في المشركين؛ كما سنفصل ذلك في فصل المناقشة بإذن الله تعالى.

١١- أخي القارىء، المؤلفُ شديدُ الحساسية إزاء عبارات مخالفيه يَترصَّدُها كلمةً كلمة، فإذا وقع على تعبير «لعلّه سمى» في فتح الباري/ ص١٨٠ قال: لا معنى لذلك، خاصة وأنه يخمِّن أو يظن، فأين القطع واليقين؟!! من هنا فإننا نكيل له بمكياله.

١٢- وقال في ص٢٢٩: قد يخطر ببال بعض الجاثين (حول جهنم) أنهم ربما نجوا من ورود النار.. وقبل أن يشعر أو يخطر ببال أي واحد منهم ذلك.. يوجه الله خطابه إليهم بالتفات مباشر: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

أرأيت أخي القارىء كيف ضغط على عنق هذا النص بدون أية رحمة؟! فهو لم يكتف بالافتراضات والتخمينات على الأحياء، بل دخل حتى في خواطر أهل النار من الجاثين حول جهنم، كل ذلك لِيَخُصَّ الورودَ ـ بمعنى الدخول ـ بالمشركين وعصاة الموحدين.

١٣- قال في ص٢٣٦ وهو يناقش حديث الصراط: «يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه»، ثم قال: قولُ مَنْ هذا؟ ثم أجاب: الأرجح ـ هكذا يكون الترجيح!! ـ إنه قول أحدهم دسَّه هنا، ثم قال: وليس غريباً أن يمرَّ هذا على البخاري.

١٤- ومما يتبع هذا الفرع: استعماله أسلوب لو:

أ) قال في ص٣٠٣: ترى لو كان هناك عذابان كما فهم سَلَفُنَا، فلماذا قدم عذاب النار وهو الأولى بالتأخير، وأخَّر عذاب القبر[١]..؟!

ب) قال في ص١٨٥: ترى لو كان الله معذباً أحداً في قبره فلماذا لم يخبرنا بذلك بصريح العبارة، فهذا شيء هام، ولو كان له واقع حقيقة لَبَيَّنَهُ الله في كتابه الذي جاء «تبياناً لكل شيء»[٢].

حادي عشر: منهج افتراضي، وأعني أنه يخترع المقدمة، ويفترض صحتها، ثم يرتب النتيجة التي في ذهنه سلفاً:

١ - قال في ص٢٤٢، ٢٤٣: ما دام قد صُحِّحَ معنى آية: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ بحيث صار واضحاً أن الورود يعني الدخول، وأن المقصودين هم أناس معينون، لم يعد لقول النبي في حديث الصراط: «فأكون أول من يُجيز» معنىً!!، فهو قد بنى النتيجة على آرائه في معنى الورود والتي لم تُسلَّم له.

٢ - قال في ص١٧٠: إن كلمة يُعذبان، التي في صحيح البخاري ربما كانت مدرجة من أحد الرواة، ومثلها زيادة (زرع الجريدتين على القبر)، إذ يبدو واضحاً أن هذه الزيادة لم تصح عند الترمذي فلم يوردها!! ثم رَتَّبَ على ذلك رفض هذه الزيادة المزعومة، وذلك لأنها قرينةٌ واضحة على أن عذاب القبر هو عذاب القبر بالمعنى المفهوم وليس عذاب النار، ثم لاحِظْ كيف يُوفِّق الأحاديث مع

---

(١) أجبنا على ذلك فيما مضى وسنفصل القول فيه في مناقشة شبهاته في الفصل الثاني بإذن الله تعالى.

(٢) سأجيب على هذه الشبهة في الفصل الثاني إن شاء الله.

القرآن؟! قال: إنه لم يقل ليعذبان الآن، ولا في قبريهما، مما يعني أنهما سيعذبان في المستقبل، ثم قال في نهاية هذه المناقشة: وعليه فلا دليل في هذا الحديث على عذابٍ يجري على ابن آدم في قبره.

٣ - قال في ص١٥٥: فإذا علمنا أن فتنة النار هي العرض عليها، وأن عذاب القبر هو عذاب النار، فماذا نفهم من قولهما: «وفتنة القبر» ثم أجاب: ما يحصل للمحتضر قبل الموت من سكرات.

لاحظ أخي القارىء كيف جعل القضيةَ المُخْتلَفَ عليها أمراً مسلَّماً معلوماً، وقضية اتفاقية، ثم بنى على ذلك تفسيره الجديد لفتنة القبر[1] ثم لاحظ قوله: فماذا نفهم من قولهما ـ ولم يقل: من قوله ﷺ، فإنه افترض أن هذا من اختراعات الرواة.

ثاني عشر: كيف يفهم المؤلف القرآن الكريم؟

القرآن الكريم كلام عربي في أعلى درجات الفصاحة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى: منه آيات محكمات وأخر متشابهات، والمتشابهات تحتاج إلى عمق وسعة اطلاع، وطول مدارسة وممارسة مع تَمَكُّنٍ لغوي، إذا قلنا بأن الراسخين في العلم مشمولون بعلم تأويله.

وقد وُضِعَتْ منذ بدأ التفسير المدوّن مئات بل آلاف المجلدات في تفسير القرآن، لغايات متعددة، ووفق مناهج تختلف باختلاف الغايات، والاختصاصات والقدرات، ولكنها جميعاً يمكن أن ترد إلى أربعة اتجاهات أو مدارس رئيسة، وهي:

١ - مدرسة الرأي المعزَّز باللغة.

٢ - مدرسة اللغة الموجَّهة بالرأي.

---

(١) انظر تعليقنا على هذا التفسير فيما سبق.

٣ - مدرسة المأثور المحض: (تفسير القرآن بالقرآن، أو الحديث، أو أقوال مأثورة للصحابة والتابعين ومن بعدهم).

٤ - مدرسة المأثور الممتزج بالرأي واللغة[١].

ولأن القرآن كلام عربي في أعلى درجات الفصاحة، ولأن عصرنا قد ابتعد كثيراً عن عصر نزول القرآن، وعصور تفسيره، ابتعاداً في الزمان، وابتعاداً في الصفات والاهتمامات، وفي واقع الأمة: «ضَعْفٌ، تفرق، هزائم، تبعية ثقافية وسياسية»، وما ترتب على ذلك من فتن وشبهات طرحت أمام عقول الشباب وغيرهم، بعضها آتٍ مع التراث المتراكم عبر مئات السنين، وبعضها آتٍ من التشتت الذهني والحزبي والعقائدي، مما أدى إلى تَنَكُّرٍ للتراث كله، وبالتالي للغة العربية وعلومها؛ لهذا كله فقد أصبح التعامل مع القرآن من الأعمال التي تحتاج إلى جهد جبار وصادق ومخلص، بل إلى جهودِ جماعةٍ متعاونةٍ كما ذكرتُ ذلك في كتابي «دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم».

ومن الخطر الشديد أن نتلقى التفسير من أي شخص، وتحت أي تبرير إلا إذا تأكدنا من استيفائه لشرطين أساسين، وعرفنا ذلك عنه (إخباراً من ثقات)، ومنه مباشرة، وليس من خلال الشهادات العلمية فحسب، بل من خلال الممارسات الطويلة حتى يصبح عَلَماً نَابِهَ الشأنِ على ألسنة الخاصّة والعامة، وهذان الشرطان هما: الأول: شرط التمكن التراثي بكل ما يعنيه ذلك: «من تَحصيلٍ مَعْرفيٍّ، إلى جانب صدق الولاء والانتماء»، الثاني:

---

(١) في ص٢٩ أوجب المؤلف للتخلص من الخرافات: الرجوع إلى القرآن وفهمه بمراعاة القواعد الصحيحة التي تدمج بين العقل والنقل، وفي ج٣/ص٢٥٠ من كتاب الشخصية الإسلامية لحزب التحرير: يصح أن يكون العقل دليلاً على العقائد وأن يكون دليلاً على فهم الآيات، وهذه من نقاط التشابه بين المؤلف وحزب التحرير.

أهلية فهم الواقع والتحلّي بعقلية نقية، وبسعة الاطلاع الثقافي المعاصر، إلى جانب التحلي بالسيرة النقية المخلصة البعيدة عن كل الشبهات[1].

وإذا ما وُجِدَ مَنْ يتحقَّقُ بهذه الصفات فعندئذ نحترم تفسيره ونقدر مساعيه في خدمة هذا الدين، وعندئذ فقط يمكن الاطمئنان إلى توفيق القرآن مع الواقع ومع الأحاديث النبوية[2].

والقراءة المتأنية للكتاب الذي بين أيدينا تُظْهِرُ وجودَ بونٍ شاسع بين هذه الشروط والصفات وبين المؤلف ومؤهلاته، وإن المرء ليعجبُ أشدَّ العجب كيف ولماذا حشر صاحبنا نفسه في هذا المضيق[3].

وإليك أخي القارىء بعض النماذج التي توضح كيفية فهمه للقرآن الكريم، ثم نترك لك الحكم عليه:

١ - في ص٢٤ قال: في قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ الدليل القاطع على نسخ الرجم، وتفصيل ذلك في ص٥٢؛ حيث قال: وكلمة عذاب إذا عُرّفت بأل التعريف لا تعني كل أنواع التعذيب، وهنا تكون اللام لام العهد، ولا بد من البحث عن المعهود السابق في الآيات أو في السياق، فالعذاب هنا يعود للمعهود السابق في آية الزنا

---

(١) جاء في مقدمة كتاب دقائق التفسير لمحققه ج١ ص٥: وتفسير القرآن ليس عملاً عادياً بل يحتاج إلى حالة من الصفاء الروحي والشفافية الملهمة التي تصل الإنسان بربه فيعلم ما لم يكن يعلم ليتسنى للمفسر الاستحضار الكامل لكل الآيات والأحاديث حول الموضوع الواحد كما كان يفعل ابن تيمية.

(٢) راجع شروط المفسر في كتابي: «دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم» ص١٠٠-١٢٥.

(٣) وفي شرح الطحاوية/ طبعة المكتب الإسلامي: وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله فإنه لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث الرسول ص١٥٠.

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا . . . . وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾[النور]، ثم قال: وهذا يعني نسخ حكم رجم الزاني المحصن، لأن آية الملاعنة خاصة بالمحصن.

أقول:

١ - ليست «أل» دائماً للعهد، بل قد تكون لمجرد التعريف أو للجنس، وإن كانت للعهد فليست دائماً للعهد الذكري كما فهم المؤلف، بل قد تكون للعهد الذهني، والذهني هنا هو الرجم والذكري هو الجلد، ولكن العمل المتواصل من الأمة في جميع مراحلها من عهد النبي ﷺ إلى عهدنا هو الرجم، وقد رجم الصحابة وهم أقدر الناس على فهم القرآن وتوفيقه مع السنة، وأعرف بالعهد الذكري والذهني.

ثم إن قوله تعالى: ﴿ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾ تخصيصٌ لحكمٍ عام وليس نسخاً[1]، أي تخصيص الزوجين بحكم الملاعنة بدل إقامة حد الزنا والقذف إن أنكرت هي، ولم يأتِ هو بِبيِّنة، بعد أنْ كان الحكمُ من قبل عاماً وشاملاً للزوجين وغيرهما، كما يفهم من قول النبي ﷺ لمن سأله؛ فقال: «البيِّنةُ أو حَدٌّ في ظهرك» يعني إقامة حد القذف عليه، ثم خُصَّ الزوج من ذلك، كما خُصت الزوجة من حد الرجم.

ومن المعلوم أن شرط التناسخ بين الآيتين اتحاد المورد، وهنا لا يوجد اتحاد، فالآيةُ السابقة موضوعها الجلدُ مئة لكل زان أو زانية، والآية الثانية تتحدث عن تبديل حد الزنا مطلقاً بالملاعنة فأين التعرض لحدِّ الرجمِ هنا؟!

---

(١) ج٣/ ص٢٤٨/ الشخصية الإسلامية؛ والتخصيص هو إخراج بعض ما تناوله اللفظ عنه.

وهكذا نرى في هذا الفهم خلطاً لغوياً بين مفهوم العهد الذكري والذهني، كما نرى فيه خلطاً أصولياً بين النسخ والتخصيص، ونرى فيه مع هذا وذاك خروجاً وخرقاً لإجماع الصحابة الذين رجموا بعد نزول سورة النور كما قدمنا لك عن الموطأ، حيث لم يعترض أحد منهم مطلقاً على الرجم في عهد الخلفاء الراشدين محتجاً بوجود هذا النسخ!!

٢ - قال في ص٥٧: فالمتقون هنا هم النبي لوط وبناته وكُلُّ مَنْ كان على شاكلتهم من المؤمنين الصالحين. وهذا بُعْدٌ كبير عن السياق وتحكم واضح[١].

٣ - قال في تفسير: إن المجرمين في ضلال وسُعُر: كلمة «المجرمون» تشمل الكفار والمنافقين والعصاة، ولكنه في ص١٣٧ قال ما ينافي ذلك: وهؤلاء منهم المجرمون، ثم عرّفهم بقوله: الذين يُخلّدون في النار أبداً، ومنهم العصاة ومنكرو البعث، فلو جمعنا بين القولين لوجدنا أن العصاة بحسب الفهم الأول هم من المجرمين غير المُخَلَّدين، وبحسب الفهم الثاني ليسوا مجرمين.

٤ - قال في ص٧٢: يفهم من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴿٣٠﴾﴾[آل عمران]: أن كل مؤمن من إنسان وجان سيجدُ في الآخرة سِجِلَّ أعماله وفيه كل ما عمله في حياته، مع أن الآية تتحدث عن كل نفس وليس عن كل مؤمن.

٥ - قال في ص٨٥: فهذا إقرار من الله تعالى بالنص: أن الإنسان قادر على خلق أشياء؛ يشير إلى قول الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ. . . ﴿٤٩﴾﴾[آل عمران].

---

(١) راجع البند ١٠ (من الملامح الرئيسة لأفكاره).

أقول: بتدقيق النظر والتأمل في هذا القول وربطه مع جملة الكتاب والاتجاه العام لفكر المؤلف، يمكن استشفاف توجّهٍ ماديٍّ عقلاني واقعي محض لدى المؤلف ولكنه يمشي فيه على استحياء!!

فالآية لا تحتمل هذا الاستنتاج من وجوه:

أ) لأنها تتحدث عن معجزة، وهي لا يُقاس عليها وباعتراف متكرر من المؤلف والرد بهذا على مخالفيه؛ حين رفض الاستدلال بمن أحياهم عيس عليه السلام، وبالرجل الذي أحيي في زمن موسى عليه السلام وأخبر عن قاتله ثم عاد إلى حالة الموت، وحياة العزير عليه السلام، أو كتأويله ما رآه النبي ﷺ في صلاة الخسوف من صور العذاب في النار لبعض الأشخاص، أو الجنة، بأنه نوع من استشراف الغيب والإعجاز، مستدلاً بذلك على نفي عذاب القبر ونعيمه.

ب) النص في الآية على عيسى النبي والذي لديه أهلية النفخ، وهذا فارق آخر يمنع القياس والاستنتاج الذي فهمه وكأنه نسي نظريته بأن نفخة الروح خاصة بآدم وعيسى، فكيف يصح تعميم هذا الخلق على الإنسان؟!

٦ - ونَضُمُّ إلى هذا البند جميع مواضع الاستشهاد غير المناسب بالآيات.

٧ - يتحكم في أسباب النزول، رغم ما هو معروف من أهميتها في توضيح المعنى وإزالة الالتباس، وقد بَيَّنْتُ مذهبه في التعامل مع سبب النزول، بقوله في ص٣٠: وفي حال تعدد الأسباب لنزول آية معينة يُعمد إلى التوفيق بينها أو اعتماد الأقرب إلى سياقها، أوردّها جميعاً والاعتماد على الفهم اللغوي للآية، وما يدل عليه سياقها، وسباقها مع عدم الجزم فيها.

وهكذا نجد أنه يتحكم في توجيه السياق كما يتحكم في الاعتماد على سبب النزول بصورة مزاجية؛ وتتخيل وأنت تقرأ له ذلك أنه في مستوى الرازي والزمخشري[1].

٨ - عُمْدَتُه في تفسيره: الرأي المستند إلى العقل[2]، ومقاصد الشريعة وروحها، والسنن الكونية والواقع، وهذه أمور مرنة غير منضبطة، ولذلك لجأ إليها، لأنه بذلك وحده يستطيع أن يؤلف كتاباً ضخماً يشحنه بالأوهام والخيالات من غير رقيب ولا حسيب!!

ولقد لاحظنا فيما مضى أنه لا يربط الآيات المتحدة في المعنى مع أنه قال في ص٣١٨: والحكمُ العدلُ يقتضي منا تفسير الآيات مجتمعة، لأنها رتلٌ واحد في موضوع واحد، ولأن أصول التفسير المنطقي تقتضي عدم البتر، قال ذلك في معرض الاحتجاج على مخالفيه مع أنه لم يلتزم بذلك.

٩ - ثم هو وكما عرفته عن كثب[3] يحتاجُ إلى المعجم المفهرس لمعرفةِ الآية التي يريد الاستدلال بها، مما يضعف الثقة بفهمهِ للقرآن الكريم، لأن فهمه لا يعتمد فيه على الاستقراء المعجمي وحده، إذا لم يقترن ذلك بالحفظ وطول الممارسة والمدارسة لكتب التفسير بمناهجها المختلفة مع التمكن من جميع العلوم التي لها مدخل ومساس مباشر بفهم الآية.

---

(١) راجع شروط المفسر وشروط التعامل مع السياق في كتابي «دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم» من ص١٠٩-١٢٥.

(٢) قال أبو الحسن الأشعري عن المعتزلة والقدرية: «تأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطاناً ولا أوضح به برهاناً ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ولا عن السلف» ص٦، ٧ من كتاب «الإبانة عن أصول الديانة».

(٣) جمعني به مجلس أو مجلسان، فكان إذا أراد الاحتجاج بآية انغلقت عليه حتى أذكرها له!!

ثالث عشر: موقفه من السنة:

نقرأ للمؤلف في بعض مواضع كتابه عبارات توهم اعتماده على السنة واعترافه بمصدريتها اعترافاً لاشائبة فيه، فيقع القارىء تحت طائلة زخرف القول، وما أكثر القراء الذين لا يميزون بين الغث والسمين، وإن ميَّزوا فليس عندهم استعداد للتأكد من صحة أو بطلان ما قرأوه، بل وأكثر الأدواء التي أُصيبت بها الأمة في أزمنتها الأخيرة: التشتت الفكري والازدواج الثقافي، وسيطرة الأهواء، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه نتيجة ضعف أو انعدام المركزية الفكرية العقدية، والضوابط الموجهة للفكر توجيهاً سليماً متوازناً، بعد أن انفرط عقد دولتها وخلافتها ووحدتها، وكثرت مناهج تشريعها وموجهات حياتها وعيشها.

وإليك الآن ملاحظاتنا على موقفه من السنة:

١ - قال في ص٧: إنني لم أُكذِّب حديثاً صحيحاً واحداً، ولم أنكر من السنة شيئاً، بل وفّقتُ الأحاديث الصحيحة مع نصوص القرآن، وأوضحتُ الفهم الصحيح للأحاديث.

أقول: أنت حقاً لم تكذب صحيحاً واحداً، بل كَذَّبْتَ جميع الأحاديث الصحيحة الصريحة في إثبات عذاب القبر وجعلتَ نفسك فوق أرباب اللسان العربي، وفوق جهابذة علم الحديث.

٢ - يطعن في البخاري ومسلم وفي صحيحيهما ورواتهما:

أ) في ص٣٢١: نقل تفسير البخاري لآية ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴿٢٧﴾ ﴾[إبراهيم] واستدلاله بها على عذاب القبر، ثم ذكر أنه خطأ، ثم قال: أقول ذلك رادّاً حديث البخاري متناً وكلي ثقة بأنني على صواب!!

ب) وقال في ص١٢: ووقوع بعض الخطأ في الصحيحين أمر لا بد منه.

جـ) في ص٢٣٦: فالبخاري يخطىء ويصيب، وهي كلمة حق أُريدَ بها التمويه وفتح باب الشك في أوثق كتب الحديث عند المسلمين.

د) وقال في ص١٨٤: لماذا هذا الإصرار على إثباتِ عذابٍ في القبر لا وجودَ له، ولا يصدق بوقوعه عاقلٌ ولا فقيه؟! فهذا صريح في الطعن بجميع الروايات والأحاديث الصحيحة عند البخاري ومسلم وغيرهما.

هـ) وفي ص٢٤١، وهو يناقش حديث الصراط، قال: ويلاحظ هنا أن الراوي قد ساوى بين الأصنام وتابعيها، وبين الله وتابعيه، ليرسخ في ذهن القارىء أن الحديث من وضع الراوي، ولو كان من رجال البخاري.

و) وفي ص٢٣٦: والسؤال هنا: قولُ مَنْ هذا؟ «مَنْ كان يعبد شيئاً فليتبعه» الأرجح أنه قول أحدهم دسَّه هنا.. وليس غريباً أن يمر هذا على البخاري!!

وفي ختام هذه الفقرة نقول للقارىء: أليست هذه المطاعن في رجال أسانيد البخاري كافية لإسقاط الثقة بأعظم جامعي الأحاديث ومُوثِّقيها، ومَنْ أجمعت الأمةُ في كل عصورها على الشهادة له بأعلى درجات الضبط والحفظ والثقة، ثم ماذا تكون نتيجة هذا التشكيك غير الشك في مصدرية السنة كلها مهما حاول المؤلف التبرؤ من ذلك.

٣ - قد عرفتَ من قَبْلُ أنه لا يأخذ بخبر الآحاد في العقيدة ولو كان مُتَفَّقاً عليه بين الشيخين، أو استفاض شُهرةً في جميع عصور الأمة، مع أن المعلوم أن الرسول ﷺ كان يرسل آحاد الصحابة إلى الأقطار والبلدان يَدْعونَ أهلَها إلى الإسلام، ويعلمونهم أحكام الدين، ويروون لهم

الأحاديث دون تفريق بين فروع وأصول وعقائد ومعاملات وعبادات، فلو لم يكن العلم به واجباً على المسلمين لَما اكتفى بإرسال واحد أو اثنين، ولكان أرسل جَمْعاً يُؤْمَنُ تواطؤهم على الكذب، وقد أجمع الصحابة على العمل بخبر الواحد[1].

٤ - إذا صَحَّ سندُ الحديث واعترف المؤلف بذلك، فإنه لا يعتبر نفسه مُلْزَماً بالعمل به، ويطعن فيه من جهة المتن، ونحن لا ننكر ذلك من ناحية المبدأ، ولكن هنا مُنزلق خطير تَزِلُّ فيه أقدام أهل الأهواء مِمَّنْ يقفُ في وجوههم حديثٌ أو عدة أحاديث صحيحة سنداً، فيضيقون بها ذرعاً لأنها تصادمُ آراءهم فيزعمون معارضتها للقرآن الكريم، وهم ليسوا أهلاً لفهمِ ظاهرِ الحرفِ القرآني أو بطنه، ثم إنه قد ورد في «كشف الخفاء» للعجلوني تحت باب: إذا سمعتم عني حديثاً فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فاقبلوه وإلا فردوه «قال: لم يثبت في ذلك شيء، وهذا الحديث من أوضع الموضوعات بل صحَّ خلافه: «ألا وإني أوتيتُ القرآن ومثله معه»[2]، ولذلك فإن قول المؤلف، في ص٧، ٨: ناهيك عن استحالة ورود حديث نبوي صحيح يخالف القرآن، هذا القول منه مغالطة ومخالف للواقع، وقد ورد في كتب الأصول: والسنة قاضية على الكتاب[3]، لأن الكتاب يكون محتملاً للأمرين فأكثر، فتأتي السنة بتعيين أحدهما فيرجع إلى السنة ويترك مقتضى ظاهر الكتاب، قال تعالى: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴿٢٤﴾ ﴾، بعد قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النساء] الآيات، مما يدل على حل كل ما عدا ما ذكر، فجاءت

---

(١) انظر ج٣/ ص٧٨ الشخصية الإسلامية.

(٢) ج٢ ص٤٢٣.

(٣) أي تأتي بأحكام زائدة أو مخالفة.

السنة فأخرجت من ذلك نكاح المرأة على عمتها أو خالتها، فكان ذلك تركاً لظاهر الكتاب، مما يؤكد استقلالية السنة كمصدر للشريعة كالقرآن سواء بسواء[1].

٥ - قال في ص١٩٣: فإذا كان الجهل أو ضيق الأفق قد بلغ ببعض الناس أنْ صَدَّقُوا تلك الخرافات: «يعني أدلة سماع عذاب القبر» فلا يعني ذلك أن نتابعهم عليها، وقرآننا يقول بغير ذلك... أما الرواة فبشرٌ غير معصومين.

٦ - قال في ص١٩٥: من المعلوم بداهة أن بعض الصحابة أخذوا عقيدتهم من آيات كتاب الله، وأن آخرين منهم نظروا في آيات السنن الكونية والآفاق، وما يجري في واقع الأمر، ومن بيان النبي ﷺ.

لاحظ كيف جعل بيان النبي «أي السنة» في الدرجة الرابعة وليس في الدرجة الثانية كما هو معلوم كضرورةٍ من ضروريات ديننا، ودلت عليه النصوص، فمعاذ حين أرسله إلى اليمن، وقال له: بم تقضي؟ قال: بكتاب الله، قال: فإنْ لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد في السنة؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فأثنى عليه النبي راضياً بمنهجه في فهم الدين، وهذا مسلك شامل لكل نواحي الحياة وليس القضاء فقط، وما زال المسلمون يرددون أن السنة هي المصدر الثاني وليس الرابع!! ثم إن المؤلف لم يكتف بذلك، بل راح يشكِّك فيها قائلاً: ومعلوم أن كل حديث من أحاديث الآحاد لم يكن يعلمه من الصحابة سوى واحد أو اثنين أو أكثر قليلاً... في حين لم يكن يعلمه آلاف الصحابة... وبالتالي

---

(١) ج٣/ الشخصية الإسلامية ص٦٨، ٦٩ وهناك من رفض هذا الاصطلاح: «قضاء السنة على الكتاب» واعتبر الأحاديث التي تبدو متعارضة مع القرآن مبينة للمراد منه/ كتاب «مفتاح السنة» ص٦/ لمحمد عبدالعزيز الخولي/ الطبعة الثالثة.

فلم تكن تلك الأحاديث معلومة لدى غالبية الصحابة ولا لدى غالبية التابعين ولا تابعيهم!!

٧ - أما كيف يفهم الحديث، وما هي مُوجِّهاتُه في ذلك، فإنها: السنن الكونية، والواقع، والعقل، وروح الشريعة ومقاصدها، والتحليل اللغوي، وهي موجهات غير مضمونة النتائج، فضلاً عن أنها مجال واسع للتحكم والتوجيه غير الموضوعي؛ وكما رأينا في كيفية فهمه للقرآن الكريم في التحكم بأسباب النزول وإهمالها واستبعادها كما ذَكرَ إنْ لم يستطع توفيقها أو لم تلتق عنده مع رأيه، فإنه قد فعل الشيء نفسه بأسباب الورود للأحاديث[١]، وكما رأينا أيضاً في كيفية فهمه للقرآن الكريم من حيث انتقاء الآية التي يريد والتفسير الذي يوافق هواه، ولم يلجأ إلى جمع الآيات، فهو كذلك فعل في كيفية فهم الأحاديث الواردة في موضوع واحد، ولو فعل ذلك بإخلاصٍ ونزاهة لخَفَّفَ من صولة مكابرته، بل لاضطر إلى مراجعة نفسه فيما اقتحمه من هذا المعترك الصعب والخطير[٢].

وقد بينا فيما سبق تناقضه وتحكمه في فهم القرآن والحديث، وفي قبول الحديث أو رفضه، ورأينا كيف اعتبر الحديث الغريب ضعيفاً دائماً كما رأينا أنه يبيح لنفسه ما يُحَرِّمهُ على غيره؛ فقد استدل في ص٧٩ بحديث خرجه الترمذي وقال عنه: صحيح غريب من هذا الوجه، وهو:

---

(١) لو كان يهتم بأسباب الورود لَمَا غفل عن سبب سؤال عائشة عن عذاب القبر، ولما قال: لو كان للقبر عذاب لسأل الصحابة عنه/ انظر ص١٨٦ ودقائق التفسير ج١/ ص٧٧.

(٢) والعجيب أنه اتهم مخالفيه بذلك حيث قال في ص٣٤٢: والغريب أنهم يختارون من الأحاديث الطرق التي تهمهم ليس غير.

«لو كانت الدنيا تساوي عند ربك جناح بعوضة ما سقى الكافرَ منها جرعة ماء»[1].

وإليك مثالاً آخر على تحكمه في فهم الحديث: قال في ص٩١ بصدد حديث تخيير النبي ﷺ: «إن الله قد خيَّر النبي بين الخلود في الدنيا وبين الملأ الأعلى»، مع أن لفظ الحديث لا يحتمل هذا المعنى، وإنما يُفهم منه فقط: مطلق التخيير دون تحديد، فقد يكون المراد مجرد التأجيل لفترة أخرى وليس الخلود في الدنيا مع أن هذا الإنظار ليس مخالفاً للسنن الكونية أو الإلهية كما سنبيّن ذلك في مبحث مناقشة الشبهات بإذن الله تعالى.

ومن الأمثلة قوله معلقاً على حديث أم حبيبة رضي الله عنها حين قال لها النبي ﷺ: «لو سألتِ الله أن يعيذك من عذابٍ في النار أو عذاب في القبر كان خيراً...»، فقال: الذي يُفْهَمُ منه أنهما عذابٌ واحد لأن أو هناتدل على التخيير، ولا يُعقل اختيار الاستعاذة من عذاب وترك الآخر لو كان موجوداً[2] / ص١٠١، ١٠٢.

رابع عشر: منهج تعميمي:

لا شك أن التعميم ينافي الدقة والنزاهة والموضوعية العلمية، فإذا بَخِلَ شخصٌ من أسرة أو قرية فليس معنى ذلك تعميم وصف البُخْل على جميع أفراد الأسرة أو القرية، وإليك بعض نماذج التعميم الذميم عند المؤلف:

---

(١) انظر كشف الخفاء ج٢/ص١٥٩، مع أن الألفاظ التي ذكرها المؤلف مُلَفَّقة لم تَرِدْ هكذا في جميع الروايات.

(٢) انظر الرد على ذلك في مبحث مناقشة الشبهات.

١ - في ص٢٨: من سلبيات تسرّب الفكر الخرافي إلى مفاهيم المسلمين عدم وجود العقيدة الصافية في كتابات علماء المسلمين منذ قرون، مما جعلهم يخرجون من الإيمان تدريجياً!!

٢ - وفي ص٢١٣: ولا يسعني إلا توجيه النصيحة المخلصة إلى جميع المسلمين أن يصححوا مفاهيمهم ويعودوا إلى الحق!!

٣ - وقال في ص١: واستدلوا على وقوع العذاب في القبر تارة بآيات، وتارة بأحاديث لم يفقهوا معانيها.

٤ - وقال في ص١٨: وقال الخوارج: لا عذاب في القبر، وكذا نَقْلُه عن جميعهم إنكارَ حَدِّ الرجم، مع أنه لبعضهم[١].

٥ - وقال في ص٤٠: المسلمون اليوم هم والعدم سواء بسبب تقليدهم الأعمى لعلماء السلف!!

٦ - قال في ص١٦٤: كل أحاديث الخسوف التي في صحيح مسلم انتهت بعبارة أن الشمس والقمر آيتان، مع أنه لم ينته بها إلا ١٤ حديثاً من ثلاثين[٢].

٧ - قال في ص٣٥: ان جميع الناس يرددون حديث: «القبر حفرة أو روضة» في الاستدلال على وجود عذاب في القبر، مع أنه حديث ضعيف. ولا أدري مَنْ قصد بجميع الناس؛ فإن قصد العامة فلا قيمة لقوله وقولهم، وإن قصد العلماء فقول غير صحيح، لأن أدلة العلماء هي ظواهر قرآنية، وأحاديث صحيحة، اعترف هو بصحتها (انظر ص١٢ من كتابه).

٨ - قال في ص٧٧: فهل التزم المسلمون المعاصرون الإسلام الحق؟!

---

(١) راجع المبحث الثالث/ ص٥٨/ بند١٣.

(٢) راجع المبحث السادس/ البند الأول/ ص٥٧ من هذا الرد.

خامس عشر: منهج عقلاني محض:

بمعنى إعطاء العقل مطلق الحرية في الفهم والتوجيه، حتى في أمور العقيدة والمفاهيم الشرعية ودلالات الألفاظ[1]، رغم قصور العقل، وإليك ما ذكره ابن خلدون في مقدمته حول هذا الأمر: لا تثقنَّ بما يَزْعمُ لكَ الفكر من أنه مقتدرٌ على الإحاطة بالكائنات وأسبابها... بل العقل ميزان صحيح... غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة... ومَنْ يقدم العقلَ على السمع في أمثال هذه القضايا... فلقصورِ فَهْمهِ[2].

وإليك أيضاً أيها القارىء الكريم ما ذكره حجة الإسلام الغزالي في «إحيائه» حول هذه المنهجية في الاستدلال:

ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها إلا بقريحة تامة، وعقل ثاقب، وجِدٍّ في الطلب، وممارسةٍ للكتاب والسنة، ومجالسة أهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم[3].

ونحن نلاحظ أن المؤلف قد غالى في دور العقل ووظيفته في فهم الدين، والظاهر أن ذلك المنهج منسجم مع موقفه من الأحاديث والطعن في رواتها، ومع موقفه من فهم القرآن والسنة، وتحكيم السنن الكونية في ذلك الفهم، كما ينسجم مع تركيزه على الواقع، وعلى مفهوم الخرافة، واقترابه من منهج المعتزلة، ومع تخميناته وظنونه وتحكماته وترددات كما رأينا ذلك في ملامح منهجه السابقة.

وإليك بعض النماذج لهذا المنهج:

---

(١) مع أن طريق معرفة اللغة الأخذ عن أهلها لأنها مسألة اصطلاحية وضعية لا عقلية/ انظر الشخصية الإسلامية/ ص١١٨.

(٢) المقدمة/ ص٤٥٩/ ٤٦٠.

(٣) ج٢ ص١٥١.

١ - قال في ص٤: العقلُ لا يقبلُ ولا يقرُّ بوجودِ عذابٍ يقعُ على جسدٍ ميت فاقدٍ للحس والشعور[١].

٢ - وقال في ص٧: فالعقيدة الإسلامية لم تأت بمسائل لا قِبَلَ للعقل باستيعابها لأنها تعتمد أصلاً على العقل.

أقول: لا أدري كيف يستوعب العقل الملائكة والجن وسائر أمور الغيب؟! ولو كان الأمر كما يقول المؤلف لما اختُلِفَ في ماهية الملائكة بين قائلٍ بأنهم أناث، وآخر بأنهم يمثلون الغاية القصوى في الجمال[٢]، ومن خلط بينهم وبين الجن، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴿١٥٨﴾﴾[الصافات]، مع أنهم جعلوا بينه وبين الملائكة نسباً، وكما في فهمهم لهاروت وماروت، وهناك من قال: إنهم مجرد قوانين وليسوا مخلوقات متجسمة، إلى غير ذلك من التصورات المختلفة التي تدل على ضلال العقل في استيعاب هذه الأمور، ومن هنا أثنى الله تعالى على المؤمنين بالغيب.

٣ - وقال في ص٢٥: فكلُّ ما لا يخضع للعقل، ولا يوافق السنن الكونية أو لا واقع له... فهو خرافة.

أقول: والله إن هذا القول لشديد الخطورة لأن مجال عمل العقل هو العالَمُ المحسوسُ القابلُ للاختبار والتجربة، وما سوى ذلك فدليله النص، كما نقل عن ابن خلدون والغزالي وغيرهما[٣].

---

(١) هنا مغالطة وخروج عن موضع الخلاف، فليس الخلاف على تعذيب الجسد، لأن المؤلف يُنكر العذاب مطلقاً.

(٢) من الفلاسفة مَنْ زعم أن الملائكة هي العقول والنفوس/ دقائق التفسير ج٤/ ص٢٧٩.

(٣) إذا لم يحس الإنسان بالشيء لا يمكن لعقله أن يصدر حكماً عليه، لأن العقل مقيد حكمه على الأشياء بكونها محسوسة، بل واقع العقل أنه إحساس وواقع ومعلومات سابقة ودماغ/ انظر الشخصية الإسلامية ج٣/ ص٩.

٤ - قال في ص١: وكان لزاماً... إعادة المؤمنين إلى منهج التفكير الإسلامي العقلاني الحق.

وإليك ما قاله صاحب «الحجة البالغة» في هذا الصدد: المسائل التي اختلف فيها أهل القبلة على قسمين:

قسم نطقت به الآيات، وصَحَّتْ به السنة، وجرى عليه السلف من الصحابة والتابعين، فلما ظهر إعجاب كل ذي رأي برأيه... اختار قوم ظاهر الكتاب والسنة وعَضُّوا بنواجذهم على عقائد السلف ولم يبالوا بموافقتها للأصول العقلية ولا مخالفتها لها... وهم أهل السنة، وذهب قوم إلى التأويل، والصرف عن الظاهر حين خالفت الأصول العقلية بزعمهم... فمن هذا القسم سؤال القبر... والمرور على الصراط... وكرامات الأولياء[١].

سادس عشر: منهج يعتمد الواقعية المفرطة:

لا نُنكر واقعيةَ الإسلام في تشريعاته التي تهدف إلى تنظيم هذا الواقع وتوجيهه الوجهة السليمة المتفقة مع أهداف الإسلام العليا ومبادئه الأساسية، بَلْ واقعيةُ الإسلام هي من أهم ميزاته عن سائر الأديان ومناهج الإصلاح، لكن كلمة الواقع كلمة غير منضبطة، و«الواقعية في الفلسفة مذهب يلتزم فيه التصوير الأمين لمظاهر الطبيعة والحياة كما هي، وكذلك عرض الآراء والأحداث والظروف والملابسات دون نظر مثالي»[٢].

هذا هو الواقع، وهذه هي الواقعية: التصوير الأمين لمظاهر الطبيعة، والقبرُ ليس من هذا القبيل، بل المؤلف نفسه قد اعترف بأنه دخل عالم الغيب كما نقلت لك من قبل؛ مما يدل على تناقض المؤلف.

---

(١) حجة الله البالغة لولي الله الدهلوي/ج١ص١٨، ١٩/ وقسم استنباطي وتفسيري ص١٩.
(٢) المعجم الوسيط ج٢ ص١٠٥٠.

وإليك بعض نماذج واقعية منهج المؤلف:

١ - قال في ص٢٨٠: ناهيك عن تناقضه (المتن) مع الحقيقة الواقعة، وهو يعني «نفخ الروح في الجنين»، مع أن الروح بعد خروجها من الجسد تخرج عن عالم الواقع فلا تخضع لمقاييسه وسننه، ولذلك فإن موضوع القبر والبرزخ وما يجري فيه ليس من هذا الواقع، بل والجنين من الغيب ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴿٣٤﴾﴾[لقمان].

٢ - وقال في ص١٨١: أما أن الأموات يُفتنون في قبورهم فتلك والله عجائب لا يقرها عقل ولا واقع لها عملياً، ناهيك أن الله لم يكلف الأموات فكيف يفتنهم؟!

وملاحظاتي على هذه الفقرة:

أ) سبق للمؤلف أن فسَّر الفتنة (سؤال الملكين) بوقت الاحتضار، وهنا ينكرها بتاتاً!! مع أن العقلَ والواقعَ لا يقبلان أنْ يُكَلِّفَ اللهُ محتضراً في غمرات الموت.

ب) الواقع مشاهد، وما بعدَ الموت غيبٌ، غير مشاهد.

٣ - في ص٤ قال: القول بتعذيب الميت وشعوره بالعذاب مخالف للواقع المشاهد[1]، مع أن محل النزاع ليس الجسد وحواسه بل الروح التي عزلت عن الواقع ببرزخ إلى يوم القيامة، والله تعالى يقول: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾[الواقعة] فهي قد أصبحت خارجَ دائرةِ الحسِّ والواقع، فلا يجوزُ إخضاعها للواقع في أحوالها، وإنما المرجع في ذلك النص وحده، ثم إن ادعاء المخالفة للواقع المشاهد مَبْنيٌّ على قياسٍ فاسد كما سنرى عند مناقشة شبهة الأقيسة الفاسدة في الفصل الثاني.

---

(١) سيأتي الرد على هذه الشبهة في مبحث مناقشة الشبهات.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني

المبحث الأول

تحرير محل النزاع

ومناقشة الشبهات

رأيتُ أن أُسميها شبهات لا أدلة أخذاً من قول الغزالي في أصحاب المنهج المماثل لمنهج هذا الكتاب: من المغترّين فرقة اشتغلوا بعلم الكلام، والمجادلة في الأهواء، ونفي الإيمان عمن لا يعتقد مذهبهم، وإنما أُتِيَتْ هذه الفرقةُ من حيث أنها لم تتهم رأيها، ولم تُحكم أولاً شروط الأدلة ومنهاجها فرأى أحدهم الشبهة دليلاً والدليل شبهة[1].

وإذا افترضنا حسن النية في المؤلف وعدم وجود أي دافع وراء تأليف كتابه سوى تسجيل قناعته حول هذا الموضوع فإننا نستطيع إجمال هذه الشبهات في الأمور التالية:

١ - السنن الكونية.

٢ - العقل.

٣ - روح الشريعة ومقاصدها.

٤ - العمومات القرآنية.

٥ - الأقيسة الفاسدة.

٦ - عدم ذكر عذاب القبر في القرآن صراحة.

٧ - شبهات أخرى متفرقة.

٨ - أدلة المخالفين.

---

(١) تهذيب الإحياء/ ج٢ ص١٥١.

ويَجْمُلُ بنا قبل البدء في تفصيل القول حول هذه الشبهات أن نحدد موضع النزاع لأن هذا التحديد من شأنه أن يجمع أشتات الموضوع وأن يكون إطاراً ضابطاً للمناقشة بحيث يُورَد الدليلُ مورده الحقيقي ويحول دون التلاعب بالألفاظ، وأن يدخل في الموضوع ما ليس منه، أو يخرج عنه ما هو منه، ولا سيما في هذه المسألة التي كانت الآراء فيها مثاراً للاستغراب لما بينها من بُعْد[1]، فبينما نرى فئة كبيرة من الناس، بل قد يكونون من المنتسبين إلى العلم، يبالغون في حياة البرزخ أو القبر إلى درجة اعتبارها حياةً حقيقية لا تختلفُ عنها إلا بانعدام المشاهدة الحسية أو المعايشة الجسدية، فيعتقدون أن الميت في قبره حيٌّ بجسمه، وتعود الروح إلى الجسم فيقعد في قبره كما هو ظاهر نص صريح في صحيح البخاري، وكما هو في التلقينات المتعارفة عند القبوريين، وقد تَرَتَّبَ على هذا الاعتقاد تصرفات أثارت خلافات شديدة ولا سيما فيما يتعلق بالتوسل بالمقبورين من الصالحين، وإنزال الحاجات عند قبورهم، ومعلومٌ أنَّ التطرفَ يُولِّدُ التطرفَ، فجاء رد الفعل من بعض العقلانيين أو الحسيين في عصر الهجمة الفكرية الأولى التي أحدثت اضطراباً كبيراً في العقيدة[2] ـ جاء رَدُّ الفعل قوياً ـ كما جاء في عصر الهجمة الجديدة حيث بدأت تتسلل الشبهات إلى عقائد المسلمين وأخذت الشكوك طريقها إلى كثير من الناس وبخاصة الذين تَشَبَّعُوا من مناهج التفكير المادي العقلاني غربياً كان أو شرقياً، وتَجدّد الصراع بين مدرسة الرأي، ومدرسة الأثر «على شاكلة ما يجري في الغرب بين المحافظين والأحرار، أو ما حصل بين البروتستانت

---

(١) وبهذا نقطع الطريق على تساؤل المؤلف في ص١٣٨: وعندما نسأل: ما الذي يُعذب ؟ تجدهم قد اختلفوا بين قائل: جسده، جزء من جسده، روحه، روحه وجسده، . . . إلخ.

(٢) بعد ترجمة علوم وفلسفات أمم الفرس واليونان وغيرهم منذ العصر الأموي والعباسي.

والكاثوليك» وأشهد أن السلوك الخرافي قد امتزج مع العقيدة الصحيحة في موضوع عذاب القبر لدى طوائف عديدة وقطاع عريض من الناس، سواء كانوا من العامّة أو أبعاض العلماء، مما يُعطي بعضَ العذرِ لمن يبالغون في الإنكار والتحذير من هذه السلوكات الخرافية من مثل التشييد على القبور في بلاد الشام حتى تبدو كأنها حدائق غناء تنتفي فيها ومعها العبرة والحكمة من زيارة القبور، ومن مثل التوسل بأصحاب القبور تَمَسُّكاً بشبهات واهية حتى لقد كُفِّرتُ في بلدةٍ شامية لأنني أنكرتُ التوسل الشِّرْكيَّ بأصحاب القبور، وحينما اجتمعتُ بأحد مثقفي هذه البلدة وعلمائها وتبادلتُ معه الحديث حول هذا الموضوع أكثر من ساعتين وسألتهُ بعد ذلك عن رأيه في عقيدتي، فأخبرني بأني سيء أدب في حق الأولياء، ولكنه تفضل عليَّ حيث برَّأني من الكفر!!

وهذه المبالغة أيضاً كانت وراء كثير من الكتب التي أُلِّفَتْ، والمحاضرات التي ألقيت، والجهود الفكرية الأخرى التي بذلت، بل والمذاهب أو الأحزاب التي تأسست في شتى أنحاء العالم الإسلامي لمحاربة الأفكار والاعتقادات التي شَوَّهَتْ جمالَ التوحيد وصفاء العقيدة الإسلامية، ولقد لفت انتباهي من بين هذه الكتب، كتاب بعنوان «هذه المقابر والعتبات» للدكتور العثماني تعريب سعيد أشرف الحسني الندوي/ باكستان، وهو يصور مدى الانحدار الذي بلغه المسلمون في تلك الديار بتقديسهم للقبور وأصحابها ممن يطلقون عليهم ألقاباً مخترعة مثل المعاضد، ومانح الخزائن ومسبغ النعم، وحلّال المشاكل، والمستجيب، وواهب العطايا للمعدمين[1]، والمعركة الآن حامية الوطيس بين المتصوفة

---

(١) ص٤/ واقرأ في هذا الكتاب كل البدع والمنكرات التي تتصل بالقبور والأولياء، مع أنني أتحفظ على كثير من آرائه وتضعيفاته، وسأورد خلاصة لكتابه في نهاية هذا الكتاب ليطلع القارىء عليه ويحكم عليه عن كثب.

والسلفية إلى درجة تبادل التكفير، وهذا كما ترى أمر جد خطير لما يتركه من آثار مدمرة في أفكار الناشئة المثقفة التي أصبحت تعاني من الانفصام والانقسام بين فكرٍ وافدٍ مُدَجَّجٍ بكل وسائل التضليل، وبين فكرٍ تراثي موروث متناقض ينهشُ بعضه بعضاً.

ولذا فإنني لم أُرِدْ من كتابي هذا تبريرَ الاعتقادات الباطلة في شأن القبور، أو الدفاع عن الأقوال والتصرفات الخرافية التي لا تستند إلا إلى أوهام أو أحلام منام!! وإنما أردت أن أخفف من حِدَّةِ ردة الفعل في إنكار مسائل القبر بصورة مطلقة واعتبار ذلك خرافةً مع تَنَكُّرٍ واضحٍ لدلالات النصوص الصحيحة والصريحة، كما في كتاب «حقيقة عذاب القبر» الذي بين أيدينا.

ولقد اطلعت على كتب كثيرة مؤلفة في عذاب القبر وسؤال القبر، فوجدتها تخلط بين الصحيح وعدمه، وبين المقبول والمعقول والخرافي المرفوض، رغم أن بعضها يبدو من منهج مؤلفه أنه من المحققين، مثل كتاب «عذاب القبر» لمجدي محمد الشهاوي، ومثل كتاب «إثبات عذاب القبر» للبيهقي، ومثل كتاب «التذكرة» للقرطبي، ومثل كتاب «سؤال القبر» تحقيق الدكتور السيد الجُميلي، وغيرها، ولم أجد مَنْ حاول تحديد المراد من تعذيب القبر مُرَجِّحاً ذلك بالأدلة الصحيحة الراجحة.

وفي هذا الصدد ينبغي معرفة أمرين قبل الخوض في هذا الموضوع؛ الأول: الذي يُعذب، والثاني: صورة العذاب وكيفيته؛ أما بخصوص الأمر الأول فينبغي الاقتصار على المتفق عليه وهو الروح (أو النفس)[1]، وما

---

(١) جاء في ابن كثير: الآية ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾[غافر] دلت على عرض الأرواح على النار غدواً وعشياً في البرزخ، وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح، أما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة/ ج٤ ص٨١.

سوى ذلك من أقوالٍ فهي زياداتٌ وردت في بعضها أحاديث ليست صريحةفي شأنها، وبعضها الآخر أُثبتَ بأقوالٍ أو منامات مما لا تثبتُ به عقيدة؛ وأما الأمر الثاني فينبغي عدم الخوض في تفاصيل العذاب، وإنما يُكتفى بما ورد في الأحاديث الصحيحة.

وهنا نذكّر بقول ابن حجر: «فيجب أن يُفْهَمَ عن الرسولِ مُرادهُ من غير غلوٍ ولا تقصير»، وقوله: المقصود بالحياة في القبر للمسألة ليست الحياة المستقرة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبيره، بل هو مجرد إعادة عارضة، كما حصل في إعادة كثير من الأموات لكثير من الأنبياء لسؤالهم عن أشياء ثم عودتهم موتى[1].

وقال الغزالي في «إحيائه»: الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة، قال هذا بعد أن أورد ثلاثة أقوال وهي:

أ) إنكار الحشر والنشر وهو رأي الملحدين.

ب) ظن قوم أنه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر إلى أن يُعاد في وقت الحشر[2].

جـ) وقال آخرون: الروح باقية لا تنعدم بالموت، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد وأن الأجساد لا تُبعث ولا تحشر أصلاً[3].

وفي «شرح العقيدة الطحاوية»: فيجب اعتقاد ثبوت عذاب القبر ونعيمه، ولا نتكلم في كيفيته؛ إذ ليس للعقل وقوفٌ على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار... وعود الروح إلى الجسد ليس على الوجه

---

(١) فتح الباري ج٣/ ص٢٨٤/ ٢٩٢، نقلاً عن المؤلف/ ص٣٣٨.

(٢) وهذا هو رأي المؤلف.

(٣) ج١ ص٣٠٨ تهذيب إحياء علوم الدين لعبدالسلام هارون.

المعهود في الدنيا... وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلكفيجب أن يُفهم عن الرسول مراده من غير غُلو ولا تقصير[1].

وقال في «شرح العقيدة» أيضاً: واعلم أن أهل الحق اتفقوا على أن الله تعالى يخلق في الميت نوعَ حياةٍ في القبر قدر ما يتألم ويلتذ لكن اختلفوا في أنه هل تُعاد الروح إليه أم لا، والمنقول عن الإمام أبي حنيفة التوقف[2].

والخلاصة أن الأمر المشترك بين هذه الأقوال أن الذي يُنعَّمُ أو يُعذب هو ما اختاره الغزالي رحمه الله، وذكر أنه تَشهدُ له طرقُ الاعتبار وتنطق به الأخبار، وأن كيفية هذا التنعيم والتعذيب لا يجوز الخروج في شأنها عن الوارد في أحاديث صحيحة وصريحة، وما سوى ذلك من تفاصيل حياة القبر، كالذي أورده ابن رجب في كتابه «أهوال القبور»[3]، أو أورده القرطبي في «التذكرة»، أو ابن القيم في كتاب «الروح»، فأُرجِّحُ ما رَجَّحهُ أبو حنيفة رحمه الله من التوقف: «عدم الإثبات وعدم الإنكار».

---

(١) انظر ص٢٩٢ من كتاب «حقيقة عذاب القبر».

(٢) ص١٥٤ والشرح للعلامة الغنيمي الميداني الحنفي.

(٣) مما ورد فيه: خروج رجل من بني إسرائيل من قبره ينفض رأسه بين عينيه أثر السجود/ ص١٧ من عذاب القبر للشهاوي.

المبحث الثاني

الروح والنفس

ومما يتصل بهذا الموضوع، وهو تحرير محل النزاع، أن نقدم خلاصة عن الروح والنفس ما دمنا قد اخترنا أن الذي يُعذب وينعم هو الروح أو النفس أخذاً من ظواهر الأحاديث الصحيحة، أما البدن فيتحلل إلى عناصره الترابية ويبقى كذلك إلى يوم البعث، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾[الإسراء].

وقبلَ ذلك دَعْنا نرى رأيَ المؤلف في هذا الموضوع:

١ - قال في ص٦٦: ولما كان العذاب لا يقع إلا على النفس بمعنى الجسد والروح والحياة[١]، وقال أيضاً: كما جهل الذين قالوا: إن الروح هي التي تعذب لأنها جزء من النفس.

٢ - وقال في ص٤٥: للنفس معنى واحد هو الذات، ثم قال ص٤٦: الروح جزء من النفس، وخَطّأ الراغبَ الأصفهاني لتعريفه النفس بالروح، بل قال: أخطأ كل مَنْ قال بقوله هذا[٢].

---

(١) ظهر بطلان ذلك فيما سلف.

(٢) ورد في رواية واحدة عند أحمد التعبير بالنفس ثم بالروح في سياق واحد: أن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب... وفي حين يعرج بها إلى السماء... فيقول أهل السماء: مرحباً بالروح الطيبة/ ابن كثير ج٢ ص٥٣٣.

والواقع أن المؤلف قد شذ برأيه هذا شذوذاً لا نظير له، إذ أنه خالف اللغة العربية التي هي وعاء ونسيج القرآن والسنة، وخالف الأعراف كلها، وخالف مفاهيم علم النفس «الشعور واللاشعور وما فوق الشعور، والعيادات النفسية. . . إلخ» وخالف مفاهيم الفلاسفة السابقين واللاحقين، كما خالف الواقع، وحتى الاستعمالات القرآنية والحديثية، وإليك ما يثبت ذلك:

أ) ورد في «لسان العرب» لابن منظور المعاني التالية للنفس: «الروح، والذات، وما به التمييز، ونقل عن ابن عباس: أن لكل إنسان نفسين: نفس العقل الذي به التمييز، ونفس الروح الذي به الحياة، ثم قال: وبه قال الزجاج أيضاً».

ب) وفي القرآن الكريم: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا. . . ۝٤﴾[النساء] فلو كانت النفس بمعنى الذات في هذا السياق لَمَا كان من حاجة إلى التمييز بالنفس، والمميَّز ذواتهم (طبن).

وكذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۝٤٢﴾[الزمر] حيث تدل القرائن على أن النفس في هذا السياق غير الذات، بل هي جزء من الذات لأنَّ التوفِّي للنفسِ في أثناء النوم، والبدنُ بقيَ في محله وكذلك الحياة، والقرينةُ: يُمسك ويرسل، والإمساكُ ليس للجسم لأنه باقٍ في محله ولم يطرأ عليه إمساك وإرسال وهكذا الحياة إلا مجازاً، والحقيقةُ تُقَدَّمُ على المجاز ما لم تتعذر؛ وقال الله تعالى: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ ۝٥٣﴾[يوسف] والقرينة: الإضافة إلى الذات، والمضاف غير المضاف إليه، والقرينة الأقوى قوله: إلا ما رحم، ولم يقل إلا من رحم، مع الاعتراف في الوقت نفسه بأن معظم الاستعمالات القرآنية هي بمعنى الذات.

جـ) وفي «الجامع الصغير» ورد حديث: «أن المؤمن تخرج نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله تعالى» عن ابن عباس، وهو صحيح، والتعبير ظاهر في أن النفس هنا تخرج من البدن فهي بمعنى الروح[١].

وفيه أيضاً: وقال الله تعالى إن المؤمن مني بعرض كل خير، إني أنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمدني، وهو صحيح[٢].

وفيه: قال الله تعالى للنفس: اخرجي، قالت: لا أخرج إلا كارهةً، وورد في «الأدب المفرد» للبخاري عن أبي هريرة[٣].

وفيه: «ألم تروا إلى الإنسان إذا مات شَخَصَ بصرُه، فذاك حين يتبع بصرُه نفسَه»، صحيح مسلم عن أبي هريرة[٤].

د) وفي «شرح الطحاوية»: والتحقيق أن النفس تُطلَقُ على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة، ويختلف تارة، وقال: والذي يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل: أن النفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس[٥].

هـ) وفي المناظرات بين الصابئة والحنيفية في المفاضلة بين الروحاني المحض، وبين البشرية النبوية والتي استغرقت خمسة وثلاثين صفحة

---

(١) ج١ ص٣٩١/ واقرأ في تفسير ابن كثير ج٣/ ص٦١: فحاصل ما نقول: إن الروح هي أصل النفس ومادتها، والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن، فهي ليست بمعناها من كل وجه، ثم قال ابن كثير: تكلم الناس في ماهية الروح وأحكامها وصنفوا في ذلك كتباً.

(٢) ج٢/ ص٧٩٦.

(٣) السابق ص٧٩٨.

(٤) السابق ج١ ص٢٨١.

(٥) ص٣٨١/ اقرأ ما ورد عن موضوع النفس والرد من ص٣٧٩-٣٨٥ شرح العقيدة الطحاوية/ الطبعة السلفية.

من أول الجزء الثاني من كتاب الملل والنحل للشهرستاني، نقرأ ما يدل بوضوح على وجود الفرق بين الروح والجسم والنفس.

ولا شك أن التفسيرَ الشاذ الذي قدمه المؤلف للنفس والروح إنما قصد به صرف الآيات والأحاديث عن دلالاتها الظاهرة في إثبات عذاب القبر، ولو تدبر بحيادية تامة ودون فهم مسبق أو تحكم لَفطِنَ للصيغة التي وردت في حديث أَكثرَ من الاستشهادِ به وهو قوله عليه السلام: «انطلقوا به إلى آخر الأجل»، وهو يقصد حتماً: انطلقوا بها ـ أي الروح ـ كما ورد في النصوص الأخرى، وإنما عبَّر بقوله (به) بدل بها، للدلالة على أن الروح تَسدُّ مَسَدَّ الذاتِ كاملة، وأنها العنصر الأهم في الوجود الإنساني في الحياة وبعد الممات، بل هي التي تقف وراء جميع النشاطات الحيوية المرتبطة ظاهراً بأعضاء الجسد كالقلب والدماغ والحواس والأعصاب، ولعل هذا هو الذي عناه المفسر أبو السعود رحمه الله فيما نقله عن بعض أهل العلم من هيمنة للنفس الإنسانية «وهو يعني بها ما نعنيه بالروح»، وإليك ما قاله في ذلك: النفس الإنسانية مجردة ليست حالّة في البدن ولا خارجة عنه، متعلقة به تعلق التدبير والتصرف، وتستعمله كيفما شاءت، فإذا أرادت فعلاً من الأفاعيل الجسمانية تُلقيه إلى الروح الحيواني في القلب، الذي هو أعدل الأرواح وأصفاها وأقربها منها، وأقواها مناسبة إلى عالم المجردات، إلقاءً روحانياً، وهذا بدوره (أي الروح الحيواني الذي في القلب) بواسطة ما في الشرايين من الأرواح إلى الدماغ الذي هو منبت الأعصاب التي فيها القوى المحركة للإنسان، فعند ذلك يحرك من الأعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه القريبة والبعيدة، فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة[1].

---

(١) تفسير أبي السعود/ ج٥/ ص٢٧٢.

وربما زادك فهماً لهذه الهيمنة للروح على سائر عناصر الوجود الإنساني ما ذكره العلاّمة ولي الله الدهلوي في حجته البالغة، وهو يتكلم عن حقيقة الروح، قائلاً: واعلم أن الروح أول ما يدرك من حقيقتها أنها: مبدأ الحياة في الحيوان، وأنه يكون حياً بنفخ الروح فيه، ويكون ميتاً بمفارقتها منه، ثم إذا أمعن في التأمل ينجلي أن في البدن بخاراً لطيفاً متولداً في القلب من خلاصة الأخلاط يحمل القوى الحسّاسة والمحركة والمدبرة للغذاء... ويستلزم تكونه الحياة وتحلله الموت، فهو الروح في أول النظر، والطبقة السفلى من الروح في النظر الممعن، ومثله في البدن كمثل ماء الورد أو النار في الفحم، ثم إذا أمعن في النظر أيضاً انجلى أن هذا الروح مطية للروح الحقيقية ومادة لتعلقها... فالشيء الذي هو «الإنسان» به، هو ليس هذا الروح، ولا هذا البدن، ولا هذه المشخّصات التي تعرف وترى ببادىء الرأي، بل الروح في الحقيقة: حقيقة فردانية ونقطة نورانية يجل طورها عن طور هذه الأطوار المتغيرة... ولها تعلّق خاص بالروح الهوائي (البخاري) أولاً وبالبدن ثانياً، من حيث أن البدن مطية النسمة (أي الروح الهوائي) وهي (الروح الحقيقية) كوة من عالم القدس، ينزل منها مع النسمة كل ما استعدت له... وقد تحقق عندنا أن الموت انفكاك النسمة عن البدن لفقد استعداد البدن لتوليدها، وليس انفكاك الروح القدسي عن النسمة، وإذا تحللت النسمة ـ في الأمراض المدنفة ـ وجب في حكمة الله أن يبقى شيء من النسمة، بقدر ما يصح ارتباط الروح الإلهي بها.

وإذا مات الإنسان كان للنسمة نشأة أخرى، فينشىء فيض الروح الإلهي فيها قوة فيما بقي من الحس المشترك تكفي كفاية السمع والبصر والكلام، بمدد من عالم المثال... وربما تستعد النسمة حينئذ للباسٍ نوراني أو ظلماني بمدد من عالم المثال، ومن هنالك تتولد عجائب عالم البرزخ[1]... ولما كانت النسمة برزخاً متوسطاً بين الروح الإلهي والبدن

---

(١) وفي هذا الشرح والبيان تُفهم عودة الروح إلى الجسد بعد الموت بصورة تقريبية.

الأرضي وجب أن يكون لها وجه إلى هذا ووجه إلى ذلك، والوجه المائل إلى القدس هو الملكية والمائل إلى الأرض هو البهيمية[1].

وقد تكتمل الصورة لديك أيها القارىء بإيراد رأي الفيلسوف ابن خلدون حول الروح في مقدمته إذ قال: الروح القلبي وهو البخار اللطيف المنبعث من تجويف القلب اللحمي ينتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن، وبه تكمل أفعال القوى الحيوانية وإحساسها، فإذا أدركه الملال بكثرة التصرف في الإحساس بالحواس الخمس، وتصريف القوى الظاهرة، وغشي سطح البدن ما يغشاه من برد الليل انحبس الروح من سائر أقطار البدن إلى مركزه القلبي فيستجم بذلك لمعاودة فعله، فتعطلت الحواس الظاهرة كلها، وذلك هو معنى النوم، ثم إن الروح القلبي هذا مطية للروح العاقل من الإنسان، والروح العاقل مدرك لجميع ما في عالم الأمر بذاته، إذ حقيقته وذاته عين الإدراك وإنما يمنع من تعلقه للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالبدن وقواه وحواسه، فلو قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع إلى حقيقته وهو عين الإدراك فيعقل كل مدرك[2].

وقال في موضع آخر: الإنسان مركب من جزأين، أحدهما جسماني والآخر روحاني ممتزج به، ولكل واحد منهما مدارك مختصة به، والمدرك

---

(١) يكاد هذا التشخيص أن يكون مطابقاً لرأي الدكتور مصطفى محمود في النفس والروح إما من باب توارد الخواطر، وإما أن الدكتور أخذه عن الدهلوي بتصرف وتغيير في بعض الألفاظ كوضعه النفس محل النسمة مثلاً، فالدكتور قال في ص٢٦٧: وذلك عالم المثال النوراني الذي يستمد قدسيته من كونه من الله ومن أمر الله، قال هذا عن الروح، وقال في ص٢٦٤: وعلاقة نفس كل منا بروحه وجسده هي أشبه بعلاقة ذرة الحديد بالمجال المغناطيسي ذي القطبين... فتارة تهبط إلى الجسد وتارة تصعد إلى الروح.

(٢) المقدمة ص٤٧٦، ٥١٧، وفي هذا أيضاً تقريب لمعنى تعذيب الروح وتنعيمها.

فيهما واحد وهو الجزء الروحاني، يدرك تارة مدارك روحانية، وتارة مدارك جسمانية، إلا أن المدارك الروحانية يدركها بذاته، بغير واسطة، والجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس[1].

ونستأنس في دعم هذا الرأي بالحديث النبوي الشريف المتفق عليه، وهو قوله ﷺ: «الأرواح جنودة مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[2].

وروي عن ابن مسعود مرفوعاً بلفظ يساهم في توضيح الحديث، وهو: الأرواح جنود مجندة تلتقي فتتشاءم... فما تعارف منها ائتلف... فلو أن رجلاً مؤمناً جاء إلى مجلس فيه مائة منافق وليس فيهم إلا مؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه، ولو أن منافقاً جاء إلى مجلس فيه مائة مؤمن وليس فيه إلا منافق لجاء يجلس إليه، وروي عن معاذ مرفوعاً بلفظ: لشمَّ روحه روح ذلك المؤمن وعكسه[3].

ويُستأنس أيضاً، بل يُستدل استدلالاً قوياً بآية الإسراء وآيات المعراج، حيث جاء التعبير عن الذات ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[4]، وهذا على رأي من قال إن الإسراء والمعراج حصل بالروح.

---

(١) المقدمة، ص٤٧٦، ٥١٧.

(٢) كشف الخفاء/ ج١ ص١١١ وعليه شرح وتوثيق في صفحتين، ومع الشرح تحقيق عن مسألة «أيهما خلق قبل الآخر: الروح أم الجسد» ورجح الأول، وادعى فيه ابن حزم الإجماع واستدل بحديث ضعيف جداً: «إن خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام» وقيل مع الأجساد بدليل حديث الشيخين: «... ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح» ص١١٣.

(٣) السابق/ ص١١٢.

(٤) وفي آيات المعراج في سورة النجم: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ فلم يقل على ما رأت روحه.

والآن وقد ظهر ضعف رأي المؤلف في معنى النفس والروح والعلاقة بينهما، بل شذوذ هذا الرأي وغرابته وعدم استناده إلى أي دليل سوى التحكم في الفهم من آيات القرآن أو الخضوع للوهم، أقول: نستطيع الآن أن نمسك بخناق المؤلف كلما جاء بدليل أو شبهة دليل بناء على تعريفه الفاسد للنفس ونحكم على بطلانه بداهة لأن المبني على الباطل يكون باطلاً حتماً[1].

وإليك الآن هذه الشبهات والرد عليها شبهة شبهة:

---

(١) انظر ما كتبه القرطبي حول هذا الموضوع تحت الفصل الأول من كتابه «التذكرة» ص١٣٥، ١٣٦، ومما ذكره: تأمل يا أخي هذا الحديث وما قبله من الأحاديث ترشدك إلى أن الروح والنفس شيء واحد.

المبحث الثالث

المناقشة

أولاً: السنن الكونية:

قال في ص٤: القول بتعذيب الميت وشعوره بالعذاب مناقض للسنن الكونية.

وقال في ص٣١: كان لا بد من شمول الإنسان في الحياة وبعد الممات بنظام السنن الكونية.

وقال في ص٣١ أيضاً: فالسنن الكونية تبقى ثابتة ما دامت الحياة قائمة على الأرض.

إن المؤلف قد بالغ ولا ريب في شمولية هذه السنن للميت بوقوعه تحت تأثير الاتجاه العقلاني المحض بحكم تخصصه الدراسي من جهة، ولا ننسى العوامل الوراثية والتربوية، ونوع الكتب التي يغلب عليه مطالعتها، والصلات الحزبية والنشاطات الجدلية، والرغبة في الشهرة، ثم أخيراً طغيان تيار التفكير العلماني الوافد، والصراع بين القديم والجديد والرغبة في التجديد.

والمتتبع للكتاب فقرة فقرة يرى مدى خضوع المؤلف لهذه السنن وكثرة الاستدلال بها لدرجة أن إسقاطها من الحساب يدع المؤلف مَهيضَ الجناح أعزل عن السلاح.

وإضافة إلى البند الثالث «مآخذ لغوية» حيث أوضحتُ عدم جواز التمسك بهذه السنن في موضوع الأموات لأنها لا تنطبق إلا على الأحياء، وهنا نزيد فنقول: هذه السنن مثلاً لا تنطبق على الملائكة لأنها من الغيب،

ولا على الجن، ولا على تفاصيل العالم الآخر، ولا على تسيير الجبال وانفطار السموات وتكوير الشمس وخسوف القمر وطلوع الشمس من المغرب مع أنها تحدث قبل يوم القيامة، إلى غير ذلك مما ورد من علامات الساعة الكبرى السابقة أو المقارنة، والشبهةُ القوية التي تبرز أمام العقل في هذا المجال هي نفس الشبهة التي كانت تتبدى أمام منكري البعث وتتحداهم في عاداتهم وقوانين فهمهم وحياتهم: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾؟! [يـس]، إنه حقاً لأمر يبدو في غاية الصعوبة تصور جسم تَحَلَّلَ إلى ذرات أمام أعيننا، وكيف يتسنى للعقل أن يتصور تعلقاً دائماً للروح بهذا الجسم المتحلل، وكيف يمكن إقناع الحس بخلاف قوانينه؟!

لا شك أن هناك نوعاً من البشر يلغون عقولهم إلغاءً كاملاً إزاء هذه الظواهر، ليتقبلوها، ولكن هناك فئة أخرى لا تقبل الإيمان بما يخالف القوانين المعهودة، ومن هؤلاء من يبالغ إلى درجة إنكار جميع المغيّبات كما عند الماديين، وهناك من ينكر بعضها، وهناك من يقرّبها إلى تصوره بتجسيدها في صور وأشكال عرفت في جميع المراحل الإنسانية.

ويمكن ترتيب درجات الإنكار تنازلياً على النحو التالي:

١ - إنكارٌ كلي لجميع المُغَيَّبات.

٢ - إنكار ليوم القيامة كالذين تَحدَّثَ عنهم القرآنُ الكريم من فئات الكفرة.

٣ - إنكار لحياة قبل يوم القيامة ـ كما هو شأن مؤلف هذا الكتاب.

٤ - إنكار لعذاب أو نعيم يقع على الجسم ـ كما عند ابن حزم وغيره، وعندي ميل إلى ذلك الرأي، ولولا بعض ألفاظ الحديث الصحيح لقطعت بهذا الرأي، مثل قول البخاري: «إذا أقعد الميت في

قبره...» وقول غيره: «... يأتياه ملكان فيقعدانه...» مع أن هذا اللفظ يمكن تأويله، أما باقي الألفاظ مثل: سماع قرع نعال المشيعين، أو سماع أصوات المعذبين، أو أن أحدهم تشتعل عليه الشملة التي غلَّها من غنائم خيبر، أو الذين خاطبهم النبي في قليب بدر من المشركين وأخبر أنهم يسمعون ولا ينطقون، أو ضم القبر وضغطته التي لا يَسْلَمُ منها أحد، أو غيرها من الألفاظ فهذه ونحوها يمكن نسبتها إلى الروح حقيقة أو تأويلاً لكن دون تفصيل أو تكييف، من حيث أن الروح هي التي تهب الجسد الإدراك كما رأينا من قبل، وأنها مصدر هذه المظاهر والقوى الإدراكية سواء حَلَّتْ في الجسد أو فارقته.

من هذا الاستعراض لأنواع البشر في مدى خضوعهم للحس والعقل نستطيع الجزم بأن المؤلف لا يمكن إقناعه بالعدول عن رأيه إلا إذا اقتنع بأن السنن الكونية خاصة بالكون المُشاهدَ، واقتنع مع ذلك بأن مرحلة ما بعد الموت هي من الغيب[1].

وأن القوانين التي تحكم الروح ـ وقد حُجزت عن الدنيا ببرزخ ـ سواء كانت مجردة أو حالّةً في صورة أو جسد آخر كطير أو غيره، غير القوانين التي كانت تحكمها وهي حالَّةٌ في الجسد المُكَلَّفِ بكامل عناصره في الحياة الدنيا.

واعتَبِرْ ذلك أيضاً بحال الجنين، فمع أنه موجود في الدنيا إلا أن قوانين حياته في بطن أمه تختلف عن قوانين تغذيته وحياته بعد انفصاله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٧٨﴾﴾[النحل].

---

(١) قال في ص٨٤: «فالأحياء لهم قوانينهم المعروفة، والأموات تحكمهم قوانين أخرى مناقضة تماماً، وقال في ص٥٠ عن القبر والبرزخ: وقد دخل عالم الغيب».

ثم هل توصل العقل البشري إلى تحديدات قطعية ثابتة لمفهوم السنن الكونية مع ما نراه من تَسارُعٍ تَقَني ووثبات هائلة تشبه المعجزات في مجالات الاختراع بحيث يغدو ممكناً ما كان في قوانين البشر مستحيلاً.

وإذا أخذنا بالرأي القائل بأن وجود الأرواح سابق على وجود الأجساد والذي رجحه ابن حزم فمن الحق أن نتصور قوانين تحكم هذا الوجود غير القوانين التي تحكم هذه الأرواح بعد امتزاجها بالأجساد، ثم هذه أيضاً غير القوانين التي تحكم هذه الأرواح بعد مفارقتها للأجساد، ولا أظن بحال أن يخالفنا المؤلف في أن القوانين التي كانت تحكم الوجود الروحي حين أخذ اللهُ العهدَ على ذرية بني آدم، هي غير القوانين التي كانت تحكم الأرواح قبل حلولها في الأصلاب والأرحام.

ولو أن المؤلف قلَّب النص على جميع وجوهه لَرَأى حتماً أن قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ . . . .﴾ يعني من جملة ما يعنيه وجود هذا الاختلاف في القوانين[1].

ثانياً: «شبهة العقل»:

قال في ص٧: العقيدة الإسلامية لم تأت بمسائل لا قِبَلَ للعقل باستيعابها لأنها تعتمد أصلاً على العقل.

ونقول: هذا قول أريد به باطل؛ إذ لو كان ذلك كذلك بإطلاقٍ ما أثنى الله على المؤمنين بالغيب، ولما كان هناك آيات متشابهات في القرآن الكريم، ولاستطعنا أن ندرك بالعقل كيف يجري الشيطان من ابن آدم مجرى الدم[2] !!

---

(١) قال الدكتور العثماني في كتابه «هذه المقابر والعتبات» ص٣٨: والحقيقة أن الميت تنقطع كل أواصره عن هذه الدنيا؛ وهذا الذي يقوله القرآن الكريم، ثم ذكر آية البرزخ.

(٢) لصعوبة تصور ذلك أنكر المهندس شحرور المفهوم الديني التقليدي للشيطان كما أنكره من قبل خالد محمد خالد في كتابه «هذا أو الطوفان» وكتابه «من هنا نبدأ».

وكيف يكون مقعد الملكين على الثَّنِيَّتَين كما ورد في حديث، وكيف أخرج الله الذرية من ظهور آدم وبنيه وأخذ عليهم العهود بربوبيته وكيف شهدوا بذلك. . . إلى غير ذلك من أمور العقيدة التي لا يمكن للعقل أن يخوض فيها.

ونذكر أيضاً أن العقل مرتبط ومقيد بالحواس وبالأشياء المحسوسة، وهو وإن كان صالحاً لأن يدرك بشكل إجمالي بعض أمور الغيب، فإنه يعتمد في ذلك على الأمور المحسوسة، كقولنا مثلاً: الله موجود، لأن كل صنعة لا بد لها من صانع، وهذا الوجود العظيم مصنوع فلا بد له من صانع عظيم، وعليه فالعقل لا دخل له في هذه القضية بنفيٍ إو إثباتٍ وإن كان لا يستبعد وجودها ووقوعها قياساً على الأمور المحسوسة.

وهنا نعود ثانية إلى مقدمة ابن خلدون فنقرأ فيها قوله: إن مدارك صاحب الشريعة أوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الأنظار العقلية؛ فهي فوقها ومحيطة بها، لاستمدادها من الأنوار الإلهية، فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف، فإذا هدانا الشارع إلى مدرك، فينبغي أن نقدمه على مداركنا ونثق به دونها، ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه[1].

ونقرأ كذلك قوله: إن قوماً من عقلاء النوع الإنساني زعموا أن الوجود كله، الحسي وما وراء الحسي، تُدرك أدواته وأحواله بأسبابها الأنظار الفكرية والأقيسة العقلية، وأن تصحيح العقائد الإيمانية من قبل النظر لا من جهة السمع، فإنها بعض من مدارك العقل، وهم الفلاسفة[2].

ونقرأ له كذلك: وإنما يتفرع ما في الخارج عما في الذهن من ذلك، كالأحكام الشرعية فإنها فروع عما في المحفوظ من الكتاب والسنة،

---

(١) المقدمة/ ص٤٩٥، ٤٩٦.

(٢) السابق ص٥١٤.

فتطلب مطابقة ما في الخارج لها، عكس الأنظار في العلوم العقلية التي تطلب في صحتها مطابقتها لما في الخارج.

وإذا عرفنا أن حياة البرزخ أو ما بعد الموت ليست من العلوم العقلية وإنما هي من العلوم الشرعية، فلا نسمح للعقل أن يتوسع في شأنها رفضاً وإثباتاً[1].

وقال صاحب «الحجة البالغة»: ان المبتدعين شككوا في كثير من المسائل الإسلامية بأنها مخالفة للعقل، وكل ما هو مخالف له يجب رده أو تأويله، كقولهم في عذاب القبر: إنه يُكذِّبُه الحِسُّ والعقل، وقالوا في الحساب والصراط والميزان نحواً من ذلك فطفقوا يؤولون بتأويلات بعيدة[2].

ثالثاً: روح الشريعة ومقاصدها / أو مصالحها:

لا أدري بالضبط ما الذي قصده المؤلف بتكرار إيراد هذه العبارة مقترنة بالسنن الكونية والعقل والأسباب والمسببات، ولكن المظنون من قرينة الكلام أنه يعني بذلك قواعد العدل الإلهي، وربط العقوبة بالذنب، واحترام الشريعة للعقل، بل يمكن القول إنه يستعملها بمعنى السنن الكونية والعقل على سبيل التأكيد، وإليك مثالين من أمثلة استعماله لها:

١ - في ص٣٨: وقد يكون «الحديث» يخالف القرآن أو يعارض العقل أو السنن الكونية، أو لا يؤمن بربط الأسباب بمسبباتها أو لا يتفق مع روح الشريعة أو مع مصالحها.

٢ - وفي ص٤٠، ٤١: فقول الطيبي في إثبات الفتنة والسؤال في القبر كلام مرفوض، لكونه يخالف آيات القرآن وروح الشريعة ومقاصدها، ويخالف السنن الكونية.

---

(١) راجع ما كتب عن المنهج العقلاني/ البند الخامس عشر.

(٢) ج١ ص١٧، وانظر جواب القرطبي ومناقشته لهذه الشبهة:/ التذكرة ص١٤٠.

فإذا حمل استعمالها على الترادف فما قيل في الرد على شبهة السنن والعقل يقال فيها، وإن أراد بها غير ذلك، فنقول:

إن روح الشريعة، ومقاصدها لا تتنافى مع ما يحصل للروح بعد الموت، بل ربما استلزمت هذا الحصول كما سنرى في الرد على شبهة سلبيات الإيمان بعذاب القبر المزعومة، غاية ما في الأمر أن المؤلف يرى ذلك منافياً لروح الشريعة وغيره يراه موافقاً، وإذا رفض فهمنا لروح الشريعة وموافقتها فإننا نرفض فهمه لها ومخالفتها، فتسقط هذه الشبهة عن الاعتبار والاستدلال، ولا سيما وإن معنا زيادة على فهم هذه الروح أدلة صحيحة.

وهنا نودّ التذكير بموقف ردده القرآن كثيراً لأخذ العبرة منه، وهو موقف إبليس أمام النص الصريح في الأمر بالسجود لآدم؛ فإن فهمه لروح الشريعة ـ لروح الأمر الذي أُمِرَ به ـ جعله يرفض هذا الأمر الشرعي!!

واصطلاح روح الشريعة اصطلاح فضفاض يدخل منه كل ذي هوى فلا يصلح للاستدلال.

رابعاً: شبهة الأقيسة الفاسدة:

١ - قال في ص١٢٧: فإذا كان من البدهي أن من يُعاقب متهماً قبل محاكمته وإدانته فهو ظالم، فهل يُعد مهتدياً من يتهم الله بالظلم فيقول بتعذيب الناس في قبورهم أم أنه في ضلال بعيد؟!

أقول: في هذا القول مغالطات عدة منها:

أ) قياس أفعال الله تعالى على أفعال العباد وصفاته على صفاتهم قياسٌ ظاهرُ الفساد، وهذا معلومٌ بداهةً من جهة شمولِ علمِ الله وقصور علم العبد في التعرف على القصد الجرمي الموجب للعقوبة، ومن جهة كمال العدل.

ب) مخالف للواقع، فقد عذب الله العصاة والكافرين قبل يوم الحساب، بمجرد إقامة الحجة عليهم بواسطة الرسل.

جـ) مخالف لقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، ولقوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾، ولقوله: ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، وكيف يُقاسُ خالقٌ مالكٌ على مخلوقٍ مملوك[1] ؟!!

د) ويمكن نتيجة هذا التوجيه اعتبار المؤلف هو الذي اتّهم الله بالظلم؛ حيث ساوى بينه وبين خلقه، وأخضعه لمقاييس البشر وقوانينهم التي وضعها لتحكمهم وليس لتحكمه، ولكن المؤلف أُتِيَ من أفكار مثل: وجوب مراعاة الأصلح على الله، والتحسين العقلي التي سيطرت على فكر المعتزلة وعقائدهم.

ونحن نقول: إن تصورنا لعدل الله المطلق ورحمته الكاملة يجعلنا نقطع بأنه لا يفعل إلا ما هو في صالح خلقه ولكن ليس كما نفهم، فقد يكون عند الله العمى صلاحاً بل أصلح لصاحبه من الإبصار لكثير من الناس، وإنني أُوجِّهُ المؤلف لمعاودة النظر والتدبر في قصة موسى عليه السلام والرجل الصالح ليتعلم منها إن شاء كيف يفهم معنى الأصلح عند الله تعالى، فموسى عليه السلام قبل جواد عفانة بآلاف السنين اعترض على الرجل الصالح في ثلاثة مواقف وأفعال اعتبرها ظلماً ومنافية للعدل والواقع وروح الشريعة إلى غير هذه المصطلحات التي شحن المؤلفُ كتابه بها، وكانت النتيجة عدم قدرة نبي من أولي العزم على تحمّل السكوت على ما يرى من أفعال الله ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ ۚ﴾[الكهف] هذا هو الأدب الذي لا يصل إليه إلا من أطال

---

(١) عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه، قال: إنَّ الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالمٍ لهم... إلخ/ ص٤٥٠ من كتاب موارد الظمآن.

مدارسة القرآن في مجالس العلم وحلقات الذكر مع عباد الله الصالحين، وتحت إشراف العلماء المستنيرين.

٢ - قال في ص١٧٣: وهذا الأسلوب في عرض المستقبل وارد في القرآن أيضاً، فمثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾[الزمر] فهو إخبار للنبي أنه سيموت حتماً مثله مثل غيره... إلخ.

أقول: إن الأحاديث ذكرت أنه تَقدَّمَ خطوة وهو في الصلاة، ثم تأخر، ثم فسَّر ذلك لأصحابه حين سألوه: بأنه رأى الجنة وتقدم ليأخذ عنقوداً من العنب، وأنه رأى النار يحطمُ بعضُها بعضاً فتأخر، فهل هذا مجرد إخبارٍ أم أنه إخبارٌ وإبصار؟! المهم أنه أكثر من مجرد إخبار، فلا يقاس إخبارٌ قارنه إبصارٌ على إخبارٍ مجرد: «إنك ستموت».

٣ - قال وهو يناقش بعض عبارات حديث الجسر والصراط: ناهيك عن إصدار حكمهم هكذا على الصورة وتغير الصورة «يشير بذلك إلى عبارة: فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب جسر جهنم... إلخ»[1].

ثم قال: وما يتضمنه ذلك من تجسيد باطل، وسوف تجد أنه لم تكن لديهم صورة أصلاً ليقيسوا عليها، فانظر مقدار سخافة مؤلف هذه القصة؟!

وأقول:

التجسيد الذي يَدَّعيه المؤلف قد يكون هو الأَوْلى بالاتصاف به، فهناك نصوص شرعية، كأحاديث رؤية الله تعالى كما يرون الشمس

---

(١) ص٢٣٤.

والقمر، وآيات مجيء الله، وأحاديث نزول الله عشية عرفة وفي الثلث الأخير من كل ليلة إلى السماء الدنيا، وآيات الصفات وأحاديث الصفات. مثل: «حتى يضع رب العزة فيها قدمه» أي في جهنم، إلى غيرها من النصوص التي إذا فُهمتْ على ظاهرها أوقعت في التجسيم فعلاً كما حصل مع أحد طلابي في السعودية في نهاية عام دراسي درسوا فيه عن صفات الله تعالى بشكل مفصَّل، حيث سألني هذا الطالب: هل لله رأس يا أستاذ؟! فضحكت ساخراً ليس من الطالب وإنما من عقم المنهاج وطريقة تدريسه؛ إذ لم يُسعف في هذا المقام تركيزي في كل حصة على القول: من غير تشبيه ولا تعطيل، وذلك فيما يبدو لأن هذا الطالب لم يستطع تصوُّر وجهٍ وبصرٍ وسمعٍ وكلامٍ بدون رأس!! حيث قاس في أعماق نفسه وبصورة عفوية بما استقر في دماغه من صور لم يستطع التفلّت منها ليبلغ درجة من التجريد تسمح له بتصور وجود إلهي دون الوقوع في التشبيه، وهذا هو نفسه الذي أوقع النصارى في تأليه عيسى عليه السلام، واليهود في تأليه العزير، وعُبّادَ الأصنام في تقديس أصنامهم بشتى الصور، وأؤكد أن المؤلف ما اتهم مخالفيه بالتجسيد إلا لأنه تصور كل هذه الألفاظ الواردة في حديث عند البخاري وَفْقَ معطيات الحس والواقع المشاهد والخبرة البشرية، مع أن الإنسان يوم القيامة يتغير: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[القيامة]، كما تتغير المقاييس والحقائق، فلا عسلُ الآخرة كعسل الدنيا ولا ماء الآخرة كماء الدنيا ولا النساء كالنساء، وكذا الأكل والشرب، وصور العذاب وصور النعيم، فالألفاظ القرآنية والحديثية لا تعطينا إلا رموزاً تقريبية[1]،

---

(١) والحديث الوارد في ذبح الموت صحيح ومشهور، وفيه أنهم سئُلوا عنه فعرفوه أنه الموت.

ولو طردنا مذهب المؤلف لأنكرنا كثيراً من الآيات المتشابهة[1] الواردة في شئون الغيب، ولذلك مدح الله أهل الإيمان الذين يقولون: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران] كما أثنى على المؤمنين بالغيب وجعل ذلك مفتاح ما سواه من الفضائل التي تؤدي إلى الفلاح والهداية[2].

٤ - قاس قول المبعوثين يوم القيامة: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[الكهف] على قول المبعوث من موته في الدنيا، وأخذ من هذا القياس اللفظ الذي يخدمه، وترك اللفظ الآخر وهو تكذيب الله له بقوله: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾[البقرة]، فليست العبرة بتقديره هو للمدة، بل العبرة بالواقع، ومثل ذلك قياسه حياة البرزخ على لبث أهل الكهف وما ذكروه في تقدير مدة لبثهم (ص٨٠)، وقال في ص٨٢ تبعاً لهذه الأقيسة الفاسدة: ويُفهم من ذلك أن الميت والنائم لا يحسان بمرور الوقت»، مع أنه رفض في مواضع من مخالفيه قياس الميت على النائم لأنه يبيح لنفسه ما لا يبيحه لغيره.

٥ - قال في ص٨٤: فالأحياء لهم قوانينهم المعروفة، والأموات تحكمهم قوانين أخرى مناقضة تماماً، ولكنه وقع في تناقض مع هذا القول حيث قال في ص٢٨: ثم تصوّر بعضهم أن الغيب تحكمه قوانين غير القوانين التي تحكم الشهود!! أليس هذا منه قياساً للغيب على

---

(١) جاء في كتاب التذكرة للقرطبي/ ص٦٠: فذكرت له هذا الحديث (حديثاً في ظاهِرِهِ تجسيم كحديث الصراط) فما كان منه إلا أن بادر إلى عدم صحته، ولعن رواته، فقلت له: الحديث صحيح خرَّجه ابن ماجة في السنن ولا تُرَدُّ الأخبار بمثل هذا القول بل تُحْمَلُ على ما يليق من التأويل، والذين رووها هم الذين رووا لنا الصلوات الخمس وأحكامها فإن صُدِّقُوا هنا صُدقوا هناك وإن كذبوا هنا كذبوا هناك... إلخ.

(٢) اقرأ أوائل سورة البقرة.

المشهود والشهادة ما دام ينكر على مَنْ يرى الاختلاف بينهما في القوانين؟! ويا ليته بقي عند قوله الأول في التفريق بين الأحياء والأموات إذاً لكفى الناس مؤونة الرد عليه، وكفى نفسه شر هذه البلبلة.

هذا ولقد وقع المؤلف نتيجة هذه الأقيسة الفاسدة في خلط المفاهيم بعضها ببعض؛ فخلط بين العذاب الأدنى والعذاب الأكبر حين كرر رفض وجود أكثر من عذاب، وأكثر من مكان له، وخلط بين عذابٍ للجسم بجميع عناصره وحواسه وعذابٍ خاص بالروح، وبين حياة تحكمها سنن في الدنيا أو في الآخرة، وبين حياة تحكمها سنن أخرى كما يفهم من لفظ برزخ، وخلط بين مفهومي البرزخ المادي والبرزخ المعنوي، وبين ظلم يُنسب إلى العباد وظلم ينسب إلى رب العباد، وبين العرض الأصغر «يعرض عليه مقعده في الجنة أو في النار» وبين العرض الأكبر، كما خلط بين العرض على الله تعالى والعرض على النار، فمزجهما تارة وفصلهما تارة أخرى.

خامساً: العمومات القرآنية:

فيما سبق تعرفنا على طريقة المؤلف ومنهجه في فهم القرآن الكريم وذلك تحت البند الثاني عشر، وعرضتُ نماذج لهذه الطريقة، وقد تبيَّن أن المؤلف لا يمكن تصنيفه في جملة المفسرين بالمأثور، ولا المفسرين بالرأي بالاصطلاح المعروف عند أهل العلم، ولكنه يفهم الآيات طبقاً لأفكار مسبقة اقتنع بها، وأي تفسير بعد ذلك فهو ضعيف وخاطىء ولو جاء عن ابن عباس أو مجاهد أو الطبري أو ابن كثير أو الزمخشري أو عن غالبية المفسرين وجمهورهم، كما رأينا أمثلة لذلك، ورأينا من طريقته أيضاً أنه يستشهد بالآيات في غير مواضعها، وأنه يستدل بالسياق دون إلمام بالمفهوم الشمولي للسياق وربطه مع سياق الآية موضوع الاستدلال أو المناقشة.

وهو مع هذا وذاك يعتمد على العقل المجرد والسنن الكونية وروح الشريعة كما يفهمها مع ما في ذلك من خطورة الانزلاق في التأويلات البعيدة.

كما يمكن أن نعيد إلى الذاكرة ما سجلناه عليه من الانتقائية والتحكم في منهجه عموماً وفي التفسير بشكل خاص، بحيث يختار الآية التي يشعر أنها تخدم غرضه ولا يربطها بآيات أخرى في الموضوع نفسه، وهو الذي أسميته في كتابي «دلالة السياق» بالسياق القرآني، وهو وإن فعل ذلك أحياناً، فلا يلتزم به كمنهج ثابت هذا من جهة، ويفعل ذلك حين يراه في جانب التأويل الذي يضعه من جهة ثانية.

ومن أدلته القرآنية العامة الآيات التي تتحدث عن العذاب في جهنم بصور شتى، والتي تتحدث عن الجزاء بعامة، وعن السؤال والحساب، والتي تجمع بين الدنيا والآخرة في صورة متقابلة كمظهر يكاد أن يكون مطرداً، والتأمل البسيط في هذه الآيات يدل على أنها لا تفيد حصر هذا العذاب في جهنم، أو حصره في يوم القيامة، وإنما تفيد مجرد حصول العذاب الأكبر يوم القيامة، أو الأشد، أو الشديد، أو الدائم والخالد، أو الكبير: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴿٢١﴾﴾[السجدة]، ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾[النمل]، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[التوبة]، ومثل ذلك آيات العدل والميزان ومنع الظلم، فهي أيضاً لا تعني أن المستحقين للعذاب لا يعذبون إلا بعد وزن أعمالهم وحسابهم عليها، إنما تعني الجزاء الكامل الخالد: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١٨٥﴾﴾[آل عمران] ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾[النجم] إلى غيرها من الآيات.

سادساً: أدلة قرآنية خاصة:

١ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴿١١﴾﴾[غافر] قائلاً: لو كان في القبر حياة وموت لكان قولهم: اثنتين مخالفاً للواقع والحقيقة، وقال في ص٣٠٥: القول بحياة في البرزخ تعني وجود حياة ثالثة وهذا ينفيه القرآن، وقال في ص٦٧: إن الإنسان يحيى مرتين ويموت مرتين ولا ثالثة لهما[١]، ثم قال في توضيح الميتَتَيْن: يكون الإنسان ميتاً قبل تكَوُّنِ أصلهِ في ظهر أبيه.

وأقول:

أ) يفهم من هذا القول الأخير أن الموتة الأولى ما يكون قبل التكون في صلب الرجل، مع أن المؤلف ذكر في مواضع أنها تكون في مرحلة الصلب.

ب) ماذا يسمي المؤلف المرحلة الذرية الميثاقية كما في آية الأعراف، ألم يكونوا أحياء ثم ماتوا حتى أُعيدوا في الأصلاب مرة أخرى[٢] ؟

أما الآية التي استشهد بها، فقد استدل بها أيضاً المُثْبتونَ لعذاب القبر قائلين: الحياة الدنيا هي الأولى بدليل قوله تعالى على لسان الكفرة: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴿٢٤﴾ . . . إلخ﴾[الجاثية] وقوله على لسانهم أيضاً: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى ﴿٣٥﴾﴾[الدخان] وبالجمع بين الآيتين نجد أن الحياة الأولى هي مرحلة العمر،

---

(١) وهو اختيار ابن مسعود وابن عباس وقتادة والضحاك: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم ثم أحياهم ثم أماتهم ثم أحياهم للبعث/ القرطبي ج١٥/ ص٢٩٧.

(٢) بل أن ابن زيد قال: خلقهم في ظهر آدم وأخرجهم وأحياهم وأخذ عليهم الميثاق، ثم أماتهم ثم أحياهم في الدنيا ثم أماتهم/ القرطبي ج١٥/ ص٢٩٨.

والموتة الأولى هي الموت المعهود[1]، فإذا فهمنا آية غافر ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ مع هاتين الآيتين فإننا نفهم أن الموتة الثانية هي موتة بعد موتة الدنيا، ولكن المؤلف فهمها مع آية البقرة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴿٢٨﴾ . . . إلخ﴾[البقرة] حيث تشير إلى موت قبل حياة العمر، وهنا يمكن ملاحظة ما يلي:

جـ) آية البقرة ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ وآية غافر ﴿أَمَتَّنَا﴾ والإماتة تكون بعد حياة كما هو المدلول اللغوي.

د) ثم إن قوله: ﴿مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ صريح في أنهم يريدون بها المَوْتةَ التي تكون في الدنيا بعد انتهاء الأجل.

هـ) أضف إلى ذلك: أن آية غافر جاءت في معرض الاعتراف على ألسنةِ الكفار يوم القيامة.

و) ثم إن سياقها وهو قوله بعدها: ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾[غافر] دليل على قصدهم تكذيب أنفسهم حين قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ و ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ دون استحضارِ أو تَذكُّرِ حالِهم قبلَ الولادة.

ز) ثم إن هذا قولهم، فلماذا لا يكون مثل قولهم: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴿٥٥﴾﴾[الروم] فأكذبهم الله تعالى على لسان أهل العلم: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم]، أو كقولهم: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴿١١٣﴾﴾[المؤمنون] فأكذبهم الله بقوله: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾[المؤمنون].

---

(١) قال السدى: أُميتوا في الدنيا ثم أحياهم في القبور للمسألة ثم أميتوا ثم أحيوا في الآخرة، لأن لفظ الميت لا يطلق في العرف على النطفة ص٢٩٧/ السابق.

ح) ثم لماذا لا يكون قولهم هذا: ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ تمهيداً بين يدي رجائهم أن يُعَادُوا إلى الدنيا بانينَ هذا الرجاءَ على كون الله تعالى قد أحياهم أكثر من مرة فلْيُحْيِهِم مرةً أخرى ويجربهم.

ونقول أيضاً: لو لم يكن هناك إلا حياتان بإطلاق ولجميع الكفار، فما معنى ما نصَّ عليه القرآن صراحة من حياة الشهداء بعد موتهم[1]؟ أوليست حياة ثالثة؟، ثم أوليس الإنسان يحيا بالروح كما عرفنا في مبحث النفس والروح؟ وإذا كانت الروحُ بعد الموت باقيةً فلماذا لا نثبتُ لها حياةً ثالثة إلا أنها ناقصة ليس لها حكم الحياة في الدنيا ولا حكم الحياة في الآخرة.

ونسألُ المؤلف: هل القائلون ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ هم جميع الكفار؟! فإن قيل كلهم قلتُ: هذا غير صحيح ومخالفٌ للواقع فإن ألوفاً من بني إسرائيل ماتوا ثم أحياهم الله تعالى، فهذه ميتة أخرى[2]، وميتة أخرى لبني إسرائيل حين صُعِقُوا ثم بعثهم الله من بعد موتهم بصريح القرآن، مِمَّا ينشأُ عنه أربعُ مِيتاتٍ، غير الميتة بعد أنْ شهدوا بربوبية الله التي استشهد بها ابن زيد وفسر آية غافر بها، وإذا بقي المؤلف مصراً على رأيه عناداً فنقول له: ليس ما ذهبتَ إليه بأقوى ولا أرجح مما ذهبنا إليه، غاية ما في الأمر أن يُقال: هي من المتشابه فلا تَعلُّقَ بها لنا ولا لك.

---

(١) وتدبَّر هذا القول من أبي بكر رضي الله عنه حين دخل على النبي ﷺ ووجده قد مات: «فوالله لا يجمع الله عليك موتتين، لقد مِتَّ الموتةَ التي لا تموتُ بعدها» موارد الظمآن/ ص٥٢٩، فمفهومها أن غيره يموت بعد هذه الموتة وإلا فلا معنى لقوله ولا خصوصية له ﷺ في ذلك.

(٢) والألوف الذين أماتهم من بني إسرائيل ثم أحياهم ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ . . . ﴿٢٤٣﴾﴾[البقرة].

٢ - استدل بآيات مثل: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ...﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة] ومثل: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ﴿١٨٥﴾﴾[آل عمران]، ومثل: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾[يس]، وبعد إيراد أمثال هذه الآيات قال ص٢٩٩: فمن قال إن أحداً يُوفَّى إليه أجرهُ قبل يوم القيامة فقد افترى على الله وكذب كتابه، والنص هنا صريح والآية مُحْكمة، أقول: لم يقل أحد بتوفية الأجور، وهذا منه تضليل للقارىء وبُعْدٌ عن أصل الموضوع الذي هو نوع محدود من العذاب أو النعيم، والتوفية تعني إعطاء العقوبة الأكبر: وكذلك العذاب ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾/ أكبر، وهي لا تتنافى مع تقديم بعض الجزاء كما حصل في الدنيا من أنواع البلاء للكفار والمجرمين، وهناك عشرات الآيات التي تتحدث عن هذا العذاب العاجل، فالنص على توفيةِ الجزاء يومَ القيامة وأنه في جهنم لا يمنعُ تعجيلَ بعضهِ قبلَ يوم القيامة سواء كان في الدنيا أو بعد الموت، فلا دلالة في الآية من هذه الجهة على إنكار العذاب أو النعيم في القبر.

٣ - استدل بآية في يس: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ فقال في ص٥: ترى لو كانوا يُعَذَّبونَ في قبورهم، فهل كانوا يقولون: يا ويلنا.. ثم ألا نفهم صراحة من قولهم «مرقدنا» أنهم كانوا لا يشعرون، وأنهم كانوا راقدين؟!

وقال في ص٩٢: إن هذه الآيات تكفي لنفي عذاب القبر بالمفهوم السائد، إذ لو كان أصحاب القبور يعذبون فيها لما قاموا من قبورهم يوم البعث مندهشين، ولَمَا قالوا: يا ويلنا... فهم لم يروا الويل بعد، ولم يكونوا أحياء بل كانوا أمواتاً راقدين في القبور، ولم يشعروا بذلك إلا بعد بعثهم... إلخ.

والجواب على ذلك من وجوه:

أ) هذا هو التَّحكُّمَ الذي صبغَ كتابَهُ كله.

ب) فاندهاشهم قد يكون سببه أنهم لَمّا بُعثوا استحضروا فوراً ما بعد البعث، ولذا قالوا: يا ويلنا، أي يا عذابنا أُحْضُرْ، وقالوا أيضاً: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ - أو قيل لهم ذلك - أي أنهم استحضروا المشهد والمشاهد التي تنتظرهم بكل أهوالها التي كانت تخبرهم بها رُسُلُهم، فلا يبقى من معنى أو قيمة لقول المؤلف: فهم لم يروا الويل بعد؛ إذ أدهشهم ما تَوقَّعُوه، وأَنْساهم ما كانوا فيه، حتى رأوه بجانب ما يتوقعونه هيِّناً لا يؤبه له، وذلك كنائمٍ محكومٍ عليه بالإعدام، حين يستيقظ ويتذكر هذا الحكم فإنه يفزع أشد الفزع، وينسى ما كان فيه من الكوابيس.

جـ) سموا ما كانوا فيه رقوداً بالنسبة لما ينتظرهم من العذاب، قال أبو بكر ابن أبي الدنيا بسنده: والله لئن كان القوم في رقدةٍ مثل ظاهر قولهم؛ لَما دَعَوا بالويلِ عند أول وهلة من بعثهم، ولم يُوقَفُوا بَعْدُ موقفَ عرضٍ ولا مسألة، . . . ولكن كانوا في طول الإقامة في البرزخ يألمون ويعذبون، وما دعوا بالويل عند انقطاع ذلك إلا وقد نُقِلوا إلى طامّة أعظم، ولولا أن الأمر على ذلك لما استصغر القوم ما كانوا فيه فسموه رقاداً[1].

د) والذي يمكن استخلاصه وتصوره من جملة الأحاديث الواردة في ذلك: أن الحياة بعد الموت تشبه حياة الراقد.

هـ) ومما تحتمله أيضاً: أنهم بين النفختين يُرفَعُ عنهم العذاب كما روي، لأن قولهم هذا جاء بعد النفخة الثانية، والمؤلف قد أقرَّ

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم ج١/ ص٣٠٣.

بذلك قائلاً في ص١١٦: يفهم من الآيات الآنفة أن بين النفختين فترة من الوقت لأن كلمة ثم للتراخي، لكن هذه الفترة لا تهم الناسَ لكونهم في موتهم لا يشعرون بعامل الزمن، وإليك ما ورد في هذا الشأن:

نقل أبو السعود في «تفسيره» عن مجاهد قوله: إن للكفار هجعةً يجدون فيها طعمَ النوم، فإذا صِيحَ بأهل القبور يقولون: يا ويلنا... وعن ابن عباس، وأبي بن كعب، وقتادة: أن الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون، فإذا بُعِثُوا وشاهدوا من أهوال القيامة ما شاهدوا دَعَوْا بالويل.

و) وقيل: إذا عاينوا عذاب جهنم وما فيها من أنواع العذاب يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم[1].

ز) ومما تحتمله: أن التعذيب لم يكن متواصلاً «غدواً وعشياً» فربما جاءت النفخة الثانية بين العرضين أو بعدهما.

ح) وقد زوَّدنا المؤلف نفسه بحجة عليه أوردها وهو غافل عنها، وهي آية الحج، فهذه الآية والتي بعدها فيهما رَدٌّ قاطع مُبْطِلٌ لقولين للمؤلف الأول: قوله: لا عذابَ قبل الحساب، والثاني: الاستشهاد بآية يس: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ على عدم التعذيب في القبر بسبب هذه الدهشة، فهناك تطابق بين السياقين في آية الحج: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ مما يفيد أن تساؤلهم: مَنْ بعثنا... ودهشتهم سببها: ولكنَّ عذابَ الله شديد، بل ينبغي أن يكون استحضار العذاب الشديد بعد البعث أقوى وأعنف، لأنه أقرب إليه مرحلة: «مرحلة ما بين النفختين».

---

(١) تفسير ابي السعود ج٤/ ص٢٥٦.

وقد أشار أبو السعود رحمه الله إلى هذا الارتباط بين السياقين بقوله: فيه ترشيح ورمز وإشعار بأنهم لاختلاط عقولهم «سكارى» يظنون أنهم كانوا نياماً.

ط) ثم ألا يمكن أن نسأل: كيف عرفوا أنهم كانوا راقدين، وفي مرقد مع أنهم حين ماتوا لم يكونوا في المرقد في الغالب، بل إنهم تحللوا وانعدموا نهائياً، وصاروا تراباً، فكيف اعتبروا أنفسهم في مرقد لولا أنه كان لهم وجودٌ حَيٌّ يشبهُ حياةَ النائمِ ألا وهو الوجود الروحي[1] ؟

وأخيراً وبحمل الآية على هذه الاحتمالات تتلاشى دلالتها على ما أراده المؤلف، وتنقلب عليه، إذ أنها تصلح للاستدلال بها على إثبات عذاب القبر كما ظهر، أكثر من صلاحيتها للاستدلال على نفيه، وإن أصرَّ على عناده قيل له: ليس ما ذكرتَ بأَوْلى مما ذكرنا، فلا تكون حجة للطرفين، والقارىء الواعي هو الحَكَمُ الأمين.

٤ - واستدل بآية «المؤمنون»: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قال في ص١٥١: الأموات أو أرواحهم تُرسَلُ إلى برزخ حاجز حتى آخر الأجل، وهو يوم البعث، ومعنى من ورائهم: أمامهم أو بانتظارهم بعد موتهم، جمود وانتظار غير شاعرين بمدته حتى قيام الساعة، وقال في ص١٠٢: الأرواح تبقى حيةً لا تُنَعَّمُ ولا تعذب حتى يوم القيامة، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ. . .﴾.

---

(١) وهنا أردُّ القارىء للتمعُّنِ في قول حجة الله الدهلوي: إذا تحللت النسمة وجب في حكمة الله أن يبقى شيء منها بقدر ما يصح ارتباط الروح الإلهي بها، وإذا مات الإنسان كان للنسمة نشأة أخرى. . . إلخ ما قالَ، وهو والله كلام ثمين وبالتدبر قمين/ انظر ص١١١ من هذا المؤلف.

ومما يتصل بفهم المؤلف لهذه الآية شبهة أخرى، وهي تمسكه بظواهر آيات تتحدث عن مدة اللبث في القبر من مثل قوله في ص٣: إن الروح لا تكاد تفارق الجسد عند الموت حتى تعود إليه عند البعث... والبرزخ حاجز معنوي مهما طال زمانه فهو عند الميت متجمد الزمن ولا يساوي أكثر من يوم أو بعض يوم، بل هو أقرب إلى الصفر، فالميت لا يحس بالزمن، الموتُ والبعث عنده كغفوةٍ ثم صحوة مدتها الزمنية ساعة من نهار ولو بقي في قبره آلاف السنين.

والجواب: أراد المؤلف بهذه الفكرة التي رددها أكثر من عشرين مرة في كتابه: أن يُمَهِّدَ لرأيهِ في إنكارِ عذاب القبر، ويُهَيِّىءَ ذهن القارىء لاستيعاب تأويله لعذاب القبر بأنه عذاب النار، ولتمريرِ تبريرهِ دهشةَ الكفار عند البعث، واستدلَّ على ذلك بآيات متشابهة، قد يُفْهَمُ من ظاهرها أنها تعني مُدَّةَ المكثِ في البرزخ، ولكن سياق الآيات مع السياق القرآني العام يدلان على أن المراد: مدة مكثهم في الدنيا، أو فيها وفي البرزخ معاً.

ولنأخذ الآية التي استدل بها ونتدبرها ضمن سياقها فنجد أنها قد جاءت بعد طَلَبِ الكفار الرجوعَ إلى الدنيا بعد موتهم لتقنطهم من هذا الرجوع: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ وبعدها قال: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾، قالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾، ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، والمعنى عند المفسرين: لو كنتم تعلمون هذه الحقيقة لما غفلتم عن العمل والإيمان، ولَتغيَّرتْ أحوالكم، ولأعددتم للقاء الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح، فهذه الآية بمعنى الآية: ﴿أَوَلَمْ

﴿نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴿٣٧﴾﴾[فاطر]، فالسياق ظاهر في أن المراد مدة مكثهم في الدنيا.

وارجع مرة أخرى إلى سياق آيات «المؤمنون»، واقرأ آية ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ فهي متصلة بآية: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾، بل الآيات التي جاءت بعدها كلها جاءت رداً لطلبه الرجوع، ولا يكابرُ إلا جاهلٌ في أن آية ١٠٥ هذه تتحدث عن الدنيا ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ...﴾، ثم اتَّصلَ السياقُ حتى آية ١١٢: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ...﴾ وهذا واضح أيضاً في أن المراد: اللبث في الدنيا، وهو ما أكده المفسرون؛ قال الرازي: ولغرض تَعريفهم قلَّة أيام الدنيا في مقابلة أيام الآخرة[1].

والآن انظر كيف فهم المؤلف الآية لاوياً أعناق الألفاظ نحو مراده!! فقال في ص٨٢: وقوله بعدها: ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ دليلٌ على أن الميت لم يكنْ يعلمُ شيئاً، ولكنه يعودُ بعبثية مكشوفة ليقول: وهذا سؤالٌ يوجهه الله في الآخرة أي ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ عن لبثهم في الأرض أو في القبر أو فيهما معاً، لأنه يريد أن يحفظ خط الرجعة والبعد عن تهمة التحريف والتلاعب بالتفسير، ولو كان منصفاً موضوعياً لقدَّم هذا التفسير، ولكنه لم يفعل ذلك لأنه يُصادم مقصده في نفي عذاب القبر.

مع أن قوله: ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قد عرفت معناه، ولكن المؤلف قدَّم فهمه للمراد من مدة اللبث وأنها في البرزخ، ثم بنى على ذلك الفهم المسبق فهمه لقوله: ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وهذا هو منهجه كما عرفتَ وقرأت من قبل عن منهجه بعامة، وطريقته في فهم القرآن بخاصة.

---

(١) صفوة التفاسير ج١٨/ ص٧٠.

هذا، وقد استدل المؤلف بآية: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾، قائلاً في ص٣: الروح لا تعود للجسد بعد الموت إلا يوم البعث، ثم ذكر الآية، مع أنَّ الآيةَ لا تتحدثُ عن رجوعِ الروح ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾، والقرينة قاطعة في أن المراد ليس عودة الروح وحدها، بل العودة الكاملة لعناصر الإنسان: الجسد والروح والنفس، ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ ونقول أيضاً: لم يقلْ أحدٌ أنها ترجع إلى جسد الميت كما ترجع روح النائم إليه بعد اليقظة، أو كما رجعت روح عزير إليه، أو أرواح أهل الكهف أو أرواح مَنْ أحياهم الله من بني إسرائيل وهم ألوف بعد موتهم أو بعد صعقهم، أو أرواح مَنْ أحياهم عيسى عليه السلام، أو من أحياه الله في زمن موسى عليه السلام، وإنما هو رجوع غيبي لا نعرفه، نؤمن به لورود النص من غير تكييف ولا تشبيه فهو من المتشابه[1].

ثم إن المدقق في آيتي الروم اللتين استدلَّ بهما في جملة ما استدل به على قصر مدة اللبث في البرزخ، يجد أنهما واضحتان في إبطال فهمه، لأن الثانية منهما تحملُ الإنكار من قبل أهل العلم على ما زعمه الكفار من قصر مدة لبثهم ﴿مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾، كما تحمل التأكيد على طول مدة هذا اللبث: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾[2]، فلا أدري كيف لفَّق هذه الفكرة، وكيف تصوَّر إمكانية تمريرها على القراء مع مخالفتها للنصوص أولاً، وللواقع ثانياً، أما النصوص فقد عرفنا ذلك

---

(١) وإن كان ما قدمناه عن الدهلوي رحمه الله يعطي صورة تقريبية لذلك الرجوع.

(٢) وآيتا الروم هما: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ هو بمعنى قوله في «المؤمنون»: ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وبمعنى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾ [الهمزة]، وبمعنى قوله: ﴿مَّآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾[الكهف].

فيما سبق، وأما الواقع فلأن العبرة ليست لظنهم أو تَوهُّمِهم، بل لمدة لبثهم الحقيقية التي يشعر بها المُخَاطَبُونَ بالقرآن الكريم وهم الأحياءُ لا الأموات[1].

وفي نهاية هذه المناقشة لهذه الشبهة نقول للمؤلف: إن شبهتك هذه مبنية على فهمك التحكمي المسبق للآيات وأنها تعني مدة اللبث في البرزخ، وهذا الفهمُ ليس متفقاً عليه بإقرارك كما سبق، فلا يصح التمسك بهذه الفكرة أو الشبهة في إنكار عقيدةٍ مُتَّفقٍ عليها عند أهل السنة والجماعة، ومُجْمَعٍ عليها من قبل الصحابة، قبل ظهور البدع والاختلافات من قبل الخوارج والمعتزلة والجهمية وغيرهم.

٥ - واستدل على القائلين بأن التعذيب للروح بآية: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴿٨٥﴾﴾[الإسراء]، مما يعني أن ماهية الروح مجهولة، قال في ص٣٠٦: كلُّ مَن ادَّعى أن الروح هي التي تُعذَّبُ في البرزخ فقد أخطأ لأننا لا نعرف ماهيتها فهي سر إلهي.

والجواب: أن هذه الشبهة مبنية على تصور لماهية العذاب، وإنما نُثبتُ عذاباً يناسبُ طبيعة الروح عملاً بالأحاديث الصحيحة وبظواهر بعض الآيات، مثل: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾ [النازعات]، وأخذاً من الأحاديث التي تصف الروح بالطيب والخبث أو غير ذلك من أوصافها وما تتعرض له بعد الموت.

فإذا كانت أرواحٌ تُنزع بشدة وهذا نوعُ تعذيبٍ، وأرواحٌ توصف بالخبث وهذا نوعُ تعذيب أيضاً، وحشرها في أجواف طيور سود وهو نوع من التعذيب، ورؤية مقعدها في النار نوع تعذيب، إلى غير ذلك مما وردت به النصوص الكثيرة.

---

(١) قال الخطيب الشربيني: ولما كان الحبس في البرزخ أمراً لا بد منه مهولاً نبَّه عليه وعلى طوله بأداة التراخي: ثم رُدوا إلى الله... إلخ/ السراج المنير ج٤ ص٢٨٤.

ثم إن الروح ما دامت شيئاً موجوداً ويقبل الوصف إذاً فلا يُستغرب تعذيبها بصورةٍ لا نعلمها ولا نُكَيِّفُها.

ثم إن الروح التي تحدثت عنها الآيةُ لم يرد عن النبي ﷺ أو الصحابة ما يدل على المقصود بها، وكل ما ورد: أن اليهود سألوا أو طلبوا من المشركين أن يسألوا النبي عن الروح دون تحديدٍ لنوعِ الروح التي سألوا عنها، وقد وردت في القرآن بمعان كثيرة:

أ) ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ. . . ﴿٤﴾﴾[المعارج].

ب) ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا. . . ﴿٤﴾﴾[القدر].

جـ) ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا. . . ﴿٣٨﴾﴾[النبأ].

د) ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا. . . ﴿٥٢﴾﴾[الشورى]، فإذا كان الأمر كذلك، فكيف نصرف الروح في آية الإسراء إلى الروح التي تنفخ في الإنسان[1] ؟!

٦ - واستدل بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[البقرة] حيث لم يرد فيها ذكر لعذاب القبر/ ص٢٩٧.

والجواب: ليس للآية مفهوم مخالف[2]، ولم تَرِدْ بأسلوب الحَصْرِ، ثم إنها في وصفِ الفئةِ المؤمنة الصالحة، وعلى لسانهم.

---

(١) راجع تحقيق ذلك في ج٣ من تفسير ابن كثير ص٦٠، ٦١ حول الروح التي سألوا عنها. قال في ص٦١: وقد اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا على أقوال.

(٢) معنى المفهوم المخالف عند الأصوليين لمن لم يعرف ذلك: أن قولنا: وَزِّعْ هذا المبلغ على الفقراء، مفهومه المخالف: لا توزع على غيرهم، ولكن قوله: اضرب كل مذنب جلدتين، لا يعني عدم ضرب غيرهم بأقل من ذلك أو أكثر، أو ليس له مفهوم مخالف.

يُضاف إلى ذلك أن هذه الآية وردت في سورة البقرة وهي قد نزلت في السنة الثانية للهجرة كما قيل، وموضوع عذاب القبر قد شاع بعد ذلك بين المسلمين، فلا دلالة في الآية على انتفاء عذاب القبر من هذه الجهات، وكل ما في الأمر أنهم اقتصروا هنا ـ أو طلب منهم ذلك ـ على طلب الوقاية من عذاب النار، كما أنه قد ورد عن النبي ﷺ الاقتصار على ذلك في روايات، والاقتصار على عذاب القبر في آيات.

ثم لماذا لا يكون قولهم هذا شاملاً للعذاب الأدنى في القبر وللعذاب الأكبر في الآخرة فكلمةُ العذاب أشملُ هنا من أن يُرادَ بها عذاب جهنم، كما في آية غافر: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾، وكما في آية نوح: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾.

٧ - واستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[النحل]، قال في ص٨٦: وأهم شيء أن الأموات لا يشعرون أيان يبعثون، وعليه فمن قال بأن الميت يشعر أو يحس في قبره فقد أنكر كلام الله تعالى.

والجواب: ورد هذا في موضعين، في سورة النحل بلفظ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ . . . أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ وهي تتحدث عن أصنام ميتة أو جامدةٍ فعلاً لم يكنْ فيها روحٌ أصلاً ثم فارقتها، والآيات تُنَزَّلُ (أي تُفهم) على ما كان معهوداً عند العرب وقتَ نزولِ القرآن الكريم، وخطاب المشركين بهذه الآيات، فلم يكونوا وقتذاك يعظمون القبور، وإنما كانوا يعظمون الأصنام وهي حجارة أو مواد أخرى يصنعونها ويتقربون بها إلى الله تعالى.

ثم إن الآيةَ بعيدةٌ عن محل النزاع «الذي هو تعذيب أو تنعيم الروح الموجودة في البرزخ أو وراء البرزخ والتي تتصف بالإدراك

الكامل»، كونها واردة في وصف الأصنام بعدم العلم أو الشعور بوقت البعث، وهذا وصفٌ شامل للأحياء أيضاً مع أنهم يشعرون ويعلمون.

ووردت هذه الجملة في سورة النمل رقم ٦٥ وهي تتحدث عن جميع المخلوقات فلا علاقة لها بالموضوع[١].

٨ - واستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴿٢٢﴾﴾[فاطر]، ورتَّبَ على ذلك كلاماً كثيراً، وكرر القول فيها وأعاده مع وضوح بُعد الآية عن موضوعنا، فنحن لا نقولُ أصلاً بالاستواء، وإنما هي حياة مجهولة لنا، وكيف يستوي إنسانٌ مُكَلَّفٌ بالعمل وبكامل عناصر وجوده وحياته مع إنسان لم يبق فيه إلا عنصر واحد وغير مكلف؟!

ولكن المؤلف كما ذكرنا في منهجيته يخترعُ الفهم ويتحكَّمُ فيه ليتسنى له جعل الآية تخدم مراده!!

٩ - واستدل بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾[المؤمنون] ص٣٦٢، حيث قال بعد إيراد الآية: «لاحظ كيف أن البعث يتبع الموت مباشرة، ولا شيء ولا حياة بينهما، بل لا ذكر لمرحلة البرزخ هنا».

الجواب: لا دليل فيها من جهات:

أ) استعمال حرف «ثم» يدل على التراخي، وقد ذكرت مراحل تكوين الجنين مراراً، تارة بحرف ثم وأخرى بالفاء، واقتصر في أماكن على مرحلتين أو مرحلة، ولا يُفهم من عدم ذكر مرحلة في موضع عدمها مطلقاً، كما ذكرت عبارة: ثم إليه ترجعون

---

(١) بل هي في الأحياء، كما هو سبب نزولها: قال القرطبي: «نزلت في المشركين حين سألوا النبي عن قيام الساعة».

بعد الموت مباشرة تارة، وذكرت بعد البعث تارة أخرى، مما يعني أن تعاطف مرحلتين بِثُمَّ لا يُلغي وجودَ مرحلةٍ بينهما وبخاصة إذا كانت هذه المرحلة ليست من جنس المرحلتين المتعاطفتين كمرحلة البرزخ هنا، والآية من سورة «المؤمنون» وهذه السورة هي السورة الوحيدة التي ذكرت البرزخ بين الدنيا والآخرة، وهو وجود متميز عن الحياتين يبقى إلى يوم البعث.

ب)[1] إن الإسلام لم يهتم كثيراً بذكر موضوع «حياة ما بعد الموت» إما لأنها جزء من الآخرة والحديث عن الآخرة هو حديث عنها، كما ورد في حديث عثمان رضي الله عنه: كان عثمان بن عفان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فسئل عن ذلك وقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي!! وتبكي إذا وقفتَ على قبر؟! فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن القبرَ أولُ منازل الآخرة، فإنْ نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإنْ لم يَنْجُ فما بعده أشد»[2]؛ وإما لدفع الالتباس بين حياة البرزخ والآخرة، أو لأن التركيز في تلك المرحلة المكية كان على اليوم الآخر الذي هو المحور الثاني المقترن بعقيدة الإيمان بالله تعالى، ثم إنه الموضوع الذي توجَّه إليه إنكار المشركين، فالمنطقُ التدريجي في غرس العقيدة هو التركيز على الأهم.

جـ) ولو أخذنا سياقاً مشابهاً لهذا السياق من سورة الحج، حيث جاء ختام الآيات التي تحدثت عن مراحل خلق الإنسان في معرض

---

(١) هذه النقطة جواب عن الشبهة التي من المفروض إفرادها بالذكر وهي «عدم ذكر عذاب القبر في القرآن صراحة»؛ فيكتفى بما ذكر هنا عن إعادتها.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، وابن ماجة، والترمذي، والحاكم. انظر صحيح الجامع الصغير ج١ ص٣٤٧، والمشكاة؛ وقال في صحيح الجامع: حديث حسن.

الاستدلال على البعث، وهو: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾؛ فإن من الجائز استنتاج أن البعث من القبور هو غير إحياء الموتى المذكور قبله، وأن هذه الآية المدنية قد ملأت الفراغ الذي بين المتعاطفين في الآية المكية «من سورة المؤمنون» وإن كنا لا نرى ذلك من قبيل النص الصريح، وإنما هو من قبيل الاستدلال؛ وَرَدُّنا استدلالَهُ بآيةِ «المؤمنون» أسهل من رَدِّهِ استدلالَنا بآيةِ الحج وأوضح، ونحن هنا لسنا بسبيل عرض أدلة عذاب القبر وإنما بسبيل إبطال أدلة المؤلف على نفيِ عذابِ القبر، وإنْ كان هذا الإبطال مستلزماً لإثبات ما عليه أهل السنة والجماعة.

١٠- واستدل في ص٧٥ وغيرها مراراً بآية ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾[الإسراء] على عدم الحساب والتعذيب لِمَنْ لم تَصِلْهُ رسالةُ ربه. ومثلها آية: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ۝١٠٢﴾[الكهف] ص٣٥.

الجواب:

أ) ليس هناك من يقول بخلاف ذلك، ولا أدري ما علاقة هذه الآية بموضوعنا؟! فالمعذبون في الحياة البرزخية، أو ما وراء البرزخ، ما عُذِّبُوا إلا بعدَ أنْ قامت عليهم الحجة، وتَبَلَّغوا الرسالةَ كما عذبوا في الدنيا بعد ذلك، ولم يَقُلْ أحدٌ بتعذيبِ مَنْ لا تقومُ عليه الحجة من فاقدي العقلِ أو مَنْ لم تصلهم الرسالة.

ب) والآية الثانية لا تنفي تعذيبهم في الدنيا: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ فكذلك لا تنفي عذابهم بعد الموت وقبل يوم القيامة، فإن آية التوبة صريحة في أن العذاب مرتان قبل يوم القيامة، وقد يكونان في الدنيا، أو في الدنيا والبرزخ؛ بل هو الأرجح كما ذكر المفسرون.

١١- واستدل بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر]، قائلاً في ص٨٨: وهو تحديدٌ وتأكيدٌ أنَّ الحساب لا يكون إلا يوم القيامة.

الجواب: هذا الفهم هو من تَحَكُّماتهِ المعهودةِ في فهم النصوص؛ إذ ليس في الآية غير الإخبار بوقوع التنازع والاختصام بين الضالّين والمضلين، وما وراء ذلك من الاستدلالات هو من التَّخَرُّص.

١٢- واستدل أيضاً في ص٩٢ بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، قائلاً: والسؤال هو إلى أين سيرجع الناس بعد الموت، أإلى الله والحساب والجنة والنار أم إلى قبورهم والعذاب فيها؟ وهل هناك أية إشارة لكونِ القبرِ مرجعاً أو مستقراً أو إنَّ فيه حياة من أي نوع؟

الجواب من وجوه:

أ) لا تناقض بين رجوعهم إلى الله، وبين زيارتهم للقبور إلى يوم البعث ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

ب) هناك إشارات عديدة في القرآن الكريم تَأَكَّدتْ بالأحاديث الصحيحة على وجودِ نوعٍ من الحياة في القبر كما قدمنا، وكما سنزيده تفصيلاً في مبحث الأدلة القرآنية بإذن الله تعالى.

وقال في ص٦٤: لاحظ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، ومجيء كلمة ثم أداة الترتيب مع التراخي، والذي يفهم منه صراحة: أن الرجوع إلى الله لا يأتي بعد الموت مباشرة، ولكن بعد المكث في برزخ إلى يوم يبعثون[1].

---

(١) لاحظ التناقض الفاضح بين هذا القول وبين ما في ص٣٦٢/ راجع البند الخامس عشر في المنهج المتناقض.

وتعليقي على هذا القول بعد الذي ذكرته تحت الشبهة التاسعة: أن هذا القولَ اعترافٌ منه بالمكث في البرزخ إلى يوم يبعثون وأنه ليس صفراً كما ذكر مراراً، وإلا لكان العطف دائماً بالفاء.

١٣- واستدل في ص١٠٤ بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر].

والجواب: أن المَنْفي هنا أن النبي ﷺ لا يمكن أن يُسمع الأموات والمراد بهم هنا: المُعْرِضُون عن سماعِ دعوته، شَبَّهَهُم بمن في القبور.

وأما ما في الأحاديث من سماع الميت «ليسمع قرع نعالهم» وأن موتى بدر سمعوا مخاطبة النبي لهم، فالمراد به: أن الله يسمعهم ذلك أو كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها في توجيه ذلك: من أنهم يُصبحون في حالٍ يعرفون فيه الحق، كما في آية: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴿١٩﴾﴾[ق]، وعليه فالمَنْفي من الآية غير المُثْبت في الأحاديث.

١٤- ومثل ذلك يقال في استدلاله ص٨٤ بآية: ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴿٣٦﴾﴾[الأنعام]، وقوله بعد ذلك: ويفهم من الآية أن الأموات لا يسمعون النداء ولا يستجيبون... إلخ ثم إنه قد ورد مثل هذا التعبير في حق الأحياء، مع أنهم يسمعون، ولكنهم لا ينتفعون بما سمعوه، فإذا كانوا كذلك وهم أحياء فكيف ينتفعون به وهم أموات.

١٥- واستدل في ص١٠٨ بقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ

أَحْصَىٰهُ . . . إلخ ﴿٤٩﴾﴾ وقال بعد إيرادها: ويفهم هنا صراحة أن العذاب يكونُ بعدَ الحسابِ لا قبله.

الجواب: أثبتنا في مواضع كثيرة من قَبْلُ بالأدلة والأمثلة أن العذاب يكونُ قبل الحساب أيضاً، ومن ذلك ما ورد في صحيح مسلم ومسند أحمد وسنن أبي داود والنسائي عن أبي هريرة: «ما مِنْ صاحبِ ذهبٍ ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحَتْ له صفائحُ من نار، فأُحميَ عليها في نار جهنم، فيكوى بها جبينهُ، وجنبه وظهره، كلما بردت أُعيدت له في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إمَّا إلى الجنةِ وإما إلى النار»[1].

فهذا النص صريح في وقوعِ العذاب قبل الحساب والقضاء بين العباد، وقد اعترف المؤلف في معرض رَدِّهِ دلالةَ آية غافر في «عرض آل فرعون»، بأن العرضَ يحصلُ قبلَ الحساب، قائلاً في ص٥٥: وبعد الحشر يأتي العرض على النار، ولا شك أنه من أنواع العذاب كما اعترف هو بذلك وهو يُعَدِّدُ أنواعَ العذاب.

ثم إن قول الله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾، وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ صريح في أن الأول قبل الحساب، سواء كان في الدنيا أو بعد الموت، أو بعد قيام الساعة.

وهذا الجواب يتضمن الرد أيضاً على قول المؤلف في ص١٠٨: بيَّن الله أنه لن يحاسب الناس بعلمه هو، ولكن بما جاء في صحائفهم، مع أن هذا القولَ هو افتراءٌ على الله تعالى ومخالفٌ

---

(١) انظر صحيح الجامع الصغير ج٢ ص٩٩٩.

للآيات من مثل: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً، ثم هو مخالف للواقع من إهلاك المكذبين.

وقال المؤلف في ص١١٤: ويفهم من ذلك «آية الحج» أن زلزلة الساعة تسبقُ زلزلةَ الأرض وتسبق النفخة الأولى وموت الناس جميعاً، ثم أورد قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ... وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ حيث سمى هذه الزلزلة من العذاب الشديد، وهي قبل الحساب.

وهذا الرد أيضاً يصلح للرد على قول المؤلف في ص١٢٦، ١٢٧، بعد إيراد آيات من سورة الانفطار آخرها: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾: هل يصح القول أن أحداً ما سيعذبه الله قبل أن يعلمه بما قدم وأخر؟ ونضيف: إن العذاب المبني على هذا العلم هو العذاب الأكبر، عذاب الخلود.

١٦- واستدل بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ... فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر] قائلاً في ص١١٧: معلوم أن الإبصار والنظر من صفات الأحياء لا الأموات.

الجواب: هذه مغالطة خَدَعَ بها نفسه، ويريدُ أنْ يخدعَ بها القارىء، وإلا فليس هناك مَنْ يقول: إنهم في القبر ينظرون بعيونهم التي تحللت مع أبدانهم، وإنما ينظرون ويسمعون بما كان يقف وراء سمعهم وأبصارهم وسائر مداركهم ألا وهو الروح.

١٧- واستدل في ص١٦٦ بقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا... إلخ ۝٣٧﴾[الأعراف] على أن سؤال الملكين يكون للمحتضر قبل موته.

الجواب:

أ) السؤال هنا كما هو ظاهر غير السؤال أو الأسئلة المشهورة في أحاديث السؤال: «مَنْ ربك ودينك ونبيك وكتابك» أو المقتصرة على النبي ﷺ.

ب) قوله تعالى بعد آية الأعراف رقم ٣٧ التي استشهد بها في ص١٦٦ من كتابه: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ . . . إلخ ﴿٣٨﴾﴾ فإنْ قلتَ: إنها تعني الآخرة، فهي حجةٌ عليك في فهم الآية التي قبلها، وإن قلت: تعني حالة الاحتضار فهي حجة لنا على عذاب القبر، لأنها تعني بدء عذابهم بعد موتهم مباشرة، وهذا جواب في غاية الإحراج إلا إذا اخترع له ما يتقنه من أساليب اللف والاعوجاج!!

سابعاً: شبهات أخرى:

١ - قوله في ص١٨٥: ترى لو كان الله معذباً أحداً في قبره فلماذا لم يخبرنا بذلك بصريح العبارة؟ ثم قال: فهذا شيء هام ولو كان له واقع حقيقة لبينه الله تعالى في كتابه الذي جاء تبياناً لكل شيء؛ وقد أجبتُ على هذا السؤال في ضمن الدليل التاسع والجواب عليها[١]، وأضيف هنا: أن القرآن الكريم قد أحال على السُّنَّة كثيراً من الأمور وبخاصة فيما يتعلق بالتفاصيل، ومن هنا كانت السُّنَّة بياناً للقرآن الكريم: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿٤٤﴾﴾[النحل]، وبيانُ السنة هو من بيانِ القرآن، وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «ألا وإني أُوتيتُ القرآنَ ومِثْله معه»[٢].

---

(١) انظر ص١٤٢ فرع ب من هذا المؤلَّف.

(٢) راجع: موقفه من السنة/ البند الرابع/ ص٩١.

٢ - قوله في ص١٨٤: إذا لم يخف المسلم من آيات العذاب في القرآن فأي قول بعده سوف يخيفه؟

الجواب: عذاب القبر إذا كان للمسلم العاصي، فقد يكون تطهيراً له كعذابه في الدنيا بحيث يخفُّ حسابهُ وعقابه يومَ القيامة، ثم إن الإخبار عنه تحذيرٌ شديد، ووسيلةٌ من وسائل النهي عن ارتكاب بعض الذنوب، مما ذكر في أحاديث التعذيب في القبور كالغِيبة وعدم الاستنزاه من البول والغلول من الغنيمة، وعدم إطعام الجائع ولو حيواناً. . .إلخ ما ورد من ذلك؛ وأما الكافرُ فعذابهُ في القبر استمرارٌ لعذابه في الدنيا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٢٢﴾[النمل].

وقد ورد في بعض مواضع الكتاب بيان المؤلف لحكمةٍ من حكم التعذيب في القبر ـ في غفلةٍ منه ـ وهي أن الردعَ والتخويفَ به لقربِ حصوله بعد الموتِ مباشرة قد يكون أشد تأثيراً من التخويف بعذاب الآخرة الذي قد يراه بعيداً[1].

٣ - وقال في ص٤٩: لو كان الميتُ يشعر بالعذاب أو يحس بشيء لما قالت مريم: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾.

والجواب من وجوه:

أ) هذا قول مريم.

ب) ثم هي قالته لا لِتُخْبِرَ بعدمِ شعورها، ولا بعدمِ وجودها الروحي، بل بعدمِ وجودها المادي الحِسِّي الذي به تَعرَّضَتْ للتهمةِ أو توقعت ذلك.

---

(١) ذكر ذلك بصدد ذكر عذاب القبر قبل عذاب النار في ص٢٥١.

جـ) ثم هو محمول على العرف الجاري بين الناس في مثل هذه المواقف، ومثل ذلك الاستشهاد بقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾[النبأ]؛ فإنه لا يستلزمُ عدمَ الإحساس، لأنه يعني به: يا ليتني لم أُخْلَقْ، فهو خارجٌ عن موضوع الإحساس، بل فيه إشارة خفية إلى اعتراف بحياة البرزخ، لأنه قال: يا ليتني كنت، ولم يقل: يا ليتني بقيتُ تراباً، لأنه لم يكن في القبر تراباً كما أشرتُ إلى مثل ذلك عند التعليق على آية يـس: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا ﴿٥٢﴾﴾ ـ فرع ط ـ

٤ - شبهة تعذيب الجن في القبر:

قال في ص١٨٨: أما الجن فلم يرد بحقهم حديث واحد يذكر فيه تعذيبهم في البرزخ، أو قبل البعث والحساب، مع أنهم مكلفون مثل الإنس.

الجواب:

القرآن اكتفى ببيان أنَّ منهم مسلمين ومنهم قاسطون وأن القاسطين لجهنم حطب، وأما المسلمون فلم يذكر نعيمهم إنما ذكر أنهم تَحَرَّوْا رَشَداً؛ وفي سورة الأعراف قال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴿١٧٩﴾﴾، وفي الذاريات قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ وفي سورة الأحقاف على لسانِ نفرٍ من الجن ينذرون قومهم حين رجعوا إليهم بعد الاستماع لدعوة النبي ورسالته: ﴿أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ وفي الصافات: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾أي في العذاب، وفي الأنبياء: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴿٩٨﴾﴾؛ وهكذا لا نجد في القرآن آية صريحة تتعلق بدخول الجن في الجنة كما هو بالنسبة لبني آدم، وهو أمرٌ مسكوتٌ

عنه إلا ما قد يُستنتج استنتاجاً من سورة الرحمٰن فقط، فإذا كان القرآن لم يُفصل بل لم يذكر صراحة النعيم بالنسبة للجن مع أنه تبيانٌ لكل شيء، ومع أنهم كما يقول المؤلف مكلفون كالإنس سواء بسواء؛ فلا نستغرب أَلاّ تتعرض الآيات أو الأحاديث لتعذيبهم في القبور أو لنعيمهم.

ونقل المؤلف في ص١٨٨ حديثاً نصه: «والجن والإنس يموتون»، مستدلاً به على أنهم مكلفون كالإنس، مع أنه لا يُفهم منه في أمر الجن إلا أنهم يموتون، وليس فيه أن موتهم يشبه موت الإنس، وأنهم يقبرون مثلهم، وآية القبر وردت في الإنسان: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾[عبس] بعد قوله: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾، والقبرُ من مظاهر التكريم لبني آدم، والتكريم قد اقتصر عليهم: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴿٧٠﴾﴾[الإسراء]، مما يدل مع نصوص قرآنية وحديثية كثيرة على وجود فرق بين الإنس والجن في القوانين والسنن الكونية التي تحكم كلاً منهما في الحياة وفي الممات، وحتى في الأخرة.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾﴾[البقرة]، خاص بالإنسان، وكذا قوله: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾، مما يعني أن أمانة التكليف مقتصرة على الإنس، وأما آية: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فهذه تعني أمراً أخصّ من التكليف والتخليف في الأرض؛ وهذا بدوره يمنع قياسهم على الإنس في هذا الموضوع، فيكون الاستشهادُ بهم في جملته وتفصيله خارج الموضوع.

وهنا نذكر بأن المؤلف قد خالف السنن الكونية والقوانين الحسية والعقلية حيث قاس غائباً غيرَ مشاهدٍ على محسوسٍ مشاهد، كما خالفها من قبل حين قاس الميتَ الغائبَ أو حياةَ البرزخ على الحيِّ وبنى على هذا أدلته في نفي عذاب القبر ونذكر كذلك أن المؤلف وهو يناقش الدكتور مصطفى محمود في مفهوم الروح والنفس قال: ولم يرد أن الله نفخ من روحه في غير الإنسان/ ص٢٧٤، فنقول له: ولم يرد ذلك في الجن مما يؤكد أن طبيعة الجن وروحانيتهم غير طبيعة البشر وروحانيتهم.

٥ - شبهة اتهام الله تعالى بالظلم[١]:

قال في ص٦٩: والتعذيب قبل الحساب ظلم ولا ريب، فهل تعتقد أن الله يعذب أحداً قبل أن يحاسبه ؟!

ونضيف هنا قوله في ص١١١: ومن الأدلة على أن الإسلام لا يحاسب ولا يحكم إلا ببيِّنة: ما علمناه من عدم قتل النبي لعبد الله بن أبيّ ولا غيره من المنافقين مع علمه بنفاقهم بدليلٍ قطعي... ولو كان يجوز له الحكمُ على الناس بعلمه لعاقبَ المرأةَ التي زنت فأنكرت «لو كنتُ معاقباً أحداً دونَ بَيِّنةٍ لعاقبتها»، ثم أورد قصة عمر مع أبـي محجن الثقفي وعدم جلده في شرب الخمر، ثم قال: فإذا كان العدلُ في الإسلام لا يُجيزُ للحاكم أنْ يحكمَ على متهم بعلمه... فكيف يقال: إن رب العالمين يحكم على الناس بعلمه ويصدر حكمه دون محاكمة، فيعذب من يشاء دون بينة؟

الجواب من وجوه:

أ) إضافةً إلى ما ذُكِرَ تحت بند أو شبهةِ الأقيسةِ الفاسدة من كونِ أفعال الله تعالى لا تُقاسُ على أفعالِ الإنسان ولا صفاته على صفاته ولا القوانين التي تحكم الناس تشبه القوانين التي يُدَبِّرُ اللهُ بها الكونَ في الدنيا والأخرة.

ب) إن عدم قتل النبي للمنافقين قد ذكر المؤلف من حيث لا يشعر الحكمة من ذلك: حتى لا تقولَ العرب إنَّ محمداً يقتل أصحابه، لأنهم وإنْ كانوا معروفين له ﷺ فليسوا معروفين للناس، لأنهم يُصَلُّون ويمارسون شعائرَ الدين الظاهرة ثم إن النبيَّ بَشَرٌ وليس علمه كعلم

---

(١) راجع ما ذكر تحت البند الرابع «الأقيسة الفاسدة»، ففيه إجابة كافية على هذه الشبهة/ ص١٢١.

الله تعالى، ومهما بلغ من كمال النفس فلا يُشَبَّهُ بالله في صفاته وأفعاله، ثم هو يشرِّعُ للناس ويضع لهم القدوة من نفسه في القضاء والعقوبة وسائر التصرفات.

جـ) ولو لم يكن المؤلف خصيماً مبيناً لكفى في رد هذه الشبهة أنْ يُقالَ له: الواقعُ أكبرُ رَدٍّ عليك، حيث أن الله عذب طوائف من خلقه قبل الحساب وقبل يوم القيامة، فهم خَلْقُه وملكه، ولا يُسألُ عما يفعل.

٦ - شبهة الأمويين والخوارج[1]:

قال في ص١٧: لم يكن غريباً على بعض الأمويين استقطاب بعض علماء المسلمين للاستعانة بهم على الخوارج، فلما لم يجدوا ما يتهمون به الخوارج في دينهم راحوا يَتصيَّدونَ بعضَ أفكارهم التي تشتبه على العامة ليهاجموهم بها، وفي ص١٨، قال الخوارج: لا عذابَ في القبر فاستغلَّ الأمويون وجود أحاديث صحيحة السند، فقاموا بتوجيه معانيها بحيث يُفْهَمُ منها تعذيب الميت في قبره، وقال في ص١٨٩: إنها مسألة سوء فهم إما متعمّد لتحقيق مصالح سياسية دنيوية من قبل علماء بني أمية، وإما عن حُسْنِ نيةٍ وجهل.

وقال في ص٣٠٦: كل أقوال علماء السلف في عذاب القبر أساسها خطأ وقع زمن الأمويين الذين لم يتركوا وسيلة، في تحريض المسلمين

---

(١) راجع البند السابع والثامن من المبحث الخامس/ منهج تحكمي. ولقد نظرتُ في كتب العقيدة والفرق مثل «الإبانة عن أصول الديانة» لأبي الحسن الأشعري و«أصول الدين» لأبي منصور البغدادي، و«لمع الأدلة» لإمام الحرمين الجويني، و«شرح الطحاوية»، و«رسالة التوحيد» لمحمد عبده، و«العقائد» لحسن البنا، و«توضيح العقيدة المفيد» وغيرها فما وجدتُ مَنْ نقل ذلك عن الخوارج فإما أن ذلك افتراء أو قول شاذ.

على قتال الخوارج والمعارضين... وهم مَنْ دفعوا لبعض العلماء فقاموا بوضع الأحاديث المكذوبة... فبقيت آثارها عالقة في تراثنا.

الجواب من وجوه:

١ - هذا مثال واضح على تناقض المؤلف، ففي ص١٨ لا يتهم العلماء بوضع أحاديث، بل بتحريف معناها فقط وكذا في ص١٨٩، فهل تستحق هذه الشبهة مناقشة؟! ولكنا نريد ملاحقته إلى باب الدار حتى نكشفَ عنه الأستار ونزيح من طريقه أيَّ اعتذارٍ أمام الله وأمام الناس في هذه الدار.

٢ - اعترف بوجود أحاديث صحيحة السند منذ العصر الأموي، وهو عصرٌ متقدم أدركه الرواةُ من الطبقة الثانية ـ طبقة التابعين ـ وهذه مناقضةٌ أخرى لمطاعنه في التابعين وغيرهم من السلف، أو قوله بأن مسألة عذاب القبر بدأت في هذا العصر.

٣ - ثم إنها شبهة بلا دليل نقلي أو عقلي، وإنما هي استنتاجات وهمية تحكمية.

٤ - راجعت معظم كتب الفرق فلم أجد هذا الرأي عند الخوارج[١].

٧ - شبهة الإحساس بالألم:

قال في ص٤: إن العقل لا يقبلُ بوجود عذاب يقع على جسد ميت فاقد للحس والشعور، وقال في ص٣٣: من سنن الكون أن الإنسان الحي إذا أُحرقَ بنارٍ أحسّ بألم الحرق فتألم وصرخ.

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١٢١، والتنبيه والرد لأبي الحسين الملطي/ ص١٨٠/ وقد تكلم أبو الحسين عن الخوارج وعدد فرقهم في الصفحات الأخيرة من كتابه من ١٧٨-١٨٥ ولم يرد إنكار عذاب القبر عنهم. وانظر أهم مبادئهم في مذكرة الفرق من ص١٤-١٦/ وكذا الموسوعة الميسرة، وانظر هامش ص١٥٣.

الجواب:

أ) هذه الشبهة مبنية على أن العذاب يقع على الجسم، وهو غير ما رُجِّحَ في تحريرِ محلِّ النزاع ـ فراجعه فيه ـ.

ب) هناك ظواهر توضح وجود عذاب يُسمى في الدنيا: العذاب النفسي، وما أكثر صوره! وما الذي يُلْجِىءُ إنساناً لتعذيب جسده بالنار أو بغيرها من صور الانتحار إلا الخلاص من العذاب النفسي الذي لا صلة له بالجلد والأعصاب والحواس الخمس؟!

ونسأل المؤلف والقارىء: ما الذي يجعلُ الأعصابَ والجلد تُحِسُّ بالألم غير وجود الروح المسؤولة عن جميع الأنشطة الحيوية كما سبق بيانه، حتى إذا فارقتِ الجسدَ فقدَ إحساسَهُ بالألم... والروح بعد مفارقة الجسد لا تفقد هذه الخاصية، ما دامت هي المُولِّد، كالبطارية أو الدينامو إذا فارقت السيارة تعطلت حركتها نهائياً، لكن الدينامو تستمر قابليته للإنارة أو التحريك، وهذا مجرد مثال تقريبي، وإلا فالروحُ أمرُها أكملُ وأعظم[1].

وبدفعِ هذه الشبهةِ يسقطُ كل ما ذكره المؤلفُ عن العذاب وأنواعه لأن ذلك بُنِيَ على افتراضٍ خاطىء وهو أن التعذيبَ للجسدِ ذي الأعصاب والجلد والإحساس.

٨ - شبهة نتائج وسلبيات الاعتقاد بعذاب القبر:

قال في ص٣٩، ٤٠: وينتج عن هذا الاعتقاد سلبيات كثيرة:

أ) تحييد القرآن.

---

(١) جاء في هامش ص٢٠٤ من رسالة التوحيد، من تعليق الشيخ محمد رشيد رضا: الإدراك في الحقيقة للروح، وإنما الحواس آلاتٌ لها وقراءة الأفكار عن بعد من شواهد ذلك، ثم قال: فإذا كان هذا قد ثبت في هذا العالم على خلاف المألوف في الرؤية لكل الناس، فهل يليقُ بعاقلٍ أن يستشكل ما هو أغرب منه وأبعد عن المألوف في الجنة.

ب) اتهام الله بالظلم.

جـ) التشكيك في السنن الكونية.

د) تشكيك المسلم بالسُنَّة عموماً.

هـ) قلب المعايير ومخالفة الفطرة السليمة، وبالتالي الشك في العقيدة كلها.

و) تحييد العقل مما يؤدي إلى ظهور أجيال مشوهة الفكر.

ز) إشغال الناس بعذاب مزعوم غامض، وصرف أنظارهم عن العذاب الحقيقي في نار جهنم.

الجواب:

أ) لا دليل على هذه المزاعم إلا التحكم والافتراضات والإسقاطات.

ب) العقل لا يمنع فاعلية التهديد بالعذاب الأشد عند التهديد بالأدنى، وقد تَأَيَّد ذلك بالنص ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ . . .﴾ بل المؤلف نفسه اعترف بفاعلية عذاب القبر عندما بَرَّرَ تقديم ذِكْرِه على ذكر عذاب النار[1].

جـ) الكفار أنكروا عذاب جهنم والتهديد به من غير أن يُهَدَّدوا بعذاب القبر ـ كما في جميع آيات التهديد والإنذار بعذاب النار في العهد المكي.

د) ما ذكره بخصوص تحييد القرآن، فالله تعالى قال على لسان رسوله: ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾[الفرقان] في سورة مكية، قبلَ شيوعِ عقيدةِ عذاب القبر.

هـ) تشويه العقيدة والفكر لم يحصل من خير قرون هذه الأمة مع إيمانهم بعذاب القبر، وإنما حصلَ في الأجيالِ اللاحقة التي لا تؤمنُ لا بعذاب قبر ولا بما بعده، وأرجو أن لا يكونَ المؤلفُ منهم.

---

(١) انظر آخر فقرة٢/ ص١٤٩ من هذا المؤَلَّف.

و) هذه السلبيات التي افترضها يمكن مقابلتها بسلبياتٍ أعظم خطورة تنشأ من إنكار الاعتقاد بوجودِ عذابٍ أو نعيم إلى يوم القيامة، من مثل القول: ما مصير مَنْ ماتوا منذ آلاف السنين من الكَفَرةِ والظالمين، وهل مصيرهم بعد الموتِ كمصيرِ المؤمنين الصالحين؟!

ولقد سأل هذا السؤال فرعون لموسى عليه السلام: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾؟!﴾[طه]، بل إن الصحابة سألوا النبي عن وقت قيام الساعة، وورد في القرآن الكريم آيات كثيرة عن استعجال المشركين قيامها. ثم الاعتقاد بعدم وجود عذاب في القبر يجعل الكافر الظالم يتمنى الموت ويسعى إليه بالانتحار لِمَا يتصوره من طولِ مدة إمهاله بدون حساب أو عذاب بعد الموت، وإلى هذا أشار الشاعر:

ولـو أنَّـا إذا متنـا تُـرِكْنـا لكـان المـوت غـايـةَ كـلِ حَـيٍّ!!

وكذلك فإن اعتقاد المؤمن الصالح بوجود نعيم بعد الموت مباشرة يبعثه على التضحية والمبادرة بالأعمال الصالحة، نلحظ ذلك في قول صاحب يـس «حبيب النجار»: ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾، وفي المقابل فإن إنكار العذاب بعد الموت إلى يوم القيامة قد يؤدي إلى إهمال العمل أو التقصير فيه كما هي طبيعة الإنسان إذا علم أن وقت الجزاء بعيد: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾[الأنبياء].

ويمكن القول بأن الصحابة لما كانوا يتصورون الساعةَ قريبةً وأنها تقع فجأة جاؤوا بالتضحيات التي تشبه المعجزات، فهذا أنس بن النضر رضي الله عنه في أحد يخاطبُ سعدَ بن معاذ رضي الله عنه: الجنة ورب النضر إني لأجدُ ريحَها من وراء أُحُد أو كما قال:

ونذكر هنا قول بلال لزوجته يخفف عنها فجيعة الفراق: غداً نَلْقَى الأحبة محمداً وحزبه ـ أو وصحبه[1] ـ ونذكر هنا أيضاً ما ورد من أنه عليه السلام قد بشر عثمان بن عفان حين حُوصِرَ في الدار بأنه سيفطرُ مع النبي ﷺ ـ وكان صائماً ـ.

بينما في المقابل نرى أجيال المسلمين في هذه الأزمان وقد طال عليها الأمد قد قست قلوبها فصارت مثل أهل الكتاب أو أشد قسوة!!

٩ - شبهة نعيم القبر:

قال في ص٢٩٩: والعدلُ يقضي أن يكون الغنم بالغرم، فإذا كان هناك عذاب في القبر، فلماذا لا يوجد نعيم للميت الصالح، ولماذا وردت مئات الأحاديث في العذاب، ولم يرد إلا حديث واحد ضعيف في تنعيم الميت الصالح، وهو: القبرُ حفرةٌ من حفرِ جهنم أو روضةٌ من رياض الجنة.

الجواب:

١ - فَهْمُ القاعدة وتطبيقها في هذا المجال غير صحيح، لأنها تعني أن الذي يَغْنمُ عليه في مقابل ذلك أن يتحمل الخسارة وكذلك العكس، فالغانم والغارم هو نفس الشخص، بينما في هذه الصورة انفكت الجهة، ولا تلازمَ بين تعذيبِ فئةٍ وتنعيم فئة، بل مجرد النجاة من العذاب نوعٌ من النعيم.

٢ - هذا القول ناشيء عن جهل أو تجاهل وهو الأرجح لأن المؤلف اطَّلَعَ على مضامين الأحاديث كما يؤخذ من كتابه ومراجعه، وهو جارٍ في

---

(١) ونذكر موقف عبدالله بن رواحة في مؤتة عندما أحسَّ بشيء من التراجع حيث خاطب نفسه: أُقسمُ بالله لَتنزِلَنَّه! لتنزلن أو لَتُكرَهِنَّهْ! مالي أراكِ تكرهين الجنة؟! أو كما قال رضي الله عنه.

ذلك على منهجه الانتقائي التحكمي، وإلا فهناك أحاديث عديدة في النعيم كما أوضحنا ذلك من قبل[1]، وذلك بالمفهوم الشامل للنعيم من نحو البشارة بدخول الجنة، أو الإخبار باستحقاقها، أو رؤية المقعد، أو التنقل في الجنةِ من خلال الحلول في طيور أو غير ذلك من الصور.

٣ - فقوله: لم يرد إلا حديث ضعيف افتراء واضح.

١٠- شبهة عدم علم الصحابة بهذه العقيدة:

قال في ص١٩٥: هل يقال في الجم الغفير من الصحابة الذين لم يسمعوا عن حديث في العقيدة إن عقيدتهم كانت ناقصة أو مبهمة أو أنهم كانوا ضالين؟!

الجواب:

١ - استقراء عصر النبي ﷺ يؤكد أن أصحابه رضي الله عنهم لم يكونوا في درجة واحدة من العلم كما هو مشهور في ذكر ميزاتهم، ولا سيما مَنْ كانوا بعيدين عن مجلس النبي وحاضرة الإسلام من الأعراب ومسلمي الآفاق، بل كان بعضهم يأتي إلى النبي فيسأله عن الواجب عليه في دينه ليسلم ويدخل الجنة، فلا يذكر له كل تفاصيل الدين كما قال لأحدهم: لا تغضب، ولآخر: قل آمنت بالله ثم استقم.

٢ - ترك النبي ﷺ مسؤولية التفصيل لأصحابه مِمَّنْ كان يُرسلهم مع الوفود أو إلى الأقطار دعاةً وولاةً وقضاة لتعليمِ الناس ضروريات دينهم.

٣ - عقيدة عذاب القبر من العقائد التي لم تبلغْ جميع الصحابة أو معظمهم شأن كثير من تفاصيل العقيدة والشريعة والعبادات، لا في عصر النبي

---

(١) وانظر الملحق الثاني من هذا المؤلَّف.

ولا بعده بقليل، ولا سيما أنهم كانوا منشغلين بتثبيت قواعد الدولة الإسلامية، ونشر رسالة الإسلام في مبادئها الأساسية.

٤ - وعليه فإن عدم شيوع هذه العقيدة في عصر النبوة، أو بعده بقليل لا يعني عَدَمَ أهميتها أو عدم وجودها أصلاً.

٥ - وإذا كنا نذكر إجماع الصحابة، فهل يُفْهَمُ منه ضرورة شهود جميعهم للقضية؟ إنَّ ذلك مستحيل، فحتى قضية الخلافة التي هي من أهم قضايا الدين كان يُكْتَفى في شأنها بإجماعِ أهل الحلِّ والعقد منهم ورؤساء ووجوه العشائر والقبائل، وسائرُ الناس تَبَعٌ لهم كما هو الشأن في كل العصور، وقد قال ابن خلدون في مقدمته: إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فُتْيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصاً بالحاملين للقرآن، العارفين بدلالته بما تَلقّوه من النبي ﷺ أو ممن سمعه منه. . .»[1].

٦ - سؤالُ السيدة عائشة رضي الله عنها: أفي القبر عذابٌ يا رسولَ الله؟! ودهشةُ عمر في بدر لمخاطبةِ النبي مَنْ في القليب دليلٌ على أن ذلك الخبر لم يكن قد بلغ الصحابة حتى أقرب الناس إلى النبي ﷺ، حتى وقت سؤال عائشة، ويؤكد ذلك إنكار عائشة على عبدالله بن عمر رواية سماع الميتِ قرعَ نعالِ المشيعين للجنازة، وأن الميت يعذب ببكاء أهله عليه، وتأويلها ذلك بما يتفق مع القرآن الكريم.

٧ - المهم أن الصحابة كلهم كانوا مستعدين بحكم ما تميّزوا به من صدق الإيمان والانقياد لله ورسوله: من تسليمِ وأخذِ كلّ ما يَرِدُ عن الرسول ويثبت لهم سواء كان في مجال العقيدة أو غيرها، كما ثبت أنهم تَحَوَّلُوا في الصلاة حالما سمعوا رجلاً يخبرهم بنزولِ آيةٍ تأمرُ بتحويلِ القبلة إلى الكعبة، وهذا هو المطلوبُ من المسلم الصادق.

---

(١) المقدمة/ ص٤٤٦.

١١- شبهة أن القبر محسوس مشاهد وليس غيباً:

قال ذلك في ص١٣٨،

والجواب:

١ - القبر بالمعنى الذي رجحناه، وهو مكان استقرار الروح غيبٌ، وقد أقر المؤلف بذلك بقوله: ودخل عالم الغيب (عن البرزخ)[1].

٢ - إذا كان المحتضر بين أيدينا ننظر إليه، وهو يعاني من سكرات الموت ما يعاني، والملائكة تقبض روحه «بل قال المؤلف: إنه يرى الملائكة!!!» ونحن لا نرى شيئاً من ذلك ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾[الواقعة] وإذا كانت الملائكة ترافقنا وتسجل أقوالنا وأعمالنا ولا نشعر بها، وإذا كانت الملائكة تتنزل على المحتضر وتبشره، أو تضربه، ونحن لا نرى من ذلك شيئاً ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[فصلت]، وإذا كان النائم بين أيدينا يُضرب ويُعذب في نومه، ولا نرى مما يجري له شيئاً؛ أقول: إذا كان هذا كله مُلْحَقاً بالغيب، وما أكثر المغيبات القريبة منا فكيف بالمغيَّب في عالَمِ ما وراء البرزخ؟! ولكن المؤلف يصرّ على أن يُكَيِّفَ فهمَ الأمور بطريقته وبعقله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ ﴿١١٩﴾﴾[هود].

١٢- شبهة الاختلاف في الذي يُعذب:

قال في ص١٣٨: وعندما نسأل: ما الذي يُعذب، نجدهم قد اختلفوا بين قائل: جسده، وجزء من جسده، وروحه، روحه وبدنه.

الجواب: الخلاف بين المؤلف والأمة ليس في ماهية العذاب وموضعه، وإنما هو في أصل وجوده كما حررتُ ذلك في تحرير محل

---

(١) راجع مبحث «مآخذ لغوية» البند السابع.

النزاع، وهو القدر المشترك بين جميع الفرق رغم اختلافهم على التفاصيل، والاختلافُ فيه راجعٌ إلى طبيعة وطريقة التعامل مع النصوص، وبخاصة الأحاديث؛ فمنهم مَنْ يَتوسَّع في قبولها، ومنهم من يتشدد في ذلك، كما كان الأمر في زمن الصحابة ومن بعدهم، وأمور الغيب يُقْتَصَرُ فيها على الوارد في الصحيح الصريح، ولا يفيد أصل القضية أن يبالغ البعض في تناولها وفهمها، علماً بأن المبالغة في الإثبات قد تتعادل مع المبالغة في النفي، أو قد يكون النفي حالة ارتداد «رد فعل» للمبالغة في الإثبات عند بعض المسلمين الذين ذكروا أن الذي يُعَذَّبُ هو البدن وأن الروح تعود إليه كلما شاءت، وأن الميتَ يعلمُ تفاصيلَ ما يجري في أسرته وأهله[1].

وقد نقل عن ابن تيمية رحمه الله تعالى في فتاواه تغليظ من قال: السؤال للروح بلا بدن ـ قال ابن حزم، أو للبدن بلا روح، ثم قال: بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تُنعَّمُ النفس وتُعذّب منفردة عن البدن، وتُعذّب متصلة بالبدن ـ وهذا أيضاً مذهب أو اختيار ابن القيم في كتاب الروح ص٧٠، وذلك قوله: مذهبُ سلفِ الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعّمة أو معذّبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب[2] !!

وأؤكد لك أخي القارىء ما سبق أن قلته بأنني أرجح رأي ابن حزم بأن النعيم والعذاب للروح، أما البدن فإنني أرجح التوقف، بل أميل إلى اعتبار كل ما يتصل بنعيمه أو عذابه في الدنيا مجازياً، وهذا هو ترجيح

---

(١) راجع مبحث أحوال الموتى في كتاب «سؤال القبر» للدكتور السيد الجُميلي/ ص٥٧-٦٤/ وكتاب «عذاب القبر» للشهاوي ص٥٨-٥٩.

(٢) عذاب القبر للشهاوي ص٥٩.

الدكتور العثماني في كتابه: هذه المقابر والعتبات حيث قال: فكل ما طرأ على الميت من حاسة العذاب والراحة فهو يطرأ في عالم البرزخ وليس في هذه الدنيا[1].

وقد ضعّف أسانيد جميع الروايات التي تخبر بعودة الروح إلى الجسد وأن العذاب يقع عليهما[2].

ولذلك فإنني أعتبر رأي ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من قبيل الاستجابة لضغط العصر من جهة، وكون ابن تيمية يأخذ بخبر الآحاد في إثبات العقيدة ولو كان الحديث حسناً كما عرف من آرائه وفتاواه، وأما قولهما بأن ذلك هو اتفاق أهل السنة والجماعة فغير مُسَلَّم؛ فقد قال شارح «العقيدة الطحاوية» الغنيمي الحنفي: لكن اختلفوا في أنه هل تُعاد الروح إليه أم لا، والمنقول عن الإمام أبي حنيفة التوقف[3].

١٣- شبهة كتابة الأعمال ونشر الصحف:

قال في ص١١١: لو كان الأمر كذلك، فما الحاجة للكِرامِ الكاتبين، وما لزومُ الصحائفِ ونشرها؟!

الجواب:

١ - ذلك هو ليوم الفصل والخلود والعذاب الأكبر.

---

(١) ص٣٨.

(٢) الصفحات ٣٨-٣٩. وقد شمل بذلك النفي الرواية التي تخبر بعودة روح النبي ﷺ إلى جسده في قبره، وإنْ كنتُ أتحفظ على ذلك ولا أوافقه على إطلاق هذا النفي، وكذلك لا أوافقه على إطلاق تضعيفه للأسانيد كلها لأنه واقع تحت تأثير رد فعل قوي لاعتقاداتٍ خرافية عند المُثبتين لحياةٍ حقيقية في القبور كما سيرى القارىء إذا تفضّل بقراءة الملحق الأول.

(٣) ص١٥٤.

٢ - كما لم تمنع هذه الأمور التعذيب في الدنيا، كذلك التعذيب بعد الموت لأنه تابع لعذاب الدنيا واستمرار له ﴿ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[القصص].

١٤- شبهة تعذيب اليهود:

قال في ص١٨٧: ما معنى أن يُعذب اليهود في قبورهم، ولا يُعذب النمرود في قبره مثلاً، أو قوم لوط، أو غيرهم من المجرمين[١].

---

(١) اقرأ الرد مفصلاً عليها تحت مبحث المنهج التشكيكي/ البند الثامن/ ص٧٢ من هذا الرد.

المبحث الرابع

أدلة إثبات عذاب القبر ونعيمه
من القرآن الكريم ورد المؤلف عليها

الأول: أقوى هذه الأدلة، وأصرحها وأوضحها آية غافر: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

وتأتي الدلالة فيها من وجوه عدة:

أ) الإخبار بنزول العذاب بآل فرعون، ثم فُسِّرَ بعرضِهم على النار غدواً وعشياً، من حيث أنَّ كلمةَ النار بدلٌ من كلمةِ «سوء العذاب».

ب) تقييد العرض بهذين الوقتين، والظاهر أن المراد بهما الغدو والعشي في الدنيا، لأن القرآن عربي والمخاطب به ـ في الاعتبار الأول ـ العرب، والمتبادر من التعبير هو الأقربُ إلى المعهود، ولا عهدَ للمخاطبين بغدوٍّ وعشي يكونُ يومَ القيامة، أما ما ذُكر في سورة مريم من قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾[مريم] فهذا تُوضِّحُ المرادَ منه كلمةُ فيها أي: «في الجنة»، ولا سيما وأن سياق الآية صريح في أن العرضَ يكونُ قبلَ قيام الساعة.

جـ) ظاهر تركيب الآية، وسبكها اللغوي المتبادر بداهة يفيد: أن العرض يكون قبل قيام الساعة[1]، ويوم تقومُ الساعة يقالُ للملائكة: أَدخِلُوا آلَ فرعون العذابَ الأشدَّ «أي في جهنم»، مما يدل صراحة على أن لآل فرعون عذابين، **العرض** قبل قيام الساعة و**العذاب** الأشد بعد قيام

---

(١) انظر التفاسير، وكتاب توضيح العقيدة المفيد/ ص٥٩.

الساعة وفصل القضاء، وأية محاولة لصرف الآية عن ظاهرها هذا بما يمنع حصول أي عرض في الدنيا ـ أو قبل قيام الساعة ـ فإنها من قبيل التأويل الذي أخبر الله عنه بقوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾[1].

د) جعلُ النار بدلاً من سوء العذاب، مع أن المتوقع أن يكون البدل هو الإغراق، يدل على أنهم انتقلوا فوراً من عذاب الإغراقِ إلى عذابِ الإحراقِ ـ أو العرض ـ.

هـ) وتأتي الأحاديث الصحيحة، المتضمنة لعرض المقاعد، لتؤكد أن العرض يحصلُ قبلَ يوم القيامة وبعد الموتِ مباشرة.

و) وهنا أشير إلى آية من سورة نوح، وهي قوله تعالى عن قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴿٢٥﴾﴾ فهذه الآية تُوضِّحُ ما أُبهم في آية غافر، وآية غافر توضح المراد من الإدخال في النار في آية نوح، وذلك أن التعبير بالفاء كما هو معلوم يدل على الترتيب والتعقيب[2]، بمعنى أن الإدخال في النار جاء فور الإغراق، ولكونِ آلِ فرعون كانوا أكثر استحقاقاً للعذاب، فقد جاء التعبيرُ أبلغَ حيث طوى الإغراق ولم يذكره، وإنما ذكر النار فقط في هذا السياق، وهو أبلغُ من التعبير في آية نوح وإنْ كان في معناه تماماً.

ولكن المؤلف وقد صدمته هذه الآية، حاول الالتفافَ عليها بشتى الوسائل لِيُبْطِلَ دلالتها على العرضِ في الدنيا وقبلَ قيامِ الساعة، ومن محاولاته هذه:

أ) ادعاء التقديم والتأخير في الآية، مع أنها لا تقبلُ هذا الادعاء رغم ما فيه من الغموض، فقال في ص١٢٩، ١٣٠: ومن أسباب وقوع

---

(١) قال عليه السلام: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم ورد في الصحيحين نقلاً عن الفتاوى ج١ ص٣٨٥.

(٢) انظر الكتاب السابق (أي كتاب توضيح العقيدة) / ص٥٩.

الالتباس في تفسير آية آل فرعون هذه: ما جاء فيها من تقديم وتأخير، لكونِ يوم العرضِ وقيامِ الساعة يكونان معاً، أو أن أحداث أحدهما تتبع أحداث الآخر، ومعلوم أن العرض والحساب يحصلان لآل فرعون يوم تقوم الساعة، ومعلوم أن العرض يسبق الحساب أو هو جزء منه، لكنه بالتأكيد يسبق الدخول إلى النار.

والمتأملُ في هذا التوجيه يلاحظ التكلفَ الشديد والعناءَ الملحوظ لصرفِ الألفاظ عن ظاهرها من جهة، وأعني: التعاطف بالواو، الذي يفيد قطعاً أن العرض حصل قبل قيام الساعة وليس معه، والمعاناة ظاهرة في التردد: أو أن أحداث أحدهما... إلخ» مما يعني عدم تأكده من قوله الأول «يكونان معاً»، وهو مضطر لهذا التكلف لأنه تناوُشٌ من مكانٍ بعيد وإخبار عن أمور غائبة، ثم لماذا لم يأت التعبير بدون «واو» لو كان المعنى ما ذكر: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً يوم تقوم الساعة﴾؟!

وهل لاحظت أيها القارىء: أين التقديم والتأخير، وبين ماذا وماذا؟! لا أراه إلا في وهم المؤلف وتصوره وليس في النص القرآني.

ب) وقال في ص٥٩: وقد التبس على بعض الناس ذكر الغدو والعشي في اليوم الآخر، ولو تَنبَّهُوا وعقلوا أن يوم القيامة ليس كأيام الدنيا وأنه يتكون من أيام عديدة بأيامنا، لما وقعوا في هذا الإشكال.

الجواب: قد أبطلنا من قبل هذا القولَ، ونعيدُ هنا: أنه لا دليلَ على أن يوم القيامة يتكون من أيام عديدة، وإنما ما ذكر من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾[الحج] يعني طول هذا اليوم، لا تَعدُّدَهُ، ولا سيما وأن المؤلف أنكر وجود الشمس والقمر يوم القيامة، ثم إن هذه هي الدلالة اللغوية المتبادرة،

والحمل على المتبادر لغة هو الصحيح والمقصود في الخطاب القرآني العربي.

جـ) قال في ص٣٢٢: قول المفسرين فيها ما هو إلا استنتاج عقلي وتَحَكُّمٌ لكونه لم يرد فيها نص ولا إشارة من قريب ولا بعيد على عذاب القبر، وكل ما فيها هو عرضُ آلِ فرعون على النارِ مراتٍ كثيرة، أي أكثر من عرضِ غيرهم، ثم إلقاء آل فرعون في عذاب أشد من عذاب الكافرين غيرهم، والغدو والعشي ممكنٌ وقوعه يومَ تقومُ الساعة، ثم ذكر آية الحج السابقة.

والجواب من وجوه:

١) القول بأنه استنتاج عقلي من المفسرين وتحكم هو من قبيل «رَمَتْنِي بدائها وانْسَلَّت»، بل هو افتراء وجهل ومكابرة، ذلك أن المفسرين عملوا بظاهر الآية ودلالتها اللغوية، وهذا استدلالٌ لغوي وليس استنتاجاً عقلياً، والمتحكِّمُ هو الذي يصرفُ الكلامَ عن دلالته اللغوية.

٢) قوله: لم يرد نص ولا إشارة... باطلٌ وافتراء وجهلٌ أو تجاهل؛ فالإشاراتُ بل الدلالات الصريحة موجودة في سياق الآية، وسبكها اللغوي، أما النص ففي أقوال المفسرين سلفاً وخلفاً، كما نقل المؤلف قول القرطبي في ص٢٩٣: وفي الحديث عن ابن مسعود: أن أرواح آل فرعون ومَنْ كان مثلهم من الكفار تُعرَضُ على النار بالغداة والعشي، وعنه أيضاً: أن أرواحهم في أجوافِ طيرٍ سودٍ تغدو على جهنم وتروحُ كلَّ يوم مرتين فذلك عَرْضُها. وكان أبو هريرة إذا أصبح ينادي: أصبحنا والحمد لله، وعرض آل فرعون على النار، فإذا أمسى قال مثل ذلك، فلا يسمعُ أبا هريرةَ أحدٌ إلا تَعوَّذَ من النار».

وأما قول المؤلف: بعدم ورود نص صراحة على عذاب القبر، فهذا صحيح ولكنه يتضمنُ مغالطةً وبُعْداً عن الموضوع، فنحنُ لا نقف عند التسميات وإنما المهم إثبات وجود عذاب أو نعيم بعد الموت وقبل قيام الساعة، وهذا مُشَارٌ إليه، بل منصوصٌ عليه في الآية، وإنْ كان الحديث مُكَمِّلاً للقرآن ومُبَيِّناً لِمُجْمَلِه.

د) وفتش المؤلف في التفاسير لعله يظفر بما يخدم غرضه ويهدم استدلال المفسرين بالآية، حتى وقع على قولٍ للرازي ادعى فيه بطلان دلالة الآية على رأي الجمهور فتمسك به!! وإليك قول الرازي ص٣٥٤: في الآية ما يمنع من حمله على عذاب القبر، وبيانه من وجهين:

الأول: أن ذلك العذاب يجب أن يكون دائماً غير منقطع، وقوله: ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ يقتضي انقطاعه، فثبت أنه لا يمكن حمله على عذاب القبر.

الثاني: أن الغدوة والعشية إنما يحصلان في الدنيا، أما في القبر فلا وجود لهما، فثبت بهذين الوجهين أنه لا يمكن حمل الآية على عذاب القبر، ثم علق المؤلف على ذلك بقوله: فأين الأمانة العلمية وأين النزاهة[1] ؟!!

ثم قال: وعليه فكل من قال إن العرض يكون في البرزخ فقد أخطأ.

وإليك أخي القارىء الجواب عليه وعلى الرازي الذي تَدثَّرَ بقوله وبنى عليه تَخْطِئةَ المخالفين:

أما قوله: يجب أن يكون دائماً، فقولٌ بلا دليل، وأما قوله: إنما يحصلان في الدنيا، أما في القبر فلا وجود لهما، فهو مغالطة، لأن الآية

---

(١) يقصد الذين نقلوا قول الرازي في استدلال الجمهور بالآية، دون نقل هذين الإيرادين المبطلين لدلالة الآية في زعمه.

لم تُوَجَّه لأمواتٍ وإنما وُجِّهَتْ لأحياء يُخاطبون بما يحصلُ للأموات في الدنيا ليفهموه، فسقط رَدُّ الرازي، والمبني على الساقط ساقط.

فلم يبق أمام المؤلف ما يصلح للتمسك به لإبطال دلالة هذه الآية على إثبات عذاب القبر، ولو لم يَرِدْ في القرآن غيرها لكانت كافية، ومع ذلك وقف على قول لسيد قطب فتعلَّقَ به وهو: والنص يُلهم أن عرضهم على النار غدواً وعشياً هو الفترة من بعد الموت إلى قيام الساعة، وقد يكون هذا هو عذاب القبر، فعلَّق على ذلك بقوله: النص لا يلهم ولا يوهم مَنْ كان واعياً»!!!

وإنما قلت: لو لم يكن غير هذه الآية لكانت كافية، لأن القرآن كما قدمت إنما ركَّزَ بصورة رئيسة على اليوم الآخر، وترك ما سوى ذلك من أمور أو عقائد تابعة، كحياةِ الروحِ ومرحلةِ البرزخِ وعلامات الساعة **للبيانِ النبوي**.

ويبقى مناقشة شُبهة قد ترد، وهي: كونُ الآية خاصةً بآلِ فرعون، فنقول: لا فرق بينهم وبين غيرهم ما دامت قد أثبتت وجودَ عذابٍ قبل قيام الساعة لفئةٍ من الأموات[1].

وأريدُ في نهاية المناقشة لهذه الآية أنْ أُشير إلى شبهةً يمكن تضخيمها إلى درجة إبطالِ دلالة الآية، وهي: أن السورة مكية، فلماذا أنكر النبيُّ عذابَ القبر في بداية الأمر عندما سئل عنه من قبل السيدة عائشة كما ورد في حديث في صحيح البخاري؟

---

(١) ومثل ذلك الاكتفاء بآية حياة الشهداء ونعيمهم، ما دامت قد أثبتت وجودَ نعيمٍ قبلَ قيام الساعة لفئةٍ من الأموات، وانظر الأجوبة على ذلك مفصلة في تفسير ابن كثير ج٤/ ص٨١.

ومعلوم أن سؤال السيدة عائشة رضي الله عنها حصل بعد الهجرة، مما يفهم منه أن الآية لو كانت قاطعةً في عذابِ القبر لما أنكر النبي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لَفِهمها الصحابةُ وما سألوا وما دهشوا كما ثبت عن بعضهم: (عائشة، عمر، علي).

والجواب من وجوه:

أ) يحتمل أن تكون الآية مدنية نزلت بعد سؤال عائشة إذ لا دليل على أن سورة غافر كلها مكية.

ب) إن السؤال من عائشة عن عذاب القبر مطلقاً أو في حق المسلمين، والآية في حق الكفار، وهذا أقوى التوجيهات لإبطال هذه الشبهة، وهذا بدوره يقود إلى الوجه الثالث.

جـ) إن عذاب القبر ورد الإخبارُ عنه للكفار في العهد المكي، ثم وبعد هذه الواقعة من اليهودية، وبعد الإنكار المقصود به عذاب غير الكفار، أقول: بعد هذا، جاء التأكيد على تعميمه ليشمل حتى عصاة المسلمين، وجاء مكرراً وفي مناسبات شتى وصيغٍ مختلفة تأكيداً لحقيقته وشموله[1].

الثاني: قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

والحق يقال: أن دلالة هذه الآية احتمالية وليست قطعية كالسابقة، لأن التعذيب مرتين قد يكون في الدنيا، وإن كان الاحتمال الأقوى أن

---

(١) انظر في ابن كثير ج٤/ ص٨١ هذا الإيراد على الآية والأجوبة عليه، وانظر الحديث الثاني في الملحق رقم٢ من هذا الكتاب، ومن الأجوبة: أن الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يتصل في الأجساد في قبورها فَلَمَّا أُوحيَ إليه في ذلك استعاذ منه.

يكون الأول في الدنيا والثاني بعد الموت، والثالث يوم القيامة، وكونه أقوى؛ لأن المنافقين كما هو معلوم لم يُقتلوا ولم يُؤسروا حتى يقال: أنهم عذبوا بذلك في الدنيا، لأنهم يُعاملون معاملة المسلمين، ولم يُؤمر النبي ﷺبقتالهم ولا بقتلهم، فبقي لهم عذاب الخزي والمصائب، وهذه ليست قاصرة على مرتين بل كما قلت من قبل، وذكرت قول الله تعالى في آخر السورة: من أنهم كانوا ﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴿١٢٦﴾﴾، مما يُفهم منه أن كل ما يُعذبون به في الدنيا: من الفتن والفضائح والمصائب هو المعني بالعذاب الأول[1]، وما بعد الموت هو العذاب الثاني، وهذا التأويلُ ظاهرٌ من غير تكلُّف.

وإليك ما قاله المؤلفُ في دفع هذا الاحتمال الأقوى من غير تقوى: قال في ص١٧٨، ١٧٩: مَنْ قال إن الآية تدل على عذاب القبر فهو تحكم وبُعْدٌ، وهو يعني هنا: العلامة ابن حجر، ثم أضاف: أما تعذيب الكافرين «المشركين» مرتين في الدنيا فيكون بهزيمتهم وإذلالهم وخزيهم، فالمرتان يمكن أن تكونا من جملة هذه الأمور، وقد يكون قصد به تعذيبهم وقتلهم في غزوة بدر وفتح مكة، ومن يدري؟!

تأمل أخي القارىء هذه التوجيهات، فستدرك حتماً أن المؤلف يقول بلا علم، إما لأنه لا يريد الرجوع إلى سياق الآية، مع أنه كثيراً ما طالب المخالفين بذلك، وهو يرد عليهم في مواضع من كتابه، ويصرّ على تحكمه واستجهاله للقراء؛ فما قبل الآية، أي رأسها هو: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴿١٠١﴾﴾.

فهل أوضح من هذا دلالةً على أنها في المنافقين وليست في الكافرين ولا في المشركين ولا في غزوة بدر أو فتح مكة؟!.

---

(١) العذاب أعم من العقاب، كما قال ﷺ: «السفر قطعة من العذاب».

أَوَليست هذه الطريقة في الفهم تؤكد ما قلته عنه من قبل: في وصف منهجه بعامة ووصف طريقته في فهم القرآن بخاصة؟!

ثم ألم يلاحظ (السين) ﴿سَنُعَذِّبُهُم﴾ التي للاستقبال؟! وهل جهل أو تجاهل أن الآية هي من سورة التوبة (الفاضحة)، التي نزلت بعد تبوك التاسعة للهجرة، وأن غزوة بدر أو فتح مكة حصلتا قبل غزوة تبوك؟!!

أرأيتَ أيها القارىء كم مخالفة ارتكب المؤلف؟! «مخالفة السيرة، ومخالفة اللغة، ومخالفة السياق، ومخالفة أقوال المفسرين» ولا أُشَبِّهُ في ذلك إلا بمن يلعبُ بالكرةِ في الملعبِ وحده، ويُسَجِّلُ أهدافاً وهمية من غير وجود لاعبين أمامه، ولا نظّارة يرقبون اللعب!!

وحسب أي عاقل أن يقرأ هذا التوجيه للمؤلف ليحكم على جميع توجيهاته وتفسيراته للقرآن أو الأحاديث بالسقوط أو التهافت، وفي اعتقادي أن اطلاع القراء على هذا الأسلوب من المؤلف يُغني عن تأليف كتاب بل عن كتابة مقالٍ للرد عليه، ولكنها متابعةُ العَيَّار إلى بابِ الدار كما يُقال.

الثالث: آية حياة الشهداء، في سورة آل عمران:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ . . . ﴿١٧١﴾ إلخ الآيات﴾[1].

وموضع الاستشهاد في الآية واضح تماماً، والمؤلف قد اعترف بحياة الشهداء، لأنه لم يستطع التلاعب بها لوضوحها ودلالتها القاطعة على المطلوب، ولكنه لجأ إلى أسلوب آخر، حيث قال: إنها حياة خاصة عند

---

(١) قال أبو الحسن الأشعري: وهذا لا يكون إلا في الدنيا لأن الذين لم يلحقوا بهم أحياء. انظر ص٦٧ من «الإبانة عن أصول الديانة».

الله تعالى!! وإليك عبارته في ص١٣١: ولا وجود للحياة البرزخية إلا للشهداء، وهي حياةٌ لا نعلمُ عنها شيئاً.

الجواب:

أ) كونُكَ أو كوننا لا نعلمُ شيئاً لا يُغَيِّرُ من واقع الأمر، ولا ينفي حياتهم، ونحن أصلاً لا نريد إلا الاعترافَ الإجمالي بنوعٍ من الحياة بعد الموت[1] وقبل القيامة دون خوض في تفاصيل هذه الحياة لأنها غيب، والآية كافية في إفادة ذلك.

ب) بل نحن نعلم أشياء إذا فهمنا الآية في ظل الأحاديث الصحيحة التي ذكرت بعض مظاهر هذه الحياة.

جـ) بل نحن علمنا أشياء من الآية نفسها، والآيات التي تلتها: ﴿أَحْيَآءٌ﴾، ﴿يُرْزَقُونَ﴾، ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم﴾ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾»، وهذه أخبار وبشارات أكثر من كافية في وصفِ حياةٍ دخلتْ عالمَ الغيب الذي تَقْصُرُ العبارةُ عن وصفه تفصيلاً.

د) اعتراف المؤلف بالحياة البرزخية للشهداء كافٍ في مجال الخلاف معه حول هذه الحياة، لأنه يتضمن الاعتراف في الوقت نفسه بالحياة البرزخية بصورة من الصور لغير الشهداء، وهذا كافٍ في إقامة الحجة على مَنْ يرفض رفضاً قاطعاً الاعتراف بأيَّةِ حياةٍ بعد الموت وقبل البعث، أو أي نعيم وعذاب، فهذا الاستثناء يخرقُ المذهب بل يبطله من أساسه، لأن النزاع معه ليس في تفاصيل هذه الحياة وإنما في

---

(١) انظر سبب نزول آية الشهداء وحياتهم عن جابر وأبيه عبدالله، وتأمل لفظتين وردتا في الحديث: الأولى: وأحيا أباكَ فكلَّمه كِفاحاً، والثانية: يا رب تُحْيِيني فأقتل فيك، فإنها صريحة جداً في أن حياة البرزخ ليست كاملة وإنما هي حياةٌ خاصة.

وجودها أصلاً، وعلى طريقة الأصوليين وأهل المنطق نقول: إن العقل الذي يحتكم إليه المؤلف لا يُحيل وجود هذه الحياة لغير الشهداء بالأوصاف الواردة في الأحاديث الصحيحة ما دام نوعٌ منها قد اعترف به، ولكن المؤلف وقد أحسَّ بانهيار مذهبه بهذا الدليل راح يجرّد عليه سلاحاً آخر من أسلحته المفلولة، فقال في ص١٣٢: مع أن الأمر يمكن حمله على المجاز تكريماً لهم!! مع أن الله يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ...﴾ بل وهو تعبير يفيد القطع والحقيقة، ومع ذلك فالمؤلف خالف التأكيد والقرائن كلها، وقال بالمجاز!!

رابعاً: هناك آيات أخرى كثيرة منها ما ذكره العلماء وبينوا وجوه الدلالة فيها

كآية الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

ويُقوِّيها: آيةُ الأنفال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾.

ويَزيدُها قوةً: آيةُ محمد التي في معنى هاتين الآيتين: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾[1].

وهذه الآيات الثلاث رغم قوة الاستدلال بها كما هو ظاهرها إلا أن المؤلف قد صرفها عن دلالتها كما فعل بسائر الآيات، وبنفس الطريقة في البُعْدِ عن اللغةِ والسياق وأسبابِ النزول وأقوالِ المفسرين، مكتفياً برأيه التَّحكُّمي فقط، ولذلك لم أشأ نقل ما قاله العلماء حولها وما ردّ به عليهم اكتفاءً بما رآه ال قارىء وعرفه مراراً من أسلوب ومنهج المؤلف.

---

(١) وانظر آية فصلت ٣٠/ ٣١/ ٣٢: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ...إلخ﴾ قال ابن كثير نقلاً عن زيد ابن مسلم: يبشرونه عند موتهِ وفي قبرهِ وحين يُبْعث ج٤/ ص٩٩.

ومن هذه الآيات: آية طه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴿١٢٤﴾﴾ مع أن المؤلف وجد فيها فجوة واسعة للرد على مخالفيه.

ومنها أيضاً سورة التكاثر، وآية إبراهيم: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ... ﴿٢٧﴾﴾ التي استدل بها البخاري على إثبات السؤال في القبر، إلى غير ذلك من الآيات التي تربو على العشرين، وكلها تحمل إشارات لكنني أعترف بأن دلالاتها وإشاراتها أضعف من دلالات الآيات الثلاث الأولى[1].

خامساً: ومن الآيات التي أراها متينة في دلالتها من بين العشرين آية، والتي لم أجد مَنْ أشار إليها: آية في سورة يس، وهي قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾، ودلالتها من وجوه:

أ) أنه بُشِّرَ بدخولِ الجنة بعد موته مباشرة، وهذا يلتقي مع الأحاديث الصحيحة وما ورد فيها من رؤية المقعد والمؤانسة في القبر.

ب) تَمنَّى لقومه بعد موته أن يعرفوا مصيره لعلَّ ذلك يحملهم على الرجوع عن كفرهم وعنادهم، وهو موقفٌ يطابق تماماً موقف والد جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، حين طلب من الله تعالى أن يُبلِّغَ مَنْ وراءه بحالِ الشهداء حتى لا يتكاسلوا عن الجهاد فأنزل الله آيات الشهداء في آل عمران[2].

---

(١) ومنها آيات سورة الواقعة من آية ٨٣-٩٦ ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ... إلخ﴾ ووجه الدلالة، قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ بعد قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ والتعبير بالفاء إشارة إلى أن المراد به ما بعد الموت.

(٢) أخرج الترمذي وحسنه، وابن ماجة، وابن أبي عاصم في السنة، وابن خزيمة، والطبراني والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل/ عن جابر بن عبدالله، قال: لقيني رسولُ الله ﷺ، فقال: يا جابر مالي أراك منكسراً؟ قلتُ: يا =

جـ) هذه الآية صريحة في إثبات النعيم: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ بعد الموت، وأكرر ما قلته من قبل: بأننا لا نريد إلا إثبات نعيمٍ إجمالي في هذه المرحلة، والاكتفاء في البيان بما ورد في الأحاديث الصحيحة/ انظر تفسير القرطبي ج١٥/ ص٢٠.

سادساً: ومن الإشارات القوية التي لمحها ابن عباس ترجمان القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾[السجدة] حيث فهم أن الله سبحانه أخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، مما يدلُّ على أنه بقيَ لهم من الأدنى بقيةٌ يعذبون بها عذاب الدنيا، ولهذا قال: من العذاب الأدنى، ولم يقل: العذاب الأدنى، وهذا نظير قوله ﷺ: «فيُفتح له طاقةٌ إلى النار فيأتيه من حَرِّها وسَمُومِها»، ولم يقل: حرها وسمومها، أي الذي وصل إليه بعضُ ذلك وبقيَ له أكثر[1].

سابعاً: ومن هذه الآيات قوله تعالى في سورة الطور: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴿٤٧﴾﴾؛ قال في صفوة البيان: أي غير ذلك العذاب الذي وقع يوم بدر، وهو عذاب القبر وعذاب الآخرة[2]؛ وقال في زبدة التفسير: وقيل عذاب القبر؛[3] وفي تفسير النسفي: وإن لهؤلاء

= رسول الله، استشهدَ أبي وتركَ عيالاً ودَيْناً، فقال: ألا أُبشرك بما لقيَ اللهُ به أباكَ؟ قال: بلى، قال: ما كَلَّمَ الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحاً، وقال: يا عبدي تَمنَّ عليَّ أُعْطِكَ، قال: يا رب تُحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب تعالى: سبق مني أنهم لا يُرجعون، قال: أي رب فأبلغْ مَنْ ورائي، فأنزل الله هذه الآية، وروي أنها في شهداء أحد. انظر «لباب النقول في أسباب النزول» للسيوطي/ والدر المنثور ج٢ ص٩٥ له أيضاً.

(١) «عذاب القبر» للشهاوي/ ص٢٠.

(٢) الصفوة/ ص٦٧٣.

(٣) ص٧٠٠.

الظلمة عذاباً دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط وعذاب القبر[1]، وفي تفسير أبي السعود: دون ما لاقوه من القتل أي قبله وهو القحط، أو وراءه وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة[2].

ولا أريد إيراد بقية الآيات التي تشير إشارات قوية إلى عذاب القبر لأن فيما سبق كفاية لمن رام الحق وسلك سبيل الهداية، ولا أظن أن صاحب منهج «عنزة ولو طارت» يكفيه ذلك، وسيظل مصراً على قوله: إنه ليس في القرآن أية إشارة إلى عذاب القبر[3]!!!

---

(١) ج٢/ ص١٩٣.

(٢) ج٥/ ص١٠٩ بل هو إجماع المفسرين على ذلك؛ وهو ظاهر من السياق.

(٣) ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا . . . ﴿١٧٥﴾﴾ إلخ الآيات من سورة الأعراف، وكم هو جدير بكل ذي هوى وإعجاب برأيه أن يتأمل هذه الآيات (١٧٥-١٧٧) طويلاً ففيها تمثيل وبيان واضح لكل من كذّب بآيات الله تعالى إنكاراً أو إعراضاً أو تأويلاً فاسداً.

المبحث الخامس

أدلة إثبات عذاب القبر من الأحاديث
وشبهات المؤلف عليها[1]

ـ تمهيد ـ

يحسن الاطلاع اكثر من مرة على منهج المؤلف بشكل عام، وطريقة فهمه للأحاديث وموقفه من السنة بشكل خاص، قبلَ النظرِ في هذه الأدلة، وقبل الاطلاع على مناقشته لها، ليبقى القارىء مستحضراً الإطار الصحيح للحكم على هذه المناقشة، ولا يقع أسيرَ المغالطات أوضحية المماحكات، كما أننا نقدم بين يدي هذه الأدلة ومناقشتها خلاصةً لرأيِ المؤلفِ حول الأحاديث.

أولاً: لا يأخذ بالآحاد ولو في الصحيحين ما دامت تخالف في متنها مذهبَهُ، إلا إذا استطاع أن يلوي أعناق الألفاظ نحو رأيه.

ثانياً: لا يقرُّ بوجود إجماعٍ على تواتر أحاديث عذاب القبر، بل وحتى لا يقر بوجود أي حديث متواتر في ذلك، لأنه لو أقرَّ بذلك لكان عليه الالتزام به، وإن كان سيخرج منه بتأويلاته المعهودة.

ثالثاً: لا ينظر في الأحاديث مجتمعة، كما هو شأنه مع الآيات، ولو فعل ذلك لأراح واستراح من عناء التأليف في هذا الموضوع وغيره،

---

(١) اعتراف المؤلف بوجود أحاديث صحيحة في إثبات عذاب القبر يغني عن ذكرها هنا، وتبقى الأهمية لمناقشة شبهاته عليها ـ وقد أوردتُ لك في أثناء مناقشة المنهج والشبهات مجموعة كبيرة من هذه الأحاديث في الصحاح والسنن وغيرها ـ وانظر الملحق الثاني من هذا الكتاب.

وإنما يأخذ وينتقي من كل موضوع ما يناسب رأيه، بل قد لا يأخذ الحديث الواحد بجميع أجزائه.

رابعاً: يستشهد بأحاديث حسنة وغريبة إنْ كانت تخدم غرضه وينكر ذلك على غيره.

خامساً: يُكْثِرُ من ذِكْرِ الأحاديث الضعيفة في موضوع عذاب القبر موهماً أنها من أدلة الجمهور، ليوحي إلى القارىء عدم دقة الجمهور في الاستدلال وعدم الثقة بهم.

سادساً: يتلاعب بظواهر الأحاديث تارة بحجة المعارضة للسنن الكونية، أو العقل، أو مخالفة الواقع، أو روح الشريعة كما هو شأنه مع الآيات القرآنية.

سابعاً: اعترف مراراً بوجود أحاديث صحيحة وصريحة في إثبات عذاب القبر[1].

---

(١) قالوا «الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة»: الآحادُ لا تفيد العلم، ولا يُحتج بها متناً ولا سنداً... وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية... ومن العجب أنهم قدموها على نصوص الوحي... وكل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته وما ظَنَّهُ معقولاً، فما وافقه قَبِلَهُ واحتج به وما خالفه رده أو حرفه... وطريقُ أهل السنة أن لا يعدلوا عن النص الصحيح ولا يعارضوه بمعقول... وخبرُ الواحد إذا تَلقَّته الأمةُ بالقبولِ يفيد العلمَ اليقينيَّ عند جماهير الأمة... وكان رسول الله يرسل رسله آحاداً ويرسل كتبه مع الآحاد، ولم يكن المرسل إليهم يقولون: لا نقبله لأنه خبر واحد... وخبر الواحد وإن كان يحتمل الصدق والكذب ولكن التفريق بين صحيح الأخبار وسقيمها لا يناله أحد إلا بعد أن يكون معظم أوقاته مشتغلاً بالحديث، والبحث عن سير الرواة، ليقف على أحوالهم وأقوالهم... وأخبر عن النُّفاةِ أنهم يُصَنِّفون الكتب، ويقولون: هذا أصول دين الإسلام الذي أمر الله به ويقرأون كثيراً من القرآن... من غير تدبرٍ لمعناه الذي بينه الرسول، كأهلِ الكتاب الذين قال الله فيهم: =

وإليك أهَمَّ الشُّبهات التي أثارها حول أدلة أهل السنة والجماعة من الأحاديث النبوية:

أولاً: هناك أحاديث كثيرة صحيحة جمعت بين عذاب القبر وعذاب النار، مما يؤكد تغايرهما كما هي الدلالة اللغوية للعطف بالواو، وهناك روايات أفردت بالذكر عذاب القبر، وأخرى أفردت عذاب النار، وروايات وردت بحرف العطف «أو» بدل الواو وهي نادرة بالنسبة لروايات التعاطف بالواو، مما يَتعيَّنُ معه حملُ القليل النادر على الكثير الغالب، ولا سيما إذا كان سائغاً لغةً، فتُحمل رواية (أو) على روايات الواو.

ولكن المؤلف ضاق ذرعاً بدلالة هذه الأحاديث الصريحة على إثبات عذاب القبر فلجأ إلى رد دلالتها بوسائل ملتوية عديدة؛ فتارة يرجح رواية أو - وكم أكثرَ من تَرْدادها!! - ويحمل روايات الواو عليها، تمشياً مع منهج «عنزة ولو طارت!!» الذي أنكره على غيره، وتارةً يحملُ روايات إفراد عذاب القبر على عذاب النار، بل يرى أن هذا الإفراد دليل قاطع على أن المراد به عذاب النار!! وتارة يلجأ إلى أسلوب: لو كان هناك عذابان لقال النبي كذا وكذا!! أو لو كان هناك عذابان لقَدَّمَ النبيُّ عذابَ

= ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ . . . ﴿٧٥﴾﴾[البقرة] وقال في بعضهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾[البقرة] وقال في بعضهم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿٧٩﴾﴾[البقرة] انظر «شرح العقيدة الطحاوية» ص٣٣٦-٣٤٠.

وقال ابن تيمية: ولهذا كان الصحيح: أن خبر الواحد قد يفيد العلم إذا احتفَّتْ به قرائن تفيد العلم، وعلى هذا فكثيرٌ من متون الصحيحين متواتر اللفظ عند أهل العلم بالحديث، وقال: ولهذا كان أكثر متون الصحيحين مما يعلم علماء الحديث علماً قطعياً أن النبي ﷺ قاله، تارة لتواتره عندهم، وتارة لتلقي الأمة له بالقبول/ الفتاوى ج١/ ص٤١٢.

القبر على عذاب النار!! أو لو كان هناك عذابان لما أفرد عذاب النار بالذكر، وتارة يَدَّعي الترادفَ بين عذاب القبر وعذاب النار متجاوزاً بذلك كل قوانين اللغة وقواميسها في معنى الترادف الذي هو في أصله خروج عن الأصل؛ إذ الأصل كما قرر علماء اللغة عدم الترادف، بل هو رأي ابن فارس الذي اعتمد على معجمه، وتارة يقول: عذاب القبر هو عذاب النار باعتبار ما سيكون!! مع أنه في مكان آخر من كتابه قال: هو سؤال وفتنة المحتضر باعتبار ما كان!! إلى غير ذلك من التخيّلات والتمحلات التي يَتفنَّنُ في ابتكارها، ولو أنصف الرجلُ لَوسِعَهُ ما وسع أهلَ الفصاحةِ والبيان في العصور السابقة الذين عرفوا الدلالات الوضعية للغة عن كثب وقرب، وعرفوا أنَّ عطفَ شيءٍ على آخر يدلُّ على تَغايرهما حتماً وإلا كان عبثاً، وبخاصة إذا تعددت صيغة العطف واطَّردَ استعمالها.

وإليك أدلةَ وشواهدَ أقوالهِ السابقة حتى لا نُتَّهمَ بالتقوُّلِ عليه رغم أنها سبقت وأثبتت في هذا الرد ولكن في مواضع شتى، ونجمعها لك هنا:

١ - في ص٣٤٦: ويمكن فهمه أنه قصد به عذاب النار على اعتبار ما سيكون.

٢ - وفي ص٣٤٧: لا يمكن أن يكون هناك عذابان، ويستعيذُ النبيُّ من أحدهما وهو الأدنى ولا يستعيذ من الآخر وهو الأشد.

وأنت خبير الآن بعد اطلاعك على منهجيته من عدم جمع طرق الحديث عناداً وجدلاً، بأنه لو فعل ذلك لما قال هذا القول، لأن النبيَّ كما سبق ذِكْرُ أحاديثهِ استعاذ من العذابين معاً، ومن أحدهما تارة، ومن الآخر تارة أخرى؛ ولا يُشترط لوجودهما جمعهما في كل مرة كما هو معهودٌ في كلام العرب، وفي خطاب الشرع «سنةً وقرآناً» فالقرآنُ قد يذكر مرحلة واحدة من مراحل خلق الإنسان في موضع ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾[الطارق]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ۝٦٧﴾ [غافر]، ويُعَدِّدُ في مواضع، وبجمعِ الآياتِ بعضِها إلى بعض نفهمُ

أنَّ التركيز على إحدى المراحل أو على أكثر من مرحلة يكونُ لحكمةٍ يقتضيها المقام، يفهم ذلك أولو الألباب والأفهام، وورد مثل ذلك في الأحاديث، فالنبي كان يُعرِّف الإسلام أحياناً بكلمة وأحياناً بركنين أو أكثر بحسب ما يقتضيه المقام، ولبيان أهمية هذا الركن لهذا الشخص أو في حال من الأحوال؛ هذا هو المعهود في لغة العرب وفي خطاب الشارع، ولكن المؤلف يقتنع أولاً بالرأي أو الفكرة أو البدعة ثم يطوِّع النصوصَ لها ويعرضها عليها دون العكس.

٣ - قال في ص٣٠٣: وإذا كانا عذابين منفصلين، فلماذا استعمل كلمة «أو» ولم يستعمل حرف «و» ؟!! وهذا القولُ منه ليس تحكماً فقط في كيفية نُطْقِ النبي وتعبيره، وإنما هو افتراء واضح؛ إذ أن القارىء الذي لم يتابع كتابه كله قد يحسب أن النبي لم يستعمل حرف «و»، مع أن روايات الواو هي الغالبة كما ذكرت وإنما الخلل جاء من منهجه في عدم جمع الطرق والنظر فيها مجتمعة.

٤ - وقال أيضاً: ترى لو كان هناك عذابان كما فهم سَلَفنا فلماذا قدم عذاب النار وهو الأولى بالتأخير، وأخر عذاب القبر وهو يأتي حسب زعمهم، بل حسب الترتيب الواقعي قبل عذاب النار؟!!

لاحظ أخي القارىء كيف يحتج تارة على تقديم عذاب القبر على عذاب النار، وتارة على العكس؟! أليس هذا منه إصرار على المعاكسة والسير في الطريق «العكس»؟!!

وقال: لاحظ كلمة «أو» التي للتخيير، وتقديم عذاب النار ـ أي في حديث أم حبيبة رضي الله عنها «لو سألتِ الله أن يعيذكِ من عذابٍ في النار أو عذاب في القبر»[1].

---

(١) في مغني اللبيب لابن هشام ج١ ص٦١، ٦٧: ذكر معاني حرف (أو) وأنها ١٢ معنى، وعدَّ منها التخيير والجمع المطلق كالواو، وذكر دليل ذلك من القرآن ﴿أَن تَأْكُلُوا مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ ﴿٦١﴾﴾[النور].

٥ - وقال في ص١٩٤: وهذه الأحاديث تجعل العذاب عذابين فتعطف عذاب القبر على عذاب النار، وهو خطأ واضح!!

ولا أدري من يريد، أهو النبي؟! حاشا وكلا!! لأن المؤلف اعترف بصحة الاحاديث سنداً، ومعنى ذلك: ثبوتُ نِسبتها إلى النبي، فهل رأيتَ أيها القارىء في حياتك أكثر من هذا المؤلف جدلاً؟!!

٦ - وقال في ص١٥٣: ليس من المعقول ولا من المقبول أن يكون هناك عذاب في القبر وعذاب في النار، ولا يستعيذ النبي إلا من عذاب القبر!!

أخي القارىء، ماذا تفهم بالله من هذا القول، غير أن النبي لم يستعذ إلا من عذاب القبر؟! وبهذا يحكم على المؤلف إما بالافتراء على الصادق المصدوق وإما بتجاهل الروايات التي ذكرت عذاب النار، أو التي جمعت بين العذابين، أو أنه يبني على افتراض عدم عِلْمِ القارىء بهذه الروايات، وهذا تضليلٌ وصرف عن سواء السبيل.

٧ - ثم لاحظ هذه المماحكة والتناقض حيث يقول في ص١٥١: أما ما جاء في أحاديث أخر من قوله: من عذاب النار وعذاب القبر، فأغلبها لم يصح، وما صحَّ منها وهو حديث واحد رواه مسلم. .إلخ

أما ضاق صدرك أيها القارىء كما ضاق صدري إزاء هذا الافتراء والتطاول على مقام صاحب الرسالة، وعلى رواة أحاديثه ـ من خير القرون ـ وعلى مَنْ أجمعت الأمةُ على توثيقهما ـ البخاري ومسلم؟!

٨ - وقال أيضاً في ص١٥١: يجب حمل الرواية التي تجمع بينهما بالواو على وقوع خطأ وهو سقوط الهمزة منه!!! وفي مواضع: إسقاط كما نسب ذلك إلى البيهقي في كتابه «إثبات عذاب القبر»، يقول هذا مع أنني قدمتُ فيما مضى الدليل القاطع من صحيح مسلم نفسه أن العكس هو الصحيح، أي أن رواية الواو هي الأصلية.

٩ - وفي ص١٩٤: اعترف المؤلف بستة أحاديث صحيحة تجعل العذاب عذابين، وتعطف عذاب القبر على عذاب النار.

١٠- ومما قاله في صرف دلالة هذه الأحاديث: قد يكون قوله «عذاب القبر» إدراجاً من الراوي أو تفسيراً منه/ ص٢٠٢.

١١- وفي ص١٥٥ لاحظ هذه المراوغة حيث يستشهد بالشيء على عكس ما يُفهم منه، قائلاً: قد تكرَّرَ التعوذُ من عذابٍ واحد فقط في روايات كثيرة، وهو التعوذ من عذاب القبر، ويقصد بقوله هذا: بيان أنه عذاب واحد، مع أن المفهوم المتبادر: أن النبيَّ ﷺ كرر إفرادَ عذابِ القبر تأكيداً لاستقلاليته وكونه غيرَ عذابِ النار.

والآن إليك هذه القرائن التي تؤكد حقيقة عذاب القبر وأنه غير عذاب النار:

أ) الدلالة اللغوية والعرفية والشرعية للقبر.

ب) ورودهما متعاطفين، والعطفُ يُفيدُ التغايرَ.

جـ) الإخبار في الأحاديث الصحيحة بسماعِ الميتِ لقرعِ نعالِ المُشَيِّعين له، والسماع لمخاطبة النبي لبعضهم.

د) غرس النبي ﷺ جريدة النخل على قبرين رجاءَ التخفيفِ عن صاحبيهما.

هـ) السلام على أهل القبور، ولا سلامَ على معدومٍ نهائياً.

و) سؤال عائشة رضي الله عنها: أفي القبر عذاب يا رسول الله؟! وفي رواية: هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة[1]، فإنه صريحٌ في إرادة حقيقة عذاب القبر اللغوية العرفية، لأن عذاب النار في الآخرة ليس موضع شك عندها ولا عند غيرها، ومع ذلك ذكر في ص٣٦: أنهم

---

(١) تفسير ابن كثير ج٤/ ص٨١.

لم يسألوا إما جهلاً وإما تجاهلاً وافتراءً، وتلبيساً وكتماً للحق، ومغالطة: «ولو فهموا لسألوا» وما دَرى أنه أوقعَ نفسَهُ في الشَّرَكِ؛ لأنهم سألوا، مما يعني أنهم فهموا أن عذاب القبر غير عذاب الآخرة.

ح) إخبار النبي عن أرواح المؤمنين وأنها في حواصلِ طيرٍ خُضْرٍ، وأنها تأكل من ثمار الجنة، وتَرِدُ أنهارها وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش، علماً بأن معنى القبر عندنا هو البرزخ أو هو مستقر الأرواح وعالمها بعد الموت[1].

ط) قول النبي ﷺ: «فلولا أنْ لا تَدافَنُوا لدعوتُ الله أن يُسْمِعَكُمْ من عذابِ القبر الذي أسمعُ منه، ثم قال بعد ذلك مباشرة: تعوذوا بالله من عذاب النار، تعوذوا بالله من عذاب القبر... فهو في غاية الوضوح والصراحة في الدلالة على حقيقة عذاب القبر «تدافنوا» «لأسمعتكم» ثم طَلَبُه بعد ذلك التعوذ منه ومن عذاب النار، فَوَالذي خلقَ الإنسانَ عَلَّمَهُ البيان لو لم يكنْ غير هذه الرواية لأَغْنَتْ عن غيرها في هذه الدلالة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السميع وهو شهيد.

ي) قول علي رضي الله عنه: ما زلنا نُنْكِرُ عذابَ القبر حتى نزلت هذه السورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ فهو أيضاً صريح في ذلك[2].

ك) قول النبي في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة وفي «المسند» عن أنس: إن هذه القبور ممتلئةٌ على أهلها ظلمة، وإن الله ينوّرها لهم بصلاتي عليهم»[3].

---

(١) شرح الطحاوية/ الطبعة السلفية/ ص٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤؛ ففي هذه الصفحات تفصيل عن الأرواح ومستقرها؛ وذلك لمجرد الاطلاع لا الاعتقاد لعدم الأدلة القاطعة.

(٢) وإن كان المؤلف قد شَكَّكَ في صحة هذه الرواية ولكن بدون دليل.

(٣) صحيح الجامع الصغير ج١ ص٣٤٤.

ل) حديث: «إن القبرَ أولُ منازل الآخرة»[1]، وحديث: «مَنْ مات فقد قامت قيامته»[2]، وحديث: «إنْ يَعِشْ هذا الغلامُ لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة»[3].

م) حديث: «استغفروا لأخيكم وسَلُوا له التثبيتَ فإنه الآن يُسأل»[4].

ن) حديث: «إذا تَشهَّدَ أحدكم فليتعوَّذْ من أربع: من عذاب جهنم، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال. . .» رواه الجماعة إلا البخاري والترمذي/ وهو صحيح[5]، وهو واضح جداً، ولا مجال مطلقاً للتلاعب بألفاظه، فكلمةُ أربع صريحةٌ في استقلالِ كُلِّ واحدٍ وكونهِ غير الآخر.

ثانياً: دندن المؤلف كثيراً حول حديث أم حبيبة رضي الله عنها: «ولو سألتِ الله أن يُعيذك من عذاب في النار. . .إلخ»، قال في ص١٠٢:

فالذي يُفهم منه أنهما عذاب واحد، لأن أو هنا تدل على التخيير، ولا يُعقَلُ اختيار الاستعاذة من عذابٍ وترك الآخر لو كان موجوداً.

وقد أجبتُ فيما سبق على هذه المغالطات، وأضيف هنا ما يلي:

جاء في صحيح مسلم: رواية، بعد الرواية السابقة «أو» مباشرة، والإسناد فيها عن ابن بشر ووكيع معاً عن مِسْعَر، بينما السابقة عن وكيع فقط عن مسعر، واثنان أوثقُ من واحد، ورواية ابن بشر ووكيع بالواو،

---

(١) مضى تخريجه.

(٢) وله ألفاظ وطرق أخرى (الديلمي، والطبراني وغيرهما) كشف الخفاء ج٢ ص٢٨٠ ورواية أنس بزيادة: «يرى ما لَهُ من خيرٍ وشر».

(٣) صحيح الجامع الصغير ج١ ص٢٢٤ وهو حديث صحيح، رواه الحاكم عن عثمان.

(٤) ج٢ من الفتن والملاحم لابن كثير ص٢٥٢.

(٥) انظر صحيح الجامع ج١ ص١٣٧.

وهناك إسناد آخر من طريق أخرى غير طريق مسعر وردَ فيها الجمعُ بالواو أيضاً[1]، مما يُرجِّحُ روايةَ الواو، ومع ذلك نسب المؤلف للبيهقي رحمه الله ولرواتهِ إسقاط الهمزة، حتى صارت واواً!!

ثالثاً: في ص١٠٢ استشهد بحديث في «صحيح مسلم»، وذكر أنه يُفهم منه صراحة!! «أن الأرواح تبقى حية لا تُنَعَّمُ ولا تعذب حتى يوم القيامة» وهو قوله: «انطلقوا به إلى آخر الأجل».

ولا أدري أين موضع الفهم الصريح في هذه العبارة؟!! مع أنها لا يُفهم منها إلا مجرد الانطلاق بالروح إلى مكان ما وتبقى فيه إلى آخر الأجل[2]، وأما النعيم والعذاب فَيُفْهَمُ من أحاديث أخرى في الصحيحين وكتب السنن ومسند أحمد والموطأ وغيرها، وقد عاد لذكر الحديث في ص١٤٩ قائلاً بعد ذكره. ويُفهم من هذا: أن الأمواتَ أو أرواحهم ترسل إلى برزخ... حتى آخر الأجل، ثم قال: وهنا يظهر واضحاً!! عدم تعرض الروح لعذاب ولا حساب قبل يوم البعث مؤمنةً كانت أم كافرة، وهذا دليلٌ واضح على أن عذاب القبر قصد به عذاب النار!!

أقول: احسب معي أخي القارىء عددَ الأغلاطِ أو المغالطات في هذا القول:

١ - قوله: الأموات أو أرواحهم، يشبه الهذيان، لأننا لو حاسبناه على ظاهر قوله لوقع في ورطة قوله الأموات، وهل الأموات يرسلون إلى البرزخ؟!!

٢ - من أين جاء بقوله: ترسل إلى برزخ؟!! فإن كان من الحديث، فليس في الحديث ذكر البرزخ، وإن كان من آية ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ فليس

---

(١) صحيح مسلم/ ج٨ /ص٥٥، ٥٦.

(٢) شرح الطحاوية/ من ٣٩١-٣٩٤ في مستقر الأرواح.

في الآية: إرسالهم إلى برزخ، لأن البرزخ حاجز غير معروفةٍ حقيقتُه، فهم محجوزون عن الدنيا في مكان أو أمكنة بحسب أعمالهم غير البرزخ.

٣ - ثم من أين ظهر له بوضوح عدم تعرض الروح لعذاب، ما دام هذا الحديث ساكتاً عن ذلك؟!!

٤ - ثم من أين جاء الوضوح الثاني: أنهما عذاب النار، بل من أين فهم هذا الحديث؟!!

والآن تدبر أخي القارىء هذا الحديث في صحيح مسلم: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»[1]، أفلا تجد أنه هو الأَوْلى بتفسير المُرادِ من قوله ﷺ: «انطلقوا به إلى آخر الأجل» أي انطلقوا به إلى حيث يرى مقعده حتى يبعثه اللهُ إليه يوم القيامة؟

ولكن المؤلف عاد ينقب الحديث من جدار آخر قائلاً: إنه مردود متناً للعلل التالية ص١٦٣:

أ) لم يذكر الحديث متى يكون هذا العرض؟

أقول: إن آخر الحديث: «ثم يقال هذا مقعدك حتى يبعثك...» وأوله: «إذا مات الميت»، أليس هذا صريحاً في أنه يكون بعد الموت وقبل القيامة؟

ب) ولما قامت عليه الحجة ووجد المتن واضح الدلالة على غير مراده لجأ إلى التأويل أو التمييل فقال: لا يقال إن العرض يقع على الروح لأننا لا نعرف ما هي الروح أصلاً، فأقول:

---

(١) صحيح مسلم/ ج٨ ص١٦٠.

إنه في ص١٥١ قال: إن أرواح الأموات ترسل إلى برزخ، فهي إذن كائنٌ موجود ويُنقل من مكان إلى آخر، ثم في ص١٥٠ وص١٥١ وصفت بأوصاف تشعر بمعرفة أشياء عن هذه الروح بإجمال مما يكفي لتصور وقوع عَرْضٍ لها، ولكن المؤلف شعوراً منه بأن أقواله واهية فإنه يُنَوِّعُ شبهاته، فتراه قد ذكر شبهة أخرى في رد المتن قائلاً: الإيمان بهذا المتن يعني الإيمان بأن كل إنسان يعلم حسابه بل نتيجة حسابه قبل حسابه، وهذا يتعارض مع آيات القرآن الكريم الكثيرة.

وأقول: أَلَمْ يخبر اللهُ تعالى في القرآن أنَّ أبا لهب في النار وذلك قبل يوم الحساب، ألم يخبر الرسول ﷺ أن امرأ القيس وعمرو بن لحي في النار؟ ألم يخبر الذي سأله «أين أبوه» بأنه في النار؟ وأخبر عن أبيه كذلك أنه في النار لما رأى من جزع الرجل[١]، فالتعارض ليس في الأدلة ولا في الواقع، بل في الفهم المنحرف والنظر القاصر، وتَعَمُّد مجافاة الصواب[٢].

رابعاً: مما مضى جميعه تدرك قيمة مناقشة المؤلف لكتاب البيهقي في إثبات عذاب القبر[٣]، أو أحاديث البخاري، أو الأحاديث بعامة، فإنه بمعزل عن هذا العلم لغةً، ونزاهةً، وأهليةً علميةً تَخصُّصِيَّةً، ولا يوثق بتصحيحه ولا بتضعيفه.

وهنا أسوق لك هذا القول للدهلوي في هذا الشأن: ليس لصاحب غريب الحديث أن يبحث عن صحة الحديث وضعفه، ولا لحافظ الحديث أن يتكلم في الفروع الفقهية وإيثارِ بعضِها على بعض... ثم لا محيصَ

---

(١) راجع في مواضع من هذا الرد بقية الأدلة والأمثلة على وقوع العذاب قبل الحساب.

(٢) راجع مناقشة بقية الأحاديث في مبحث مناقشة الشبهات.

(٣) أورد أكثر من مائتي حديث.

لكلِّ خائض في فن أن يعتصم بأحق ما هنالك بالنسبة إلى ذلك الفن[1]، وهو يعني بذلك الالتزام بالتخصص وعدم الاشتغال بما هو خارج حدود تخصصه، فنصفُ العلمِ ليس علماً، هذا إذا وُجد!!

(١) حجة الله البالغة ج١/ ص٢٠، ٢١.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المضنية التي قضيناها في صحراء هذا الكتاب الحارقة، وألزمنا أنفسنا بأمانة القول، وصدق النقل والحكم، فإننا نؤكد ما قلناه مراراً في المقدمة وفي ثنايا البحث «الرد» من أن مجرد الاطلاع على منهج المؤلف يُغْني عن متابعة جميع فقرات كتابه ومناقشة جميع شبهاته، ولكن الذي دعاني لمخالفة هذه القناعة والاسترسال مع الكتاب متحملاً عناء الحرص على أمانة النقل، ومقارنة الكلام بعضه ببعض، ومراجعة المصادر الموثوقة؛ أن المؤلف لم يقتصر على هذا الموضوع بالتأليف، وإنما هذا الكتاب هو جزء من خطة أوسع أطلق عليها اسم: سلسلة الجديد في التجديد، مما شجعني على هذه المصابرة والمعاناة، والتركيز على منهجه، ليكون حكمي على موضوع هذا الكتاب حكماً في الوقت نفسه على كل ما ينفثه بركانُ دماغه من الحمم، وليكون القارئُ لكتابي هذا على بصيرةٍ من الأهداف الكامنة وراء طَرْقِ موضوعات معينة يتعرض لها بالتأليف، بل أطمعُ أيضاً في التنبيه إلى ضرورة الحذر التام عند مطالعة الكتب التي تتناول موضوعات دينية، وتأتي بآراء جديدة أو تجديدية، وبخاصة عند عدم الثقة بالقُدراتِ والمؤهلات العلمية الكافية لخوض هذه الميادين والموضوعات، وبشكل أخص إذا كانت تمس العقيدة، أو الثوابت الدينية كالحدود ونحوها، وذلك لكثرة المتاجرين بالأفكار والمبادىء والشعارات في زماننا هذا باسم التجديد أو البحث أو التحرير والنهضة، وما شابه ذلك من المصطلحات الجديدة، ولكثرة الأحزاب والمذاهب التي رمانا بها الاستعمار بغية تشكيك الأجيال المعاصرة في ثوابت دينها ومصادره ومراجعه.

لقد ترددتُ كثيراً في كتابة رَدٍّ بهذا الحجم، أنشغلُ به عن واجبات أهم، ولكنني وجدتني أخيراً مندفعاً لذلك بعزم، لأنني تيقنت من أهمية

هذا الجهد في الدفاع عن الدين وصيانة حماه من تحريف المتأولين وتشويه المغالين، محتسباً عملي ذلك عند رب العالمين، راجياً أن يتقبله مني، وأن يجعله وسيلةً مقبولة لنجاتي من عذاب القبر، والنجاة من أهوال يوم القيامة وعذابها، وأن يغفر لي ولوالدي كما ربياني صغيراً.

وأرى في ختام هذه الخاتمة أن أسوق للمؤلف ولكل مَنْ نسج على منواله هذه النصيحة من حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى في «إحيائه»:

وجميعُ أهل البدع والضلال إنما أَصَرُّوا عليها لعجبهم بآرائهم، والعجبُ بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى مع ظنِّ كونهِ حقاً، ثم قال: وإنما علاج هذا العجب على الجملة: أنْ يكون مُتَّهماً لرأيه، لا يغترُّ به إلا أنْ يشهدَ له قاطعٌ من كتاب أو سنة، أو دليلٌ عقلي صحيح جامع لشروط الأدلة، ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها إلا بقريحةٍ تامة وعقلٍ ثاقب وجِدٍّ في الطلب وممارسةٍ للكتاب والسنة، ومجالسة أهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم[1].

---

(١) تهذيب الإحياء لعبدالسلام هارون ج٢ ص١٥١.

ملحق رقم ١

«كلمة في الكتب المؤلفة في هذا الموضوع»

يلاحظ على هذه الكتب إجمالاً أنها انحصرت في اتجاهين اثنين، كلاهما يميل إلى التطرف، ويبتعد عن الاعتدال؛ فبينما نجد كتباً جَمحت في الإثبات وجمعت بين النصوص الصحيحة «قرآناً وسنة» وبين الأوهام والأحلام والحكايات الإسرائيلية وغير الإسرائيلية مما يسمحُ بوصفها بالجمع بين الحق والباطل؛ فإننا نجد في المقابل كتباً وبخاصة في عصرنا قد بالغت في الإنكار، والظاهر أن ذلك كان من قبيل رَدِّ الفعلِ على الاتجاه الأول، ويعتبر هذا الكتاب الذي رَدَدْتُ عليه جامعاً لكل ما حوته الكتب المُنكرة لعذاب القبر من مبالغاتٍ وتجاوزات وانحرافات عن القصد وسواء السبيل؛ مما جعل كتابي هذا أقرب إلى روح الشريعة ونصوصها الصريحة الواضحة وأقرب إلى عقيدة سلف الأمة وخير القرون والطائفة التي ما تزال ظاهرة على الحق إلى يوم القيامة بإذن الله تعالى الذي أرجوه أنْ يُشَرِّفَني بأن أكون منها في زمان الفتن هذا، ولقد رأى القراء الكرام أن منهجي وعمدتي في كتابي هذا:

١ - القرآن الكريم، من غير أن أُحَمِّلَ الآيات أكثر مما تحمله، ولا أسلبها شيئاً مما تحمله.

٢ - السنة الصحيحة الصريحة.

٣ - إجماع الصحابة وسبيل الطائفة الوسط ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة].

٤ - العقل المتزن الذي يجمع بين احترام الأصالة، وينفتح للجديد المفيد، ضمن إطار عقيدة السلف الصالح.

هذا وقد وقع في يدي كتاب للدكتور العثماني بعنوان «هذه المقابر والعتبات»، قد يجد المُنكِر لعذاب القبر وحياة البرزخ فيه ضالّته، رغم أنه ليس مغالياً في الإنكار كما في كتاب «حقيقة عذاب القبر» هذا وقد رأيت أن أورد في نهاية كتابي هذا خلاصة له، لتساهم في كبح جماح التطرف في هذا الموضوع الذي أوقع المسلمين في عبادة أصحاب القبور، وبخاصة الجاهلين منهم وأنصاف المتعلمين الذين لا يأخذون دينهم وعقيدتهم عن المصادر الموثوقة «كتباً أو مشايخ بسبب التقليد الأعمى من جهة، وسهولة تسرب الخرفات إلى العقلية الشعبية غير الواعية».

«خلاصة كتاب هذه المقابر والعتبات»[1]:

أولاً : الكتاب ٧٠ صفحة من القطع الصغير.

ثانياً: عَرَّبهُ عن الأوردية سعيد أشرف الحسني الندوي؛ ومستوى لغة التعريب ضعيف.

ثالثاً: والظاهر على لغة الكتاب وأفكاره أنه من الكتب المؤلفة وفق المنهج السلفي في القارة الهندية.

رابعاً: من ص٢ إلى ص٧ التنديد بزيارة القبور للدعاء والتوسل بأصحابها في قضاء الحوائج مع ممارسة بعض الطقوس الشركية وإضفاء هالات التعظيم وإطلاق الألقاب الشركية (يا رسول الله، يا علي، يا غوث الأعظم، يا حلال المشاكل)، واعتبار القبور وتعظيم أصحابها وراء أول عبادة للأصنام في العالم.

خامساً: والعناوين الرئيسة للكتاب هي:

١ - النهي عن تجصيص القبور والبناء عليها، وأورد حديثاً في هذا النهي، وحديثاً في الأمر بتسويتها.

٢ - بيَّن في ص٨ تاريخ بناء إقامة القبة الخضراء فوق قبر النبي وهو سنة ٦٧٨هـ على يد المنصور بن قلاوون الصالحي بمشورة كمال الدين،

---

(١) لم أناقش آراء المؤلف وإنما أثبتُّها كما هي لأن مناقشتها تحتاج إلى مراجعة المصادر التي اعتمدها للتأكد من صحة النقل والعزو، ومراجعة غيرها من كتب الجرح والتعديل للوقوف على مدى دقة جرحه وتعديله للرواة، ومن ثَمَّ الحكم ببطلان رواياتهم، وتركت ذلك لأهل الاختصاص، و ما أردت بإيراد خلاصة عنه إلا التنبيه لما أورده من مبالغات ومغالاة في تصور حياة القبور مما أوجد في هذه العقيدة كثيراً من الالتباس عند كثير من الناس.

وفي عام ٧٦٥ وَسَّع عمارته الملك أشرف شعبان ـ عن «وفاء الوفاء» للسمهودي ج١ ص٢٣٦.

٣ - الحكمة في رخصة زيارة القبور: الدعاء لهم والسلام والاستغفار لهم.

سادساً: ذكر بعض مظاهر التعظيم لأصحاب القبور (الأولياء) ص١٠: «التبرك بتراب القبر، الطواف به، عرض الحاجات، الاستغاثة بهم، تقديم النذور، وبناء القباب عليها، وتجصيصها، وإقامة المواسم والزيارات الاحتفالية وتغطية القبور بالأكسية» ص١٠، ١١.

سابعاً: مناقشة تبريرات وحجج المتوسلين بالقبور وأصحابها، وبيان بطلانها، وكونها تشبه حجج المشركين في قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴿٣﴾﴾[الزمر] ص١٢.

٤ - ومن العناوين: أن الله تعالى يسمع الدعاء مباشرة ـ ص١٣/ وعلَّق على الآية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة].

٥ - في ص١٥ ـ الأحياء خير وسيلة دون الأموات ـ ودفع الاستشهاد بآيات آل عمران في حق الشهداء وحياتهم على جواز الاستشفاع والتوسل بهم وبغيرهم من الصالحين والأولياء.

٦ - في ص١٦: الشهداء أحياء عند ربهم في الجنة، لا في القبور.

٧ - في ص١٦: لا رجعة للشهداء في هذه الدنيا ولا لأرواحهم ولا لأجسادهم ثم ذكر سبب نزول آية آل عمران ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ وحديث ابن عباس في شهداء أحد وكون أرواحهم في جوف طير خضر... إلخ الحديث/ ص١٦، ١٧ ـ ثم علق بقوله ص١٧: إن الحديث صريح في أن الشهداء أحياء في الجنة، وأنهم لن يُرَدّوا إلى

الدنيا[1] لا روحانياً ولا جسمانياً، ولو استطاعوا لأتوا وشرحوا أحوالهم بألسنتهم وما احتاجوا إلى من يبلغ عنهم، ونقل عن ابن كثير قوله: يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار» ـ وقال: إن الحديث نص بأن أرواح الشهداء ليست في أجسادهم وإلا فيلزم تسليم روحين، روح في الجنة وروح في جسده في القبر، والثانية هي التي يُستغاث بها، ثم روى حديث جابر عن أبيه عبدالله رضي الله عنهما وقال ص١٨: الميت ولو كان شهيداً لا يُعاد إلى الدنيا... وإنه ليعيش عيشة برزخية إلى يوم القيامة.

ثامناً: في ص١٨ لم ينقل عن أي صحابي أن النبيَّ حيٌّ بعد الموت، ولا بَوَّبَ أي محدث عن حياته بعد موته، واقتصروا على باب موته ﷺ[2].

٨ - ص١٩: زيارة النبي في الرؤيا ـ وعلق على حديث: «من رآني في المنام سيراني في اليقظة ولا يَتمثَّلُ الشيطانُ بي، قال ابن سيرين: إذا رآه على صورته، بأن المقصود: من عاصروه، لا من بعدهم ـ وأبطل بقية ما احتجوا به على حياة النبي في القبر بهذا الحديث ـ أو أنه يعلم من يراه في المنام ويكون تعليمه حقاً؛ أو أن له أي تدبير أو تصرف ص٢٠، ٢١.

---

(١) وهو يعني القبر، إذ أن كثيراً من العامّة تتصور حياتهم على أنها بالروح والجسم كما يُفهم من تداول حكايات «العثور على جثث أشخاص ـ شهداء ـ كما هي لم تتأثر رغم مضي فترة طويلة على وفاتهم في المعارك.

(٢) مع أن هذه العقيدة تكاد تكون من المسلَّمات عند أهل العلم وعند العامّة على السواء، والأمر يحتاج إلى مزيد من التحقيق قبل القطع بنفي أو إثبات مع أن المفهوم شرعاً وعقلاً أن تكون حياة الأنبياء أكمل من حياة غيرهم في البرزخ، وبخاصة سيدنا محمد ﷺ (وهو سيد الأولين والآخرين).

ـ وذكر حديثاً في البخاري قاطعاً في دلالته على ذلك وهو في لأصحيح البخاري: «بأن رجالاً من أمته إذا اقتربوا من حوض الكوثر انحرفوا وأخذوا طريقهم إلى جهنم، وأنا أُنادي أُصيحابي ـ فَيُرَدّ عليّ: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»؛ مما يُفْهَمُ منه أنه لا يعرفُ عن أحوال أمته بعد موته.

تاسعاً: في ص٢٢ كَذَّبَ رواية صب الرصاص حول قبر النبي من قبل نور الدين زنكي.

٩ - في ص٢٣ الروايات الساقطة عن الاعتبار: من مثل قولهم: النبي حي يرزق في ضريحه، ويصلُ إليه سلامُ الأمة، وتُعرَضُ عليه أعمالها[١].

ـ ثم ذكر رواية ابن ماجة وضَعَّفها بالإرسال ص٢٣، ٢٤، وضعف أحد الرواة نقلاً عن تهذيب التهذيب ج٣ ص٣٩٨.

ـ ثم ذكر رواية البيهقي: بأن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون، وضَعَّفَها بالطعن في ٣ من رواة إسنادها نقلاً عن ميزان الاعتدال ج١ ص٢٤١ ولسان الميزان ج٢، والصواعق لابن القيم.

١٠- صلاة موسى عليه السلام في قبره: ـ ليلة الإسراء ـ ص٢٥: مررتُ على موسى ليلة أُسريَ بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره، وردها برواية أخرى في مسلم أنه ﷺ لما وصل بيت المقدس ماراً عن قبر موسى رأى هنالك إبراهيم وموسى وعيسى يصلون فأَمَّهم وصلى بهم، وغمز في الروايتين، مع رواية عروج هؤلاء الأنبياء إلى السماء قبل النبي وبدون بُراقٍ وبدون رفقةِ جبريل، مما يدل على أنه لم يكن معراجاً خاصاً بالنبي[٢].

---

(١) يُناقش في بعض هذا ولا يُسلَّم له على إطلاقه.

(٢) دافع بعض أهل العلم عن هذا بأنه كان من قبيل الاحتفاء به صلوات الله وسلامه عليه والإشعار بإمامته لهم ووحدة رسالات الأنبياء مما لا يؤثر في خصوصية العروج به ﷺ.

ـ ثم ذكر حديث وفاة موسى عليه السلام ص٢٥، ٢٦: «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتِّباعي».

١١- في ص٢٦ عالم المثال هو المصطلح الخاطىء ـ لا دليل في كتاب ولا سنة والمذكور هو عالم البرزخ ـ ونقل قولهم: في هذا العالم تفاض الروح فيه بقوات وحقوق واسعة، ثم تودع وتنفخ في الجسم المثالي، وذلك تمهيداً للعقول بزيارة الموتى للدنيا.

١٢- في ص٢٧: عُمُدُ الشِّرْك؛ ومنها: سماع الموتى، والمكاشفة، واللقاء الشفاهي بالأموات.

عاشراً: ص٢٨: والحق أن عقيدة حياة القبور المزعومة قد غمرت العالم وأفسدت إيمانه، وهي جذر الشرك وأصله، ولهذه العقيدة الفاسدة يعتكف الناس على القبور... وبَلَغَ جهلُ البعض إلى حد أن من أكابر العلماء مِنْ تعلموا الدعوة وأصولها من النبي وهم معتكفون عند قبره[1].

١٣- في ص٢٨؛ عرض أعمال الأمة على النبي: أجمع المحدثون على أنها رواية موضوعة.

ـ واستدل على رده بحديث البخاري: لا تدري ما أحدثوا بعدك.

ـ واعتبر ذلك شركاً لأن الأعمال تعرض على الله تعالى.

١٤- في ص٢٩: لا يأكل الطين جثمان الأنبياء: الرواية التي وردت في ذلك ضعيفة فلا تدل على حياة الأنبياء في القبور. واستشهد بما ورد عن عزير مع أنه نبي ـ وأنه لم يعرف كم لبث ولم يعرف عن حاله.

---

(١) هذا هو الدافع لتأليف هذا الكتاب وإنكار حياة القبور بالأشكال المبالغ فيها، ويحضرني هنا إنكار النبي لعذاب القبر في بداية الأمر بل إنكار زيارة القبور لأن الناس كانوا حديثي عهد بالشرك، ولا شك في أن المبالغة في تصور حياة أهل القبور قد أوقعت في كثير من الشرور.

١٥- في ص٣٠ ـ سماع النبي للصلاة عليه من قريب وإيصال الصلاة إليه من بعيد: الرواية في ذلك موضوعة ـ واتهم بالشرك مَنْ يقول بذلك ص٣١.

١٦- وفي ص٣١: وهكذا رواية الملائكة السياحين مصطنعة/ في النسائي والمشكاة ليبلغوه السلام من أمته ـ وفي سنده زاذان وفيه تشيع، ومن عقائد الشيعة أن أعمالهم تُعرَضُ على أئمتهم، ومنها أن الميت حين يوضع في القبر تعود روحهُ إليه ص٣١ ـ وهو الذي دسّ العقيدتين في رواية: عرض الأعمال، ورواية عودة الروح.

١٧- عدم تقسيم تركة النبي ـ لأن النبيَّ حي في قبره ـ وحرم النكاح من أزواجه لذلك ص٣٢.

١٨- السلام عليكم يا أهل القبور ص٣٣ ـ استدلوا بذلك على حياة كل مؤمن في قبره، لأنه لا يُخاطَبُ إلا إذا اتصف بالسماع ـ وردّ بأنَّ يا هنا يراد بها الدعاء.

١٩- ص٣٣ ـ سماع قرع النعال../ يستدلون بذلك على حياته في قبره، وعلى تعرضه للسؤال والجواب ـ.

حادي عشر: ص٣٣: ليتهم عقلوا أنَّ إنهاض الميت وإجلاسه في مرقده وسؤاله والرد عليه يتعلق بالبرزخ لا بهذه الحفرة، لأن الله يقول: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ . . .إلخ﴾. ثم إن كيفية إنهاضه ونوعية سؤاله وجوابه البرزخية خَفِيَّةٌ علينا فلا نتعرض للبحث عنه ونؤمن بما قال الله والرسول عنها، وكذا سائر الأمور في داخل القبر وعالم البرزخ نفوضه إلى علم الله تعالى. . . مع سائر المتشابهات[1] ص٣٤.

---

(١) هذه هي خلاصة ما ذهبتُ إليه في هذا الأمر كما يظهر في تحرير موضع النزاع.

وأما سماع قرع النعال فصرف الرواية إلى المبني للمجهول[1]: يُسمع، ونُقِلَ عن أبي حنيفة بأن المراد منه: أن السؤال والجواب يبدأ بسرعة يُستطاع بها سماع قرع نعال الراجعين من حول القبر.

٢٠- ص٣٢ مسألة مقتولي المشركين في قليب بدر ورد في ذلك ثلاث روايات في البخاري، وقول عمر: ما تُكَلِّمُ من أجسادٍ لا أرواحَ لها يا رسول الله؟! فقال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع مما أقول منهم، قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وحسرة، فعلم منه أن قتادة يحسبه من قبيل المعجزة وليس من عموم البلوى ص٣٥، وروى البخاري عن عائشة قولها: إنهم الآن ليعلمون أن ما كنتُ أقولُ لهم حق، ثم قرأت: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٨٠﴾﴾[النمل] ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾[فاطر].

ـ وذِكْرُ البخاري لهذين الحديثين يبيّن أنه كان لا يعتقد سماع الأموات للدعاء[2]... ثم عقب بقوله: فتبيّن منه أن أصحاب القبور لا علاقة لهم بالدنيا: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ﴿١٤﴾﴾[فاطر].

٢١- في ص٣٦ الروايات الأخرى الكاذبة عن حياة النبي في القبر:

أ) رواية وقعة الحرة في ٦٣هـ حيث لم يُؤَذَّنْ في مسجد النبي ثلاثاً وكان سعيد بن المسيب لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة من قبر النبي.

---

(١) مع أن المشهور البناء للمعلوم ـ أي نسبة السماع للمدفون.

(٢) فالمؤلف ينصبُّ إنكاره لسماعهم على سماع المستغيثين بهم محتجين بقول الرسول ﷺ بأنهم يسمعون، وأنا معه في هذا، فتلك الحادثة قد تكون مخصوصة بالنبي، كما في الجريدتين على قبري المعذبين في البول، وكما في سماع المعذَّبين دون بقية الناس؛ مما لا يجوز معه القياس.

ـ وضعّف الرواية الواردة في ذلك عن الدارمي والمشكاة.

ـ ميزان الاعتدال ج٣ ـ والوقت لا يحتاج إلى ذلك لأنه يعرف بدون وسيلة.

ب) رواية عائشة بعد دفن عمر واستتارها بثوبها حياءً من عمر عند أحمد والمشكاة وضعفها أيضاً في ص٣٧ (تهذيب التهذيب مجلد٣).

٢٢- في ص٣٧: الروايات الكاذبة عن إعادة الروح في الجسد:

أ) رواية البراء بن عازب: كل من يموت تُعادُ روحه في قالبها قبل مساءلة الملائكة في القبر: فتعاد روحه في جسده ـ عند أحمد المشكاة. وضعفها ـ بزاذان الشيعي ـ والمنهال بن عمرو. انظر تهذيب التهذيب ج١٠/ ص٣١٩، وميزان الاعتدال ص٢٠٤.

ثاني عشر: فعلم أن إعادة الروح في جسد الميت في الدنيا كذب، ثم قال: كل ما طرأ على الميت من حاسة العذاب والراحة فهو يطرأ في عالم البرزخ وليس في هذه الدنيا[١] ص٣٨.

ب) رواية أبي هريرة: «ما من أحد يُسَلِّمُ عليّ إلا ردَّ اللهُ عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام» أبو داود والبيهقي والمشكاة، وضعفها[٢] انظر تهذيب التهذيب ج٢، وج١١.

٢٣- في ص٣٩ الشرك باتخاذ كرام الموتى وسيلة للدعاء، ثم ذكر أن هذا حال المشركين الذين كانوا يعبدون موتاهم بظنِّ أنهم وسيلتهم إلى الله في أدعيتهم ـ ثم ذكر أن عمر بن الخطاب لم يتوسَّلْ بالنبي بعد وفاته، بل تَوسَّلَ بالعباس رضي الله عنهما ص٤٠.

---

(١) وهذا هو الذي أثبتُه وجعلته محور جميع مناقشاتي في كتابي.

(٢) مع أنها من الأمور الثابتة غير القابلة للنقاش عند العامة ومعظم أهل العلم.

ـ وذكر الرواية الواردة في الاستسقاء به وكيفيته ـ وذلك في عام الرمادة ١٨هـ حين قحط العرب.؟

٢٤- في ص٤١: لا يجوز الدعاء من الله بكلمة: بحقِّ فلان، ثم نقل عن الألوسي في «روح المعاني» ج٦ ص١٢٥ قوله في ص٤٢: الاستعانةُ بمخلوقٍ وجعله وسيلةً بمعنى طلب الدعاء لا شك في جوازه إنْ كان المطلوبُ منه حياً، وأما إذا كان ميتاً أو غائباً فلا شك أنه غير جائز وأنه من البدع[1].

وهكذا نقل عن أبي حنيفة وأبي يوسف. انظر «الهداية» المجلد الرابع ص٤٥٩.

ثالث عشر: بيّن في ص٤٣، معنى الوسيلة من خلال الآية ﴿ **وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ** ﴿٣٥﴾ ﴾[المائدة]: أي تَقرَّبُوا بالإيمان والعمل الصالح...».

ـ ثم روى حكاية الثلاثة في الغار في ص٤٣، ٤٤، ٤٥.

٢٥- في ص٤٥: التوسلُ بالنبي بعد وفاتِه، أوقعت الأمةَ هذه العقيدةُ في هوة عميقة من الضلال.

ـ وذكر أن حجة مَنْ قال بذلك: الآية: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ** ﴿٦٤﴾ ﴾[النساء]؛ وقال بعد إيرادها: لم تثبت هذه الزيارة لقبره ولا من صحابي بأنه استغاثَ بقبرِهِ أوزار قبره عند مُلِحَّة ـ مع كثرة ما أَلمَّ بهم من مصائب ـ كفتنةِ الارتداد في عهد أبي بكر

---

(١) كفَّرني أهل بلدة سورية يغلب عليهم التصوف، وهي أريحا قرب حلب، حين كنت أُدَرِّس فيها سنة ١٩٦١ ميلادية لأنني صرَّحت بأنني على هذا الاعتقاد!

ص٤٦، والقحط في عهد عمر، وعثمان ابتلي بالثائرين البغاة[1]... إلخ.

رابع عشر: في ص٤٦، ٤٧، ويحتجون بروايات أخرى في ثبوت التوسل بأصحاب القبور كلها مختلقة، وأورد في ص٤٦ روايتين وبيَّن وجه ضعفهما ـ عن «لسان الميزان» ج٦/ ص٢٠٩/ و«ميزان الاعتدال» ج٣ ـ.

٢٦- في ص٤٧: الرواية الخاطئة عن آدم عليه السلام: لَمَّا نسيَ توسَّلَ بالنبي: «أسألك بحقِّ محمد إلا غفرتَ لي... إلخ»، فقال الله: مَنْ هو محمد يا آدم؟ قال: يا رب لَمَّا خلقتني رفعتُ رأسي إلى عرشك فوجدتُ فيه مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفتُ أن الذي ذكرتَ اسمه مع اسمك لا يوازيه أحدٌ عندكَ في الفضل وعلو الدرجة، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه خاتم النبيين ومن ولدك ولولاه لما خلقتُ الأفلاك ـ ثم قال بعد إيرادها عن كتاب «فضائل الذكر» للشيخ زكريا: ما أسوأ هذا البهتان على الله ورسوله ـ وذكر قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ... ﴿٣٧﴾﴾[البقرة] أي ألهمه دعاءً ـ وأجمع المفسرون على أن الذي تلقاه ودعا به هو في ص٤٨: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف].

ـ وآخر الرواية مُنافٍ لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات].

ـ والحديث موضوع ـ «ميزان الاعتدال» ج٢ ص١٠٦.

---

(١) ولا شك في أن هذا منهم شاهد قوي على الفهم الصحيح للحياة في القبور وأنها الحياة البرزخية للنبي أو غيره.

٢٧- العقيدة الخاطئة في زيارة قبر خاص ص٤٨.

ـ ثم أورد في ص٤٩ رواية: مَنْ زار قبري حَلَّتْ له شفاعتي.

ـ رواه البزار في مسنده ـ وهي رواية ضعيفة منكرة (ميزان الاعتدال ج٢ ص٢٠، ٢١).

ـ ثم قال في ص٥٠: وهذا هو الحال لجميع الأحاديث المروية عن زيارة قبر النبي ـ ورواية سفر بلال إلى المدينة لزيارة قبر النبي منكرة.

٢٨- الدعاء لنزول المطر بواسطة قبر النبي فيما روي عن عائشة ص٥٠ فيها نقائض كثيرة ص٥١ انظر «ميزان الاعتدال» ج١.

ملحق ٢

«أحاديث وتفسيرات قرآنية في نعيم القبر وعذابه، وفتنته»[١]

١ - قال الإمام أحمد: وساق السند إلى جابر بن عبدالله، وقد سأله أبو الزبير عن فتاني القبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها، فإذا أُدخلَ المؤمنُ قبره، وتولى عنه أصحابه جاءه مَلَكٌ شديد الانتهار، فيقول له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: إنه رسول الله ﷺ وعبده، فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار، قد أنجاكَ اللهُ منه، وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة فيراهما كليهما، فيقول: دعوني أُبشِّرُ أهلي، فيقال له: اسكن، وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه أهله، فيقال له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل، فيقول: لا أدري، أقول كما يقول الناس، فيقال له: لا دَريتَ، هذا مقعدك الذي كان لك في الجنة قد أُبدلت مكانه مقعدك من النار» قال جابر: فسمعتُ رسول الله يقول: يُبْعَثُ كلُّ عبدٍ في القبر على ما مات، المؤمنُ على إيمانه والمنافقُ على نفاقه»[٢] وقال ابن كثير: إسناد صحيح على شرط مسلم.

---

(١) ليست هذه الأحاديث والتفسيرات للاستدلال والمناقشة وإنما هي للمؤمنين بعذاب القبر ونعيمه وسؤاله، تتميماً وتعميماً للفائدة من الكتاب، وقد حرصتُ على أن تكون جيدة الأسانيد ثابتة.

(٢) وأورد ابن كثير رواية بعد هذه عن الإمام أحمد، بمعنى الرواية السابقة لكن: أولها: إنَّ هذه الأمة تُبتلى في قبورها، وفيها: إذا تفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق من حديد فأقعده... فإن كان مؤمناً قال: أشهد أن لا إله إلا الله =

٢ - روى الإمام أحمد بسنده إلى عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهي تقول: أشعرت أنكم تُفتنون في قبوركم! فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إنما يُفتن يهود»، قالت عائشة: فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله ﷺ: «ألا إنكم تُفتنون في القبور» وقالت: فكان رسول الله بعد يستعيذُ من عذاب القبر، وهكذا رواه مسلم. ـ ابن كثير ج٤ ص٨١.

٣ - جاء في «صفوة البيان لمعاني القرآن» للشيخ حسنين محمد مخلوف/ ص٦٩٩: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[الواقعة] فأما إنْ كان المتوفى من السابقين فله رحمة أو فرح وسرور واستراحة أو طيب رائحة عند قبض روحه، وفي قبره، وعند بعثه، وجنة ذات تنعّم في آخرته.

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾: أي: فيقول الملائكةُ للمتوفى من أصحاب اليمين عند قبض روحه وفي قبره وفي الجنة: سلامٌ لك يا صاحبَ اليمين من أصحاب اليمين.

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ أي: فله قِرى وإكرام: عذابٌ شديد في البرزخ بحرارة النار ودخانها، وإدخالٌ في النار في الآخرة ومقاساة لألوان عذابها.

= وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم يفتح له باباً إلى النار فيقول: كان هذا منزلك لو كفرت بربك فأما إذ آمنتَ فهذا منزلك فيفتح له باباً إلى الجنة... وفيه: ويفسح له في قبره، وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له... ثم يفتح له باباً إلى الجنة فيقول له: هذا منزلك لو آمنت بربك... ثم يفتح له باباً إلى النار وفيه: ثم يقمعه قمعة بالمطراق فيصيح... إلخ، فقيل للنبي: يا رسول الله ما أحدٌ يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هِيلَ عند ذلك، فقال: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... ﴿٢٧﴾﴾[إبراهيم] قال ابن كثير: إسناد لا بأس به فإن عباد بن راشد التميمي روى له البخاري مقروناً، ولكن ضَعَّفهُ بعضهم/ ج٢ ص٤٠٧.

٤ - وفي القرطبي ج١٥/ ص٢٠؛ قلت: والظاهر من الآية: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾[يس]: أنه لما قتل قيل له ادخل الجنة، قال قتادة: أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق، أراد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾[آل عمران].

٥ - وفي القرطبي ج٤/ ص٢٦٨: وفي مصنف أبي داود بإسناد صحيح عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «لمّا أُصيب إخوانكم بأُحُد جعل الله أرواحهم في جوفِ طيرٍ خُضْر تَرِدُ أنهارَ الجنة، تأكلُ من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طِيْبَ مأكلهم ومشربهم ومَقِيلهم قالوا: مَنْ يُبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نُرزق لئلا يَزْهَدُوا في الجهاد ولا يَنكُلوا عند الحرب، فقال الله سبحانه: أنا أُبلغهم عنكم، قال: فأنزل: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ. . .﴾ إلى آخر الآيات.

وقيل: إن الأرواح تُدرك في تلك الحال التي يسرحون فيها من روائح الجنة وطيبها ونعيمها وسرورها ما يليقُ بالأرواح مما ترتزقُ وتنتعش به[١].

٦ - في كتاب «النهاية في الفتن والملاحم» لابن كثير/ تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، جاء في حديث عن أم سلمة أنه ﷺ دعا لأبي سلمة بالمغفرة ورفع الدرجة، ومما دعا له به: «وافسحْ له في قبرهِ ونَوِّرْ له فيه» وذكر أنه في صحيح مسلم[٢].

٧ - وفيه أيضاً من حديث في إسناده ثلاثة من أئمة الفقه: أحمد بن حنبل عن الشافعي عن مالك عن الزهري عن عبدالرحمٰن بن كعب بن

---

(١) تفسير القرطبي ج٤/ ص٢٧٤.

(٢) ج٢/ ص٢٠٧.

مالك عن أبيه أنه ﷺ قال: «إنما نسمةُ المؤمن في طائرٍ مُعَلَّقٍ في شجرِ الجنة حتى يُرجِعَها اللهُ إلى جسده يوم يبعثه»[1].

٨ - عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «العبد إذا وُضِعَ في قبره وتولّى وذهبَ أصحابُه حتى إنه ليسمَعُ قَرعَ نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهدُ أنه عبدُ الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة قال النبي: فيراهما جميعاً، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري كنتُ أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دَرَيتَ ولا تَلَيتَ ثم يُضربُ بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح صيحةً يسمعها مَنْ يليه إلا الثقلين[2].

٩ - تدبر أخي القارىء هذه الآيات من سورة التكاثر، ثم استخلص منها ما تطمئنُّ إليه نفسك فيما يتعلقُ بموضوعنا:

أولاً: قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾، ففي الجملتين إخبارٌ مُؤكَّدٌ بأنهم سيعلمون، وهذا محتملٌ لأمرين:

أ) كون الجملة الثانية مؤكدة للأولى.

ب) كونها مُخبرة عن معلومٍ آخر، والقاعدة اللغوية الأصولية الفقهية: أنَّ التأسيسَ أَوْلى من التأكيد، ومعنى التأسيس: إفادة معنى جديد، ولا سيما وأن الثانية جاءت بثم التي هي للترتيب مع التراخي، بعد أنْ علمتَ هذا بقيَ أنْ تعلمَ ما سيعلمونه ومتى يعلمونه في المرتين، وهو مُحتملٌ لثلاثةِ أوقاتٍ أو حالات:

---

(١) ج٢/ ص٤٠٧.

(٢) مختصر صحيح البخاري للزبيدي/ ص١٥٢/ الطبعة الأولى ١٩٩٤.

أ) الأولى: عند الاحتضار ستعلمون صِدْقَ ما أخبركم به الرسولُ من البعث وكل ما يترتب عليه. والثانية: في القبر.

ب) الأولى: عند الاحتضار. والثانية: يوم القيامة.

جـ) الأولى: في القبر. والثانية: يوم القيامة.

أولستَ ترى أن الاحتمال الأخير أقواها بقرينةِ قولهِ قبلَها ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾ وبقرينةٍ أقوى وهي ما ذُكِرَ بعدها: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾[التكاثر]؛ فهي تخبر عن ثلاثة أمور:

أ) رؤية الجحيم.

ب) وبعد ذلك ـ بفترة متراخية ـ رؤية الجحيم أيضاً، ولكنها هذه المرة رؤية عيانية خلافاً للرؤية التي قبلها.

جـ) السؤال عن النعيم (أي الحساب) وتَدَبَّرْ كلمةَ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تعلم أن السؤال عن النعيم والرؤية العيانية اليقينية هما يوم القيامة، مما يعني أن الرؤية الأخرى قبل يوم القيامة أي في البرزخ قطعاً[1]، لأن هذه الرؤيةَ لا تكونُ قطعاً عند الاحتضار إلا بتأويلٍ وتكلُّفٍ وتلاعبٍ في اللغة، أما الرؤية البرزخية فعلاوة على ظهورها من السياق، فإنها مفسَّرةٌ بالأحاديث الصحيحة الصريحة التي تنص على رؤية المقاعد في القبر.

وفي هذه الآيات الأخيرة تأكيد لوجود العذاب قبل الحساب ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ... ﴾ خلافاً لما يراه المؤلف.

---

(١) يقوى هذا الفهم ويتقوّى به الأثر الذي أورده ابن كثير: قال ابن أبي حاتم، وساق السند إلى علي رضي الله عنه، قال: ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ ورواه الترمذي بهذا السند وقال: غريب ـ ج٤ ص٥٤٥.

وهنا نذكر قوله تعالى في سياق آخر من سورة النبأ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾، والسياق حول النبأ العظيم ـ أي البعث وما بعده، ويمكن أن نفسرها بما فسرنا به آيتي التكاثر تماماً.

ثانياً: ثم تدبر هذا السياق من سورة الزمر: ﴿وَاتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥﴾.

والظاهر أن المراد ما بعد الموت أو عند الموت بدليل الآية التي بعدها: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾.

فجاء الرد عليه، كما في سورة المؤمنون ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا ۝١٠٠﴾.

جاء الرد: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٩﴾.

وهنا قرينة قوية تدل على أن العذاب الذي رآه هو ما قبل يوم القيامة، وهي قوله بعدها ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠﴾.

ثم ألا تلاحظ أن سياق هذه الآية يشبه بَلْ يُماثلُ سياقَ آيات غافر في عرض آل فرعون، وهما سورتان متجاورتان؛ وبتدبر قوله تعالى: ﴿حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ﴾ نستنتج بسهولة أن هذه الرؤية هي المذكورة في سورة التكاثر: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ وفي الأحاديث: يرى مقعده، لأنه في حالة الاحتضار يُخْبَر ولا يَرى.

١٠- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: بينما نحن في حائط لبني النجار مع رسول الله ﷺ وهو على بغلة له، فحادت به بغلته، وإذا في الحائط «البستان» أقبُرٌ «قبور»، فقال ﷺ: مَنْ يعرف هذه

الأقبر؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله، قال: ما هم؟ قال: ماتوا في الشِّرْكِ، قال: لولا أَنْ لا تَدافَنوا لدعوتُ الله أَنْ يُسمعكم عذاب القبر الذي أسمع منه؛ إن هذه الأمةَ تُبتلى في قبورها، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: تَعَوَّذوا بالله من عذاب النار وعذاب القبر، وتَعوَّذوا بالله من الفتن ما ظهرَ منها وما بطن، تَعوذوا بالله من فتنة الدجال. قلت: هو في الصحيح من حديث أبي سعيد عن زيد بن ثابت[1].

١١- من سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾ قال الصاوي: جاءهم وقتَ الصبح عذابٌ دائم مُتَّصِلٌ بعذابِ الآخرة، أي اتصل عذاب الدنيا بعذاب الآخرة، فلا يُزال عنهم حتى يصلوا إلى النار، وقال أبو السعود: لا يفارقهم حتى يُسْلِمهم إلى النار[2].

١٢- للشيخين رحمهما الله، عن عمرة، أنها سمعت عائشة «وذُكر لها أن ابن عمر يقول: إن الميت ليعذب ببكاء الحي» فقالت: يغفر الله لأبي عبدالرحمٰن أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مرَّ رسولُ الله ﷺ على يهودية يبكي عليها أهلها، فقال: إنهم يبكون عليها وإنها لتُعذب في قبرها»[3].

١٣- عن أم مبشر ـ بسنده ـ قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا في حائط من حوائط بني النجار، فيه قبور منهم، وهو يقول: استعيذوا بالله من عذاب القبر، فقلت: يا رسول الله؛ وللقبر عذاب؟ قال: نعم، إنهم ليُعذَّبون في قبورهم... الحديث»[4].

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للحافظ نور الدين الهيثمي ص١٩٩.

(٢) صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني ج٢٧ ص٤٤، وتفسير أبي السعود ج٥/ ص١٢٠.

(٣) كشف الخفاء ج١/ ص٢٥٨.

(٤) موارد الظمآن/ ص٢٠٠.

١٤- قال عليه السلام: «الميت يعذب في قبره بما نِيْحَ عليه، رواه أحمد في «المسند»، وهو متفق عليه، ورواه ابن ماجة عن عمر[١].

١٥- قال عليه السلام: «ما من شيء لم أكن أُريتُه إلا رأيتُه في مقامي هذا، حتى الجنة والنار، ولقد أوحي إليَّ أنكم تُفتَنون في قبوركم مثل أو قريباً من فتنة المسيح الدجال، يُؤتى أحدُكم فيقال له: ما علمُك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن «أو الموقن» فيقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبَيِّناتِ والهُدى فأجبنا وآمنا واتبعنا، هو محمد «ثلاثاً»، فيقال له: نم صالحاً، قد علمنا إنْ كنتَ لَمُوقناً به؛ وأما المنافق «أو المرتاب»، فيقول: لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته»[٢].

١٦- عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: إن المؤمن إذا احتُضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر «حُزَم» الريحان، فتُسَلُّ روحه كما تُسَلُّ الشعرة من العجين، ويقال: أيتها النفسُ المطمئنة اخرجي راضية ومرضياً عنك إلى رضوانِ الله وكرامته، فإذا أُخرجت روحه وضعت على ذلك المسك، وطُويت عليها الحريرة، وبُعث بها إلى عليين».

رواه أحمد في «المسند»، والحاكم وصححه ابن حبان، وأبو نعيم في «الحلية»، والنسائي[٣].

١٧- قال عليه السلام: «من يقتلْه بطنه فلن يُعذَّبَ في قبره» أحمد، والنسائي، وابن حبان، والترمذي والطيالسي، وإسناده صحيح كما ذكر في «أحكام الجنائز» للألباني[٤].

---

(١) صحيح الجامع الصغير/ الألباني ج٢/ ص١١٤١.

(٢) المسند، والبخاري عن أسماء بنت أبي بكر/ وانظر المرجع السابق ص٩٩٧.

(٣) عذاب القبر للشهاوي/ ص٥٨.

(٤) السابق ص٥٤ ومعنى يقتله بطنه: يموت بداءٍ فيه؛ وقد ورد عَدُّهُ من الشهداء في أحاديث بصيغة «المبطون»؛ وانظر التذكرة ص١٧١ وانظر كذلك في التذكرة ما =

١٨- قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾.

السياق يدل على أن مضمونها هو نفس مضمون آيات آل عمران في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا. . . ﴿١٦٩﴾﴾ إلخ مما يمكن معه تفسير آيات الحج بآيات آل عمران الواردة في فضل ونعيم الشهيد، قال في «زبدة التفسير»: والمراد بهذا أنه يكون بعد قتلهم مباشرة، وذلك قبل أن تقوم الساعة لأنهم أحياء عند ربهم يُرزقون، ثم ذكر الحديث: «أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تأكل من ثمار الجنة»[1].

وضمن هذا السياق ننظر في تفسير قوله تعالى قبل ذلك: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾[2].

١٩- نقل ابن كثير عن ابن أبي الدنيا بإسناده عن رجل من آل عاصم الجحدري، قال: رأيت عاصم الجحدري في منامي بعد موته بسنتين، فقلت: أليس قدْ مِتَّ؟ قال: بلى، قلت: فأين أنتَ؟ قال:

= ينجي من أهوال القبر ص١٦٧-١٧٣، وعدّ منها المرابطة في سبيل الله، والشهادة في سبيل الله، وقراءة سورة الملك، وسورة الإخلاص، ومن مات يوم الجمعة أو ليلتها، كما فسَّر في ص١٧٢ المراد بالمبطون.

(١) زبدة التفسير من فتح القدير اختيار محمد سليمان الأشقر/ ص٤٤٢، وانظر ابن كثير ج٣ ص٢٣١.

(٢) فقد فسَّر أبو السعود الساعة بالموت بعد أن فسَّرها بالقيامة، مما يقوي التفسير بالموت أنه عطف عليه: إتيان عذاب يوم عقيم الذي فسر بيوم القيامة، والبعض فسر الساعة بأشراطها، ولكن أبا السعود ضعَّف هذا القول ج٤ ص١٩.

أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونَفَر من أصحابي نجتمعُ كُلَّ ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبدالله المزني فَنتلَقّى أخباركم، قال: قلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات! قد بَلِيت الأجسامُ، وإنما تتلاقى الأرواح. . .إلخ الخبر[1].

أقول: هذا الخبر إن صحَّ فإنه يؤيد ما رجَّحتُه تبعاً لابن حزم وأبي حنيفة وغيرهما في محل النزاع حول ما يقع عليه التنعيم والتعذيب بعد الموت.

٢٠- لما دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، فوجده قد شقَّ بصرُه، فأغمضه، ثم قال: إن الروح إذا قُبض تبعه البصر. . . ثم دعا لأبي سلمة، ومن دعائه: واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره، ونوِّر له فيه[2].

٢١- قال تعالى: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۝٣٠﴾[القيامة].

أ) روى ابن أبي حاتم: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يقول: آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، وقال الضحاك: اجتمع عليه أمران: الناسُ يُجَهِّزون جَسَدَهُ، والملائكةُ يجهزون روحه.

ب) وقال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾: المَرْجعُ والمآب، وذلك أن الروح تُرفع إلى السموات، فيقول الله عزّوجل: رُدُّوا عبدي

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣/ ص٤٣٨، وقد أورد هذا الخبر كواحد من شواهد عدة أوردها لتأييد صحة رواية عبدالله بن عمر في سماع أهل قليب بدر التي شكَّكت فيها عائشة رضي الله عنها وتأوَّلتها بأن المراد: إنهم يعلمون أن ما كان يقوله لهم النبي حق، مستدلة بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ. . . ۝٥٢﴾[الروم].

(٢) صحيح مسلم ج٣/ ص٣٨ وسنن أبي داود ج٣/ ص١٩١.

إلى الأرض فإني منها خَلقتُهم وفيها أُعيدهم ومنها أُخرجهم تارة أخرى كما ورد في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه[1]، وإليك هذا الحديث:

٢٢- قال البراء: خرجنا مع النبي في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولمّا يُلحَدْ، فجلس رسولُ الله مستقبلَ القبلة، وجلسنا حوله، وكأنَّ على رؤوسنا الطير... فجعل ينظر إلى السماء وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه ثلاثاً، فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر ـ مرتين أو ثلاثاً ـ ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ـ ثلاثاً ـ ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيضُ الوجوه كأنّ وجوههم الشمس معهم كفنٌ من أكفان الجنة وحَنُوطٌ من حنوط الجنة حتى يجلسوا فيه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة ـ وفي رواية المطمئنة ـ اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج... فيأخذها... فإذا أخذها لم يَدَعوها في يده طرفةَ عينٍ حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾[الأنعام]، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدَتْ على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان ـ بأحسنِ أسمائه التي كانوا يُسَمُّونه بها في الدنيا ـ حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيّعه من كُلِّ سماءٍ مُقَرَّبُوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خَلقتُهم وفيها

---

(١) ابن كثير ج٤ ص٤٥١.

أُعيدهم ومنها أُخرجهم تارة أخرى فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فَيُجْلِسانه فيقولان له: مَنْ ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دِينُكَ؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأتُ كتاب الله فآمنتُ به وصدقت، فينادي منادٍ من السماء: أنْ صَدَقَ عبدي، فأَفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة.

فيأتيه من رَوْحها وطيبها، ويُفسح له في قبره مدَّ بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أَبشر بالذي يَسُرُّكَ، هذا يومك الذي كنتَ تُوعد، فيقول له: مَنْ أنت فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رَبِّ أَقِمِ الساعةَ، رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإنَّ العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا و... نزل إليه ملائكة... سود الوجوه معهم المسوح فجلسوا منه مَدَّ البصر ثم يجيء... رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة؛ اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فَتَفَرَّقُ في جسده فينتزعه كما يُنتزَعُ السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعوها... حتى يجعلوها في تلك المسوح، فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت... فيصعدون بها فلا يمرون... الخبيثة؟ فيقولون: فلان... حتى ينتهى بها إلى... فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ... ﴿٤٠﴾﴾[الأعراف] فيقول الله: اكتبوا كتابه في سِجِّين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ... سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾[الحج] فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان... مَنْ ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري... فينادي منادٍ من

السماء: أنْ كذب... فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرّها وسمومها، ويُضَيَّقُ عليه قبره... ويأتيه رجل... [1] فيقول: أبشر بالذي يسوؤك... فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رَبِّ لا تُقِمِ الساعةَ» رواه الإمام أحمد وأبو داود، وفي سنده المنهال بن عمرو، وزاذان، وقد ضُعِّفا[2].

٢٣- جاء في حديث البخاري ومسلم: سؤال الملكين، وكذلك في حديث الترمذي ونصّ على اسميهما ونعتهما، وجاء في حديث أبي داود: سؤال ملك واحد وفي حديثه الآخر: سؤال ملكين، قال القرطبي: ولا تعارض في ذلك، بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة إلى الأشخاص، فرب شخص يأتيانه جميعاً ويسألانه جميعاً في حال واحد عند انصراف الناس ليكون السؤال عليه أهون والفتنة في حقه أشد وأعظم، وذلك بحسب ما اقترف من الآثام؛ وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس عنه، وآخر يأتيه أحدهما على الانفراد، فيكون ذلك أخف في السؤال، وأقلّ في المراجعة والعتاب؛ وقد يحتمل حديث أبي داود وجهاً آخر وهو: أن الملكين يأتيان جميعاً ويكون السائل

---

(١) نقل الشق الثاني من الحديث «المتعلق بالكافر» بتصرف روماً للاختصار ولشهرته، فراجعه إن شئت في المراجع المذكورة في الصفحة السابقة/ ص٢١٧.

(٢) راجع ما ذكره الدكتور العثماني في الملحق الأول حول المنهال وزاذان، والحق أني لا أعرف درجة هذا الدكتور العلمية وبخاصة في علم الحديث، ولكنه عزا تضعيفهما إلى علماء نقد الحديث والأسانيد من مثل ابن حجر، ولكن ابن كثير رحمه الله أورد الحديث دون التعليق عليه، ولكن صاحب كتاب عذاب القبر «الشهاوي» قال: جمع الألباني طرق الحديث وزياداته ووضعها في نسق واحد في كتابه أحكام الجنائز، وذكر مخرجه ومخرج كل زيادة على حدة، وحكم عليه بالصحة، وقد صححه الحاكم وقال: على شرط الشيخين وأقره الحافظ الذهبي، وأخرجه الطيالسي، والآجري وابن ماجة، والنسائي، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين وغيره، والقرطبي/ ص٢٥، ٢٦.

أحدهما، وإن تشاركا في الإتيان، فيكون الراوي اقتصر على الملك السائل وترك غيره، لأنه لم يقل في الحديث: أنه لا يأتيه إلى قبره إلا ملك واحد، وقد يكون من الناس مَنْ يُوقَى فتنتهما ولا يأتيه أحدمنهما واختلفت الأحاديث أيضاً في كيفية السؤال والجواب، وذلك بحسب اختلاف أحوال الناس، فمنهم من يقتصر على سؤاله عن بعض اعتقاداته ومنهم من يُسأل عن كلها فلا تناقض، ووجه آخر هو: أن يكون بعض الرواة اقتصر على بعض السؤال وأتى به غيره على الكمال، فيكون الإنسان مسؤولاً عن الجميع[1].

٢٤- قوله عزوجل: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴿٤٧﴾﴾[الطور] هو عذاب القبر لأن الله ذكره عقب قوله: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ وهذا اليوم هو اليوم الآخر، فدل على أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر، وكذلك قال: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنه غيب[2].

٢٥- البخاري عن سمرة بن جندب قال: كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: مَنْ رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد رؤيا قصّها، فيقول: ما شاء الله، فسألنا يوماً، فقال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا، قال: لكني رأيت الليلة رجلين أتياني، فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده سحلوب من حديد يُدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله... ثم مَرَّا به على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على

---

(١) التذكرة/ ص١٢٨، ١٢٩، وقول المسؤول: هاه هاه هي حكاية صوت المبهور من تعب، أو جري، أو حمل ثقيل.

(٢) التذكرة/ ص١٥٢.

رأسه بنهر أو صخرة فيشدخ بها رأسه... ثم إلى ثقب مثل التنور... يتوقد تحته ناراً... وفيها رجال ونساء عراة... ثم على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة... فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان... ثم إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان... فصعدوا بي الشجرة.

قلت: طوّفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت، قالا: نعم، الذي رأيت يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذب... والذي يشدخ رأسه فرجل عَلَّمه اللهُ القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار... والذين في الثقب فالزناة، والذي في النهر آكل الربا[1] ثم قال: قال علماؤنا: لا أبْيَنَ في أحوال المعذبين في قبورهم من حديث البخاري[2].

---

(١) ص١٥٦، ١٥٧.

(٢) ص١٥٧، ونقلته بتصرُف، وإن رُمت التفصيل فانظره في ص١٥٦، ١٥٧ من التذكرة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المراجع والمصادر

١ - القرآن الكريم.

٢ - تفسير ابن كثير.

٣ - تفسير أبي السعود (ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم).

٤ - تفسير الدر المنثور/ السيوطي.

٥ - صفوة التفاسير/ الصابوني.

٦ - لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.

٧ - صحيح البخاري.

٨ - صحيح مسلم.

٩ - موطأ مالك.

١٠- صحيح الجامع الصغير/ ناصر الدين الألباني.

١١- شرح العقيدة الطحاوية/ الغنيمي الحنفي.

١٢- توضيح العقيدة المفيد/ لأحمد الدردير.

١٣- المصباح في أصول الحديث/ السيد قاسم الأندجاني.

١٤- أصول الفقه/ محمد مصطفى شلبي.

١٥- نظم المتناثر في الحديث المتواتر لأبي عبدالله جعفر الحسني الكتاني.

١٦- الشخصية الإسلامية/ أصول فقه/ من كتب حزب التحرير.

١٧- مذكرة الفرق/ حسن السيد متولي.

١٨- كتاب مفتاح السنة/ محمد عبدالعزيز الخولي.

١٩- المعجم الوسيط.

٢٠- لسان العرب لابن منظور.

٢١- عذاب القبر/ مجدي محمد الشهاوي.

٢٢- حجة الله البالغة/ ولي الله الدهلوي.

٢٣- مقدمة ابن خلدون.

٢٤- تهذيب إحياء علوم الدين/ عبد السلام هارون.

٢٥- هذه المقابر والعتبات/ د. العثماني.

٢٦- الملل والنحل/ الشهرستاني.

٢٧- التنبيه والرد/ أبو الحسين الملطي.

٢٨- مغني اللبيب/ ابن هشام.

٢٩- سؤال القبر/ د. السيد الجُميلي.

٣٠- الإبانة عن أصول الديانة/ أبو الحسن الأشعري.

٣١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة/ الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٣٢- الكتاب والقرآن/ قراءة معاصرة للمهندس محمد شحرور.

٣٣- كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني.

٣٤- رسالة التوحيد/ الشيخ محمد عبده.

٣٥- أصول الدين لأبي منصور البغدادي.

٣٦- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله القرطبي.

٣٧- صفوة البيان لمعاني القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف.

٣٨- النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير.

٣٩- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة لأبي عبدالله القرطبي.

٤٠- لمع الأدلة لإمام الحرمين الجويني.

٤١- دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية/ جمع وتقديم وتحقيق د. محمد السيد الجليند.

٤٢- دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم/ للمؤلف عبدالوهاب أبو صفية.

٤٣- مختصر صحيح البخاري (التجريد الصريح لأحكام الجامع الصحيح) لزين الدين أحمد بن عبداللطيف الزبيدي.

٤٤- إرشاد الفحول/ للشوكاني.

٤٥- المستصفى للغزالي/ وبذيله شرح مسلم الثبوت.

٤٦- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام أبي البركات عبدالله النسفي.

٤٧- زبدة التفسير من فتح القدير/ د. محمد سليمان الأشقر.

٤٨- الفتاوى الكبرى لابن تيمية/ طبعة دار العلم من ٥ أجزاء.

٤٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن/ للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
١ - الإهداء.	٥
٢ - تنبيه هام.	٦
٣ - تمهيد/ ويتضمن فيما يتضمن: خلاصة أفكار المؤلف (٢٧نقطة).	٧-٢٢
٤ - المقدمة.	٢٣-٢٨
٥ - الفصل الأول: منهج المؤلف.	٢٩
٦ - المبحث الأول: لغة الكتاب/ أخطاء لغوية.	٢٩-٣٧
٧ - مآخذ لغوية رقم١/ رقم٢.	٣٨-٤٨
٨ - المبحث الثاني: جوانب أخرى من المنهج:	٤٩
٩ - أولاً : منهج استعلائي.	٥٠
١٠- ثانيـــاً: منهج إلزامي.	٥٢
١١- ثالثـــاً: يُلْزِمُ غيره بما لم يلتزم به.	٥٣
١٢- رابعـــاً: منهج هدم وتشكيك.	٥٤
١٣- خامساً: منهج تحكمي.	٥٧
١٤- سادساً: منهج يقوم على التزييف والتدليس والافتراء...	٦٥
١٥- سابعـاً: منهج يقوم على التناقض.	٦٨

الموضوع	الصفحة

١٦- ثامناً: منهج تشكيكي. ٧٢

١٧- تاسعاً: منهج عنزة ولو طارت. ٧٦

١٨- عاشراً: منهج ترددي. ٧٨

١٩- حادي عشر: منهج افتراضي. ٨١

٢٠- ثاني عشر: كيف يفهم القرآن. ٨٢

٢١- ثالث عشر: موقفه من السنة. ٨٩

٢٢- رابع عشر: منهج تعميمي. ٩٤

٢٣- خامس عشر: منهج عقلاني محض. ٩٦

٢٤- سادس عشر: منهج يعتمد على الواقعية المفرطة. ٩٨

٢٥- الفصل الثاني: المبحث الأول: تحرير محل النزاع..... ١٠١-١٠٦

٢٦- المبحث الثاني: مناقشة معنى الروح والنفس عند

المؤلف..... ١٠٧-١١٤

٢٧- المبحث الثالث: المناقشة لشبهاته: ١١٥

١) السنن الكونية. ١١٥

٢) شبهة العقل. ١١٨

٣) روح الشريعة ومقاصدها. ١٢٠

٤) شبهة الأقيسة الفاسدة. ١٢١

٥) شبهة العمومات القرآنية. ١٢٦

الموضوع	الصفحة

٦) أدلة قرآنية خاصة. ١٢٨-١٤٧

* شبهات أخرى: ١٤٨

ـ شبهة تعذيب الجن في القبر. ١٥٠

ـ شبهة اتهام الله تعالى بالظلم. ١٥٢

ـ شبهة الأمويين والخوارج. ١٥٣

ـ شبهة الإحساس بالألم. ١٥٤

ـ شبهة نتائج وسلبيات الاعتقاد بعذاب القبر. ١٥٥

ـ شبهة نعيم القبر. ١٥٨

ـ شبهة عدم علم الصحابة بهذه العقيدة. ١٥٩

ـ شبهة أن القبر محسوس. ١٦١

ـ شبهة الاختلاف في الذي يُعذَّب. ١٦١

ـ شبهة كتابة الأعمال ونشر الصحف. ١٦٣

ـ شبهة تعذيب اليهود. ١٦٤

٢٨- المبحث الرابع: أدلة إثبات عذاب القبر ونعيمه من القرآن. ١٦٥-١٧٨

٢٩- المبحث الخامس: أدلة إثبات عذاب القبر ونعيمه من الحديث. ١٧٩-١٩١

٣٠- الخاتمة. ١٩٢

الموضوع	الصفحة

٣١- ملحق رقم١/ خلاصة «كتاب هذه المقابر والعتبات»،
وكلمة موجزة عن الكتب المؤلفة في هذا الموضوع.... ١٩٤-٢٠٦
٣٢- ملحق رقم٢ ـ أحاديث وتفسيرات قرآنية في نعيم القبر
وعذابه وفتنته. ٢٠٧-٢٢١
٣٣- المراجع والمصادر. ٢٢٢-٢٢٤
٣٤- الفهرس. ٢٢٥-٢٢٨

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com